الشباب الفلسطيني
المصير الوطني ومتطلبات التغيير

إشراف وتحرير ومشاركة
جميل هلال

ومساهمة الباحثين الميدانيين
أكرم عطا الله ، أحمد عز الدين أسعد ، عايدة الحجار ،
عبد الغني سلامة ، رشا حلوة ، وعلي موسى

(رام الله)
الطبعة الأولى
تشرين ثاني/نوفمبر 2016

تصميم الغلاف والداخل : مؤسسة الناشر

جميع الحقوق محفوظة . لا يسمح بإعادة إصدار الكتاب أو أي جزء منه ، بأي شكل من الأشكال ، أو بأي من أدوات النشر الإلكتروني أو النسخ أو التسجيل الصوتي ، إلا بإذن خطي مسبق من الناشرين

All rights reserved. No part of this publication may be reproduced, stored in a retrieval system, or transmitted in any form or any means electronic, mechanical, photocopying, recording or otherwise, without prior written permission from the publishers

توطئة

دخل على الحركة السياسية الفلسطينية تحولات مفصلية في العقود الثلاث الأخيرة (وتحديداً منذ الانتفاضة الأولى) ، وبتسارع منذ اتفاق أوسلو ، غيّرت ليس من مكوناتها وعلاقاتها الداخلية فحسب ، بل ومن فهمها لدورها ولحدود هذا الدور وأدواته . ثم دخل على المجتمع في الضفة الغربية وقطاع غزة خلال الفترة ذاتها تحولات بنيوية ذات دلالات على صعيد بنية التنظيمات السياسية ودورها بوجه خاص والمجتمع المدني بوجه عام ، وترافق هذا كله مع تسارع وتيرة إجراءات إسرائيل الاستعمارية الاستيطانية والقمعية التي استهدفت تدمير مقومات قيام دولة فلسطينية ذات سيادة وطنية عبر سلسلة من الإجراءات والسياسات التي هدفت إلى وضع الشعب الفلسطيني المقيم في الضفة والقطاع (وإلى حد ما المقيم في مناطق 1948) في منعزلات فرض نظام أبارتهايد (فصل عنصري) عليه ، بتعبير آخر ، وصل مشروع إقامة دولة فلسطينية إلى طريق مسدود ، وباتت الحركة السياسية الفلسطينية في مأزق مركّب .

ليس الهدف من هذا البحث التدقيق في مدلولات الاشتباك اليومي الذي بدأ بصورة منتظمة تقريباً بين شباب فلسطينيين في تشرين الأول / أكتوبر 2015 واستمر أشهراً ضد جنود المحتل المستعمر ومستوطنيه الدخول في تفصيلات التحولات المذكورة ، بل يهدف هذا البحث إلى تقديم قراءة استناداً إلى آراء الشباب أنفسهم ورؤيتهم ولغتهم لحيثيات هذه الاشتباكات ومدلولاتها على المستقبل الفلسطيني ، ويهدف أيضاً إلى استكشاف عما إذا كان للشباب تصور عن بنية ومهام حركة سياسية جديدة أم أن هذا ما زال موضع انتظار وتساؤل واستفسار .

مراجعة الأدبيات تبين عدم تحديد متفق عليه لفترة الشباب ، إذ تتوفر في الأدبيات تعريفات متعددة لسنوات الشباب ؛ فهي تتراوح بين سنوات 15 حتى 29 ، وليس هناك إجماع على سن معين للشباب . الأهم هو إدراك أن مفهوم الشباب نفسه كمفهوم مشيّد اجتماعياً للإشارة إلى مرحلة انتقالية يمر بها الفرد وتحدد حقوقه وواجباته وفق قوانين وأنظمة الدولة أو السلطة المركزية التي يقيم فيها ، وتقاليد المجتمع المهيمنة في لحظتها . مرحلة الشباب تبدأ في العادة بالعمر الذي يتيح الزواج والمشاركة في الانتخابات العامة ودخول سوق العمل أو إكمال الدراسة الجامعية ، وتنهي فترة الشباب وفق رؤى متنوعة تحددها جهات لها مصالح واستخدامات واعتبارات قد تتباين ، منها : الأحزاب السياسية ، والمؤسسات التجارية (الملابس والإلكترونيات والأغاني والتجميل) ، والدولة (لصوغ سياسات خاصة بالشباب بما فيها اعتبارات تجنيد وصوغ سياسة أمنية) ومراكز الإحصاء والأبحاث ، وغيرها . هي مرحلة انتقالية وجمهورها ليس جمهوراً ثابتاً (إذ دائم الاستقبال والتوديع) . لذا ينبغي الحذر من منح الشباب هوية ما تحجب رؤية التباين في تكوينهم السياسي والأيديولوجي والاجتماعي والمهني والثقافي ، والذي لا يختلف عادة عن تكوين مجتمعاتهم وعن مفهوم الشباب وعلاقته بالحقوق والمسؤوليات الاجتماعية والحقوقية والسياسية .

إن الرغبة في الخلاص من الوضع القائم (النظام الاستعماري الاستيطاني العنصري والشلل القيادي الفلسطيني) رغبة عامة ولا تخص الشباب فقط ، لكنها رغبة لا تملك بوصلة تشير إلى اتجاه وماهية التغيير المنشود . لذا اعتمدت المنهجية المسيّرة لهذا البحث على الحوار المفتوح والضامن للسرية مع شباب في الضفة الغربية وغزة ومن الأرض المحتلة سنة 1948 عبر المقابلات المباشرة ، ومجموعات الحوار ، بالإضافة إلى المسوح واستطلاعات الرأي الخاصة بالشباب ، وإن كانت معظم هذه المسوح والاستطلاعات لا تنصت إلى صوت الشباب ولا تسأل الشباب عن رؤيتهم المستقبلية . وهذا ما حاول هذا البحث تلافيه .

يتكون البحث من جزأين : الأول يستند إلى مراجعة عامة لمفهوم الشباب و لمسوح واستطلاعات رأي و دراسات تناولت موضوع الشباب ، تستند إلى حوارات أجراها محرر الكتاب مع عدد من الشباب والقيادات الشبابية ؛ أما الجزء الثاني فيتشكل من نتائج أبحاث ميدانية أجراها باحثون مع شباب من كلا الجنسين في الضفة الغربية وقطاع غزة والأراضي المحتلة عام 1948 ، مع تأملات قام بها كل باحث استناداً إلى بحثه الميداني وملاحظاته .

ولا بد هنا من التنبيه بشأن المنهجية : ليس هناك من ترابط محكم بين الأبحاث الميدانية سوى بالتوجيه أن يعتمد كل بحث على مقابلات بالعمق تُجرى مع عدد من الشباب والشابات ومع مجموعات حوارية في سياق المواجهات التي دارت بين شباب وشابات وبين جنود ومستوطنين إسرائيليين في الضفة الغربية بصورة رئيسية . وطُلب من الباحثين الميدانين الإصغاء للشباب والشابات بتمعن وتروٍّ لنقل صوتهم ورؤيتهم وتلمسهم ، أي التعامل معهم كذات وليس كموضوع (هذا هو مضمون تعبير «المبحوث» أي «تشييء» الموضوع) لأن معظم الدراسات تتعامل مع الشباب كموضوع للبحث والدراسة والتعليق وليس كفاعلين وكجزء عضوي في مجتمعهم ، ولهم تحليلهم لما يجري حولهم ورؤيتهم لمراكز القوى ولحال المجتمع وللمستعمر . الشباب والشابات الذين واجهوا الجنود والمستوطنين المحتلين واجهوهم بإرادتهم

الخاصة وعن دراية لما يعني تصديهم ونتائجه المحتومة ، لذا ارتأيت أن أبقي هذه المساهمات بما يحافظ بقدر الإمكان ، على لغة المحاورين الشباب والاكتفاء بالتحرير وضبط التكرار والحشو ، وتوجيه الباحث إلى ما يطور ويغني بحثه ، مع التأكيد على احترام خصوصية الآراء وعدم ذكر أسماء من لا يرغب في ذلك لضمان حرية التعبير عن الرأي من دون خشية من ردات فعل سلبية أو انتقامية .

يجد القارئ تفاوتاً بين الأبحاث الميدانية الستة من حيث استنطاقها لآراء الشباب . ويعود جزء من هذا التفاوت إلى الاختلاف الواسع بين المناطق من حيث الأوضاع السياسية والاجتماعية والأمنية والثقافية (القدس ، غزة ، الأرض المحتلة عام 48 ، وشمال وجنوب ووسط الضفة) ، وجزء آخر يعود إلى التباين في درجة تأهيل الباحثين والباحثات المشاركين وتجاربهم في مجال العمل الميداني ، وتباين قدرتهم في نقل رؤى وخطاب الشباب وقراءة دلالاتها . وتسهيلاً لعملية البحث جرى تكليف شباب وشابات من أبناء المنطقة . لكن كان لا بد من احترام ما نقله الباحثون من نتائج (باستثناء واحد) بعد ما يعادل جهد شهر كامل من العمل الميداني (الذي امتد إلى ثلاثة أشهر وعند البعض إلى أربعة لأنه لم يكن بمقدورهم التفرغ الكامل بسبب التزامات أخرى لديهم) . لقد تدّخلت ، كمحرر ومشرف على مشروع البحث ، بالقدر الذي يحافظ على درجة من تماسك كل بحث / تقرير من دون طمس لغة الباحث وتعبيراته و استخلاصاته الخاصة كون البحث / التقرير يحمل اسمه .

شخصياً أثرت على المشاركة في إجراء حوارات مع شباب وشابات ومع آخرين على صلة بالشباب لإبقاء مجموع البحث على تواصل مع الحضور المباشر للشباب ، ملاحظاً ، في الوقت ذاته تنوع دوافع الاهتمام بموضوع الشباب من مختلف المؤسسات (الدولية والعربية والفلسطينية) ، وما تحمله هذه من معانٍ ودلالات . وتعمدت أن أُضمّن خلاصات ما هو مشترك في الأبحاث الميدانية فيما ورد من ملاحظات في الجزء الأول من البحث وليس في خاتمته كما جرت العادة ، لأن ذلك يطمس خصوصية كل منطقة ويهمش مساهمة البحث الميداني واستخلاص كل باحث وباحثة من لقاءاته و مشاهداته وتجربته . لذا آمل أن تجري قراءة مختلف أجزاء الكتاب لكل من يرغب في الإنصات لصوت الشابات والشباب بتعدد تكوينهم المهني والتعليمي والسكني وانتماءاتهم الاجتماعية والسياسية والفكرية وبما يلحظ بعض محركات واقع كل تجمع من تجمعات الشعب الفلسطيني التي تمكن الباحثون من الوصول إليها وإن بصورة استكشافية أولية .

جميل هلال

آب 2016

الجزء الأول

مراجعة للمعطيات والمفهوم والتوجهات والتوقعات

جميل هلال

أولا ، معطيات إحصائية عن الشباب في الضفة الغربية وقطاع غزة

يشكل الشباب (ذكوراً وإناثاً) 30% من السكان في الضفة والقطاع ، و 72% من الأُسر يوجد فيها شاب واحد أو شابة واحدة على الأقل

يشكل الشباب في المجتمع الفلسطيني في الضفة الغربية وقطاع غزة نسبة وازنة من السكان عادلت في سنة 2015 الفئة العمرية ما بين سن 15 وسن 29 بحسب بيانات الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني 30% من إجمالي السكان . وبحسب المعطيات ذاتها فإن 37% من المصنّفين شباباً (15 إلى 19) هم مراهقون والباقي (63%) شباب بالغون (من 20–29) . وبلغت نسبة السكان في الفئة العمرية 14 عاماً فما دون 39% من مجمل سكان الضفة وقطاع غزة . أما نسبة السكان من الفئة العمرية 60 عاماً فأكثر فبلغت 4.5% من مجمل السكان[1] ، وهذه الفئة من السكان (وتحديداً من الذكور) التي تضم النسبة الأعلى من النخب السياسية والاقتصادية .

بحسب المعطيات ذاتها فإن 72% من الأُسر الفلسطينية لديها شاب أو شابة (ما بين 15 و29) واحد على الأقل (71% في الضفة و74% في غزة) . وهذا مؤشر على اندماج معظم الشباب في حياة الأسرة اليومية وليسوا فئة ، كما يُتصور أحياناً ، خارج المجتمع . بلغ نسبة الملتحقين بالتعليم من الشباب والشابات (من الفئة العمرية أعلاه) 37% (36% في الضفة و38% في قطاع غزة) ، مع تباين لمصلحة الإناث ، إذ بلغت نسبة الملتحقين بالتعليم من الشباب الذكور 32% في مقابل 42% للإناث . وبلغت نسبة الشباب الذين أنهوا مرحلة التعليم الجامعي (بكالوريوس فأعلى) 13% (11% للذكور و14% للإناث) . وبلغت هذه النسبة في الضفة الغربية 14% مقابل 11% في قطاع غزة .

وتشير معطيات الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني أن 35% من الشباب (28% في الضفة الغربية مقابل 46% في قطاع غزة) يرغبون في الحصول على درجات علمية أعلى من بكالوريوس (وماجستير ودكتوراه) ، وهي نسبة تشير إلى توفر درجة عالية من الطموح بين الشباب لاكتساب رأسمال ثقافي لتحسين فرص العمل والدخل والهجرة . وهو طموح لا يحتكره الذكور ، فقد ذكرت 32% من الإناث الشابات أن لديهن هذا الطموح في مقابل 39% بين الذكور . ويلاحظ ، وفق المعطيات ذاتها ،

1 انظر : الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني ، النتائج الرئيسية لمسح الشباب الفلسطيني ، 2015 (رام الله ، اذار/مارس 2016) .

أن أغلبية الشباب (75.5%) لا تقرأ جرائد أو مجلات ونسبة مشابهة (76%) تستخدم الكمبيوتر ، في حين نجد أن أغلبية ساحقة (94%) تشاهد التلفزيون بصورة يومية[2] .

ارتفاع نسبة البطالة بين الشباب ورغبتهم في الهجرة

بلغت نسبة العاطلين عن العمل (منتصف سنة 2015) بين الشباب 30% (بواقع 25.0% للذكور ، و60% للإناث) . وبلغت في قطاع غزة 51% في مقابل 18% في الضفة الغربية . وذكر 39% من الشباب الحاصلين على مؤهل علمي دبلوم فأعلى ، أنهم عاطلون عن العمل (27% في الضفة الغربية و57% في قطاع غزة) . وأفاد أكثر من ثلاثة أرباع الشباب (76%) أن سبب بطالتهم يعود إلى عدم توفر فرص عمل مطلقاً ، في مقابل أقلية (10%) ذكرت أن السبب يعود إلى غياب عمل يتناسب مع مؤهلاتها وخبراتها . وأظهرت المعطيات أن 83% من الشباب يعملون في القطاع الخاص ، و10% يعملون في مؤسسات السلطة الفلسطينية[3] .

وأظهرت المعطيات المسحية أن 24% من الشباب لديهم الرغبة في الهجرة إلى الخارج (بواقع 37% في قطاع غزة ، في مقابل 15% في الضفة الغربية) ، لكن أغلبية هؤلاء ذكروا أنهم لا يفكرون في هجرة دائمة ، وقد يكون هذا بدافع التخفيف من الإحساس بالذنب على الرغبة في تركهم بلدهم وأهلهم . ثم أظهرت أن الميل إلى الهجرة بين الشباب الذكور أعلى من الشابات (إذ بلغ عند الذكور 29% و18% بين الإناث) . وذكر هؤلاء أن دافعهم الأساسي إلى التفكير في الهجرة يتمثل في اعتبارات اقتصادية ؛ فقد ذكر 40.8% من الشباب أنهم يرغبون في الهجرة لتحسين أوضاعهم المعيشية ، و 15.1% للحصول على عمل ، 12.5% للتعليم والتدريب[4] .

تدني مشاركة الشباب في النشاطات العامة وعضويتهم في أحزاب وتنظيمات سياسية بنسبة تقل عن 1.5%

بلغت نسبة الشباب الذي شاركوا في مهام تطوعية خلال سنة 2014 نحو 20% (22% في قطاع غزة في مقابل 18% في الضفة الغربية) ، وشملت هذه مهام خيرية غير مادية (مثل تقديم المساعدة إلى الفقراء وذوي الحاجات الخاصة) . وكشف مسح الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني أن نسبة مشاركة الشباب الذكور كانت أعلى من مشاركة الشابات (26% في مقابل 13%) . وذكر 6% من الشباب أنهم ينتمون إلى أندية ومراكز رياضية (6% في الضفة و 7% في غزة) . وتتفاوت نسبة الانتماء إلى أندية ومراكز رياضية بين الشباب والشابات ، إذ بلغت بين الشباب 11% ، وأقل من 2% بين الشابات) . وبلغت نسبة الالتحاق بجمعيات أهلية أو ثقافية أو منظمات غير حكومية 3% (4% بين الشباب في مقابل 2% بين الشابات)[5] .

2 المرجع السابق .

3 المرجع السابق .

4 المرجع السابق . وذكر استطلاع للرأي في حزيران/يونيو 2016 أن نسبة الرغبة في الهجرة بين سكان قطاع غزة تبلغ 45% وبين سكان الضفة 22 % . وقالت النسبة الأكبر 40% إن السبب الرئيسي للهجرة هو قلة فرص العمل في الوطن ، وتقول نسبة 23 % أن قسوة الحياة تحت الاحتلال تدفعها إلى الهجرة ، وقالت نسبة 12 % أن قلة الأمن هو الدافع الرئيسي للهجرة ، ورأت نسبة 9% أن الدافع هو غياب الحريات والحياة الديمقراطية (المركز الفلسطيني للبحوث السياسية والمسحية ، بيان صحفي ؛ نتائج استطلاع الرأي العام رقم 60 ، يونيو/حزيران 2016) .

5 المرجع السابق

بلغت نسبة عضوية الشباب في الاتحادات والنقابات بمختلف أشكالها 2.4% (2.1% في الضفة و3% في غزة) ، ونسبة المنتمين إلى أحزاب أو حركات سياسية 1.4% (0.9% في الضفة الغربية و 2.4% في قطاع غزة)[6] . لكن مسح معهد دراسات المرأة في جامعة بيرزيت عن الشباب الفلسطيني في الضفة الغربية والقدس وقطاع غزة والذي أجري في سنة 2013[7] ، وجد أن 32% من الشباب الذكور ، و9% من الشابات هم أعضاء في تنظيمات سياسية . وكان استطلاع رأي لمركز القدس للإعلام والاتصال قد وجد أن 11% فقط من الشباب رأوا أن الطريقة الأفضل لإحداث تغيير إيجابي تكون عبر الانضمام إلى حزب سياسي ، في مقابل 40% اختاروا أن يجري ذلك عبر المواطنة الصالحة (أن يدرس وأن يعمل بجد) ، و21% عبر المشاركة في تظاهرات بصورة منتظمة ، و16% عبر الانضمام إلى مؤسسات المجتمع المدني ، و12% من خلال تنفيذ عمليات مقاومة) .

وكان استطلاع رأي لمركز العالم العربي للبحوث والتنمية (أوراد) ، نفذ في آذار/مارس 2016 قد أظهر أن نشاط الشباب في الأحزاب السياسية في الضفة والقطاع انخفض من 20% إلى 13% ما بين تموز / يوليو 2013 وآذار / مارس 2016[8] . والأكثر دلالة أن ثلثي الشباب والشابات أفادوا أنهم لن يشاركوا في أي نشاط شعبي أو جماهيري خدمة لقضية عامة .

قد تعود الفروق الواسعة في نتائج المسوح والاستطلاعات المتعددة حول علاقة الشباب بالتنظيمات السياسية إلى عدة أسباب : أولاً ، إلى اعتماد تعريفات مختلفة لسن الشباب ؛ فالجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني يحدد سن الشباب ما بين 15 إلى 29 ، في حين يحدده معهد دراسات المرأة من سن 18 إلى 35 ، ومركز العالم العربي للبحوث والتنمية (أوراد) يحدده من سن 18 إلى 25 ، و مركز القدس للإعلام والاتصال يحدده من 15 إلى 29[9] (كما هو محدد من قبل مركز الإحصاء الفلسطيني) ، ويحددها منتدى شارك الشبابي (رام الله) ما بين سن 18 و34 [10] ؛ ثانياً ، إلى التباين الواسع في النتائج إلى ضبابية التمييز بين العضوية الحزبية للتنظيمات السياسية (كما تحددها هذه) ، وبين التأييد الانتخابي لها أو مجرد الثقة بها ؛ ثالثاً ، إلى قصور في منهجية اختيار العينة وكفاءة الباحثين في الميدان ، ودقة ووضوح الأسئلة والوضع السياسي والاجتماعي- الاقتصادي الذي جرى فيه الاستطلاع أو المسح . لكن التباين الواسع في نتائج المسوح واستطلاعات رأي الشباب هذه ينبه إلى الحاجة إلى التعامل بحذر شديد مع هذه النتائج .

6 المرجع السابق

7 Rema Hammami, Gendered Youth/Occupied Lives, Birzeit University, Institute of Women's Studies, January 2014

8 انظر : مركز العالم العربي للبحوث والتنمية (أوراد) ، استطلاع الرأي العام بين الشباب الفلسطيني في الضفة الغربية وقطاع غزة ، نشر بتاريخ 12 نيسان/أبريل 2016 ، رام الله www.award.org .

9 انظر : مركز القدس للإعلام والاتصال ، استطلاع رقم 86 ؛ استطلاع في صفوف الشباب ، القدس ، نيسان/أبريل 2016 .

10 انظر : منتدى شارك الشبابي ، تقرير مرحلي نيسان/أبريل 2011 ؛ رياح التغيير : هل ستدك جدران القهر؟- رام الله ، 2011 .

ثانيا ، إشكالات مفهوم الشباب

يستحق الاهتمام الواسع في موضوع الشباب دراسة وتأمل خاصين . إذ يلاحظ في الأعوام الأخيرة دفق من استطلاعات الرأي والمسوح والأبحاث (بما فيها البحث الحالي) ومن مقالات الرأي المتعلقة بالشباب الفلسطيني . تطرح حيثيات تجمهر هذا الاهتمام أسئلة واستفسارات . بداية معظم مراكز استطلاعات الرأي الفلسطينية تعتمد على تمويل أوروبي بالكامل (باستثناء مركز استطلاعات الرأي والدراسات المسحية في جامعة النجاح الوطنية الذي يمول محلياً) ، لكن لا بد من موضعة صناعة «الشباب» كموضوع للاهتمام والبحث الخاصين في سياقه السياسي المحلي والإقليمي ، فهو يأتي في سياق مفاهيم الليبرالية الجديدة وتبنيها من دول المنطقة وأحزابها الحاكمة والمعارضة الرئيسة (بما فيها الإسلامية) ، وفي سياق بروز حركات سلفية تكفيرية وأصولية استقطبت بصورة أساسية فئات شبابية تعيش معدلات بطالة عالية في ظل أنظمة قامعة للحريات تسود المنطقة ، وسيادة خطاب دولي وإقليمي يستثني الدول من ممارسة الإرهاب ويخصه لحركات أو لفاعلين غير دوليين (non-state actors) ، ويقصر مفهموم الإصلاح على «الحوكمة» و«الدمقرطة» (بمفهوم الانتخابات الدورية معزولاً عن القيم الديمقراطية) و«مكافحة الفساد» ، و«التمكين» بمفهوم توسيع قدرة الفرد على المنافسة ضمن مؤسسات النظام الرأسمالي القائم .

ليس موضوع صناعة «الشباب» هو سؤال البحث الراهن الذي يخص قراءة استشرافية لأبعاد المواجهات الشبابية الأخير للاحتلال الاستيطاني الإسرائيلي ، بالاستناد ، أساساً ، إلى لقاءات مباشرة مع الشباب ، لسماع وإسماع صوتهم من دون تزلف ولا إسقاط لرغبات ذاتية على الحاضر أو المستقبل . شمل البحث شمل ، بصورة أولية ، شباباً في مناطق الضفة وقطاع غزة والأراضي المحتلة منذ سنة 1948 . وكان ينبغي أن يشمل شباباً وشابات في الشتات الفلسطيني لو توفرت آلية لتوليد جهد مشترك لعدة مؤسسات فلسطينية في فلسطين التاريخية وخارجها .

يحرك البحث السؤال التالي : هل تحمل المواجهات الشبابية الأخيرة مع الدولة الاستعمارية الاستيطانية معطيات لتغيير مسار العمل السياسي الفلسطيني بعد ما أصابه من ارتباك واختلال وعطب في الرؤية والحيلة منذ ركود الانتفاضة الأولى؟ واضح تماماً أن الاهتمام بالتأثير على وعي الشباب في المنطقة له أهداف سياسية أبعد مما يُبدى من حرص على توفير فرص حياة أفضل للشباب ، إذ تغلب الرؤية الأمنية على أية اعتبارات أُخرى . وفق هذا يمكن فهم دعوة رئيس المجلس الأعلى للشباب والرياضة ، اللواء جبريل الرجوب ، في أيار / مايو 2016 «إلى ضرورة تكاتف جميع الجهود العربية من أجل تشكيل وعي الشباب العربي ، وفق إستراتيجية عربية موحدة ، تضمن الحفاظ على الأمن القومي العربي ، في ظل الأوضاع السياسية التي تشهدها المنطقة من توترات وصراعات وغيرها»[11] . واضح من هذا أن الرؤية الأمنية هي المرشدة للسياسة الموجهة إلى الشباب وتتمحور حول إبعاد الشباب عن التطرف الديني ومنظمات الإرهاب ، في حين أن الأنظمة الحالية بما تجسده من استبداد وفساد ولا مساواة وقمع في مجتمعاتها وما تولّده التدخلات الخارجية هي التي تتحمل مسؤولية إنتاج وتغذية التطرف الديني من نمط تنظيم الدولة الإسلامية إلى حزب البيت اليهودي في إسرائيل وغيرهما .

11 «الرجوب يدعو إلى تشكيل وعي الشباب ضمن إستراتيجية عربية موحدة» ، جريدة الأيام ، 17/5/2016 .
http://www.al-ayyam.ps/ar_page.php?id=10f16283y284254851Y10f16283#sthash.xTHurBRP.dpuf

كمفهوم اجتماعي تبدو فئة الشباب كمرحلة عمرية انتقالية يحدد بدءها ، في الدولة الحديثة ، بالفترة التي ينهي فيها الفرد مرحلة الدراسة الإلزامية وحصوله على أول عمل منتظم ومدفوع الأجر . لكن ازدياد معدلات الملتحقين بالدراسة الجامعية وما بعد الجامعية في الضفة الغربية وقطاع غزة وارتفاع معدلات البطالة بين الشباب (وهو كمفهوم يستخدم هنا ليشمل الذكور والإناث) ، بمن فيهم الخريجين ، يقللان من فائدة هذا التعريف . لكن تبقى مرحلة الشباب مرحلة فاصلة في حياة الفرد تتميز ، في المفهوم السائد راهناً ، بالاستقلال عن العائلة و مواجهة فرص حياتية واجتماعية جديدة . وهي مرحلة تتسم باكتمال النضج البيولوجي للفرد وتحرره من الاعتماد على رعاية الآخرين ليصبح مسؤولاً أمامهم . لكن ينبغي الانتباه إلى إسقاط هوية ملفقة على الشباب تسد الرؤية على التباين (السياسي والأيديولوجي والاجتماعي والثقافي) الواسع بينهم والذي لا يختلف عن التباين في تكوين المجتمع .

منهجية تناول قضايا الشباب الفلسطيني

تستدعي معالجة قضايا «الشباب» الفلسطيني (بالإضافة إلى تباين تحديد فئاته العمرية) الانتباه إلى الموضوعات التالية :

1. لا بد من ملاحظة مساعي تسييس موضوع الشباب الفلسطيني خدمة لأهداف معينة . يلاحظ هذا عموماً في المنطقة ، وفي الأراضي الفلسطينية المحتلة سنة 1967 ، وسنة 1948 . برز اهتمام خاص بموضوعة الشباب لاعتبارين متناقضين :

الأول ، لعلاقة الشباب بالانتفاضات العربية نظراً إلى الدور الخاص الذي اضطلعوا به في هذه الانتفاضات كمناضلين ضد الاستبداد ومن أجل الحرية والمساواة والعدالة الاجتماعية والكرامة الوطنية ؛

والثاني ، لعلاقة الشباب بالحركات الجهادية والسلفية التكفيرية وحركات الإرهاب عموماً ، بما في ذلك في أوروبا .

لكن قبل هذا وذاك ، كان الشباب الفلسطيني قد احتلوا مكانة مرموقة في منظمات المقاومة الفلسطينية ، في الستينيات والسبعينيات والثمانينيات بانت في الاهتمام بالتشكيلات الشبابية والطلابية على الصعيد الوطني ، وعلى صعيد التنظيمات الفلسطينية الرئيسة أيضاً . وشمل هذا الاهتمام تشكيلات تخص من هم دون الخامسة عشر («الأشبال» و«الزهرات») . ودخل على الخطاب السياسي الفلسطيني مفردات مثل «أطفال الحجارة» و«أطفال الآر بي جي» في سياق التصدي للاعتداءات الإسرائيلية . بتعبير آخر ، لم يخرج دور الشباب عن مجرى النضال الوطني الفلسطيني منذ ظهور المقاومة الفلسطينية وهيمنتها على منظمة التحرير . كان تسييس الشباب الفلسطيني جزءاً من إعادة بناء الحركة الوطنية الفلسطينية في ستينيات القرن الماضي . ونجد أن الشباب (الذكور تحديداً) كانوا المكون الرئيس للقوات المسلحة والمليشيات الفلسطينية في لبنان بحكم هيمنة مفهوم ذكوري على المقاومة ؛ وتواصل الدور المميز للشباب في الانتفاضة الأولى وإلى حد ما في الانتفاضة الثانية (كتائب القسام ، وسرايا القدس ، وشهداء الأقصى ، وغيرهم) ؛ أما بعد الانتفاضة الثانية فغلب على الاهتمام بالشباب (من الجنسين) من قبل مؤسسات السلطة ومؤسسات المجتمع المدني اعتبارات سياسية اجتماعية

واقتصادية وتربوية (التعليم والتشغيل والتدريب والتأهيل والرياضة) ، واعتبارات استهدفت الاستقطاب التنظيمي بانت بصورة خاصة في التنافس على مقاعد المجالس الطلابية في الجامعات الفلسطينية وفي بناء الأجهزة الأمنية وتشكيلها . ثم كان الشباب موضوع اهتمام من قبل القطاع الخاص الفلسطيني (وتحديداً خريجي الجامعات) من منظور البحث عن قوة عمل شابة ومتعلمة (للتوظيف في مهام فنية وإدارية) ، ومن منظور رؤيتهم كزبائن فعليين أو محتملين لما يقدمه من سلع وخدمات[12] . وقد عاد الاهتمام بدور الشباب كعنوان للمقاومة بعد المواجهات التي اندلعت في تشرين الأول / أكتوبر 2015 بصورة فردية (في معظم حالات الطعن والدهس) وبشكل مجموعات تكبر وتصغر ، بحسب المناسبة والحالة في الاشتباك على الحواجز ومواقع جنود الاحتلال ومستوطنيه .

2. تميل معظم الأبحاث والدراسات واستطلاعات الرأي إلى التعامل مع «الشباب» كموضوع حملة هوية موحدة وليس كذوات متعددة الهموم والرؤى والتطلعات تتداخل وتتباين مع هموم ورؤى وتطلعات فئات وشرائح أخرى من المجتمع . هذا لا يقلل من كون نسبة ما ممن يصنّفون كشباب هم في مرحلة التأهّل (الاجتماعي والذاتي) للانخراط في الحياة العامة إن لم تكن قد انخرطت فيها فعلاً ، والإعداد (إن لم تكن قد قامت بذلك) لتأسيس أسرة . لكن ينبغي الانتباه إلى أن فرص الحياة (التعليمية والوظيفية والصحية والسكنية) أمام الشباب ليست متساوية وهي تخضع لشروط عدة ، أبرزها : الوضع الطبقي والمستوى التعليمي والنوع الاجتماعي والانتماء السياسي ومكان السكن (مدينة ، قرية ، مخيم) ،وتخضع ايضاً للتباين في الاهتمامات والمواهب والتجارب الذاتية .

يشي الخطاب الذي تستخدمه العديد من مؤسسات المجتمع المدني والدوائر الرسمية المحلية والإقليمية والدولية بالتعامل مع الشباب كموضوع . نجد هذا في خطاب «التمكين» للشباب (والمرأة ، وغيرهما) في المجتمع والدعوة إلى إشراكهم في صنع القرار (وكأنهم جسم مضاف وليس مكوّن وازن في المجتمع) وإلى إناطتهم بأدوار في محاربة الفقر أو البطالة ، وغيرها ، وكأن الشباب هي فقط الفئة المعينة بمهام كهذه وليس المؤسسات المكلفة بذلك . ويبرز هذا أكثر ما يبرز في استطلاعا ت الرأي أو المسوح التي تخص الشباب وحدهم في الضفة الغربية وقطاع غزة من دون أن يرافقها استطلاعات رأي أو مسوح تشمل الفئات الأخرى في المجتمع لفئات الأخرى المكونة للمجتمع بما يمكن من الاستدلال على ما هو مشترك وما هو مختلف ومصدر هذا الالتقاء والاختلاف وحيثياته . لذا يغيب صوت الشباب (بتنوعاته الاجتماعية والطبقية والسياسية والفكرية) عن معظم هذه الأبحاث والاستطلاعات .

3. فئة طلبة الجامعات والكليات (ولدينا أعداد كبيرة منهم في جامعات وكليات الضفة الغربية وقطاع غزة) هي الأوضح للعيان كفئة شبابية ذات حاجات خاصة ، من حيث الأقساط الجامعية ، وتوفير المنح للطلبة ذوي الدخل المحدود ، وتوفير المكتبات الضرورية والأماكن الخاصة للطلبة (من سكن وملاعب ، وأماكن للتجمع والحوار ، الخ) ، ومن حيث مدى ارتباط وجودهم في الجامعة

12 خلال البرامج الشبابية التي تنظمها فضائيات عربية للشباب والأطفال ، نرى الجمع بين التركيز على تنمية روح التنافس بين الشباب والأطفال (تنافس على الشهرة والدخل العالي المرافق لها) وتسويق أغاني وأزياء و دعاية لمنتجات متنوعة (على حلقات هذه البرنامج الطويلة) ، إضافة إلى التسويق لشبكة تلفزيونية دون غيرها ، وتشجيع استخدام وسائل الاتصال اللاسلكي لجني الأرباح .

بحاجات سوق العمل والرأسمال المحلي والعالمي ، وبفرص العمل بعد التخرج ، والهجرة . . . . والجامعات ، بنقاباتها ومجالسها الطلابية توفر فرصاً أوسع لتنظيم فئات من الشباب أولا كطلبة ، وثانياً وفق الانتماء السياسي والتنظيمي والمناطقي[13] . كما تتيح الجامعة للشباب ، بسبب مكانتها وحرمتها وبحكم وظيفتها فرصاً أوسع للنقاش والحوار و الحماية (وإن فترة مؤقتة) من ضغوط اقتصاد السوق ومن التزامات الوظيفة (كشروط ووضع العمل) . ثم إن الجامعة هي التي تمنح لطلبتها «رأسمالاً ثقافياً» (بالمعنى التقني والمعرفي) كشرط ضروري (وإن ليس كافياً بحد ذاته) للالتحاق بصفوف الطبقة الوسطى بمختلف شرائحها خلافاً للفئات الأخرى من الشباب الذين لا تتاح لهم فرص التعليم الجامعي والعالي (انظر : اللقاءات مع الكتل الطلابية في ورقة علي موسى المعنونة «الهبّة الشبابية الأخيرة (شمال الضفة) ؛ حديث مع أُسر الشهداء ، والكتل الطلابية وأسرى سابقين وشباب من مخيم بلاطة» في الجزء الثاني من هذا البحث) . هذا الاعتبار مهم لأن امتلاك رأسمال ثقافي يتطلب أعواماً طويلة من الدراسة والتخصص هو كرأسمال قابل أن يتحول إلى رأسمال اقتصادي (وظيفة براتب عال) وإلى رأسمال اجتماعي (شبكة قد تكون واسعة من العلاقات الاجتماعية) ، وربما يكون فرص لاكتساب رأسمال رمزي (الذي يكون من خلال العمل السياسي (التعرض للاعتقال من قبل سلطات الاحتلال مثلاً) أو الثقافي (كسب جائزة لعمل أدبي أو فني) أو الفكري المتميز) .

من المفيد التنويه إلى حقيقة أن الجامعات الفلسطينية في الضفة والقطاع بحكم التجزئة الجغرافية التي فرضها الاستعمار الاستيطاني ، لم تعد جامعات «وطنية» من حيث تكوينها الطلابي (وإن اتسع تكوينها الاجتماعي ليشمل المخيمات والقرى والفئات العمالية والطبقة الوسطى الدنيا وسكان المخيمات) ، بل باتت أقرب إلى جامعات محلية ، كل جامعة تستقطب بالأساس طلاب وطالبات من محيطها الجغرافي . كما لا بد من التنويه أيضاً إلى أن فشل الخرجين في تحويل رأسمالهم الثقافي إلى رأسمال اقتصادي (الحصول على عمل يوفر دخلا يكفي لمعيشة من دون عوز) هو من العوامل التي تولد توتراً قد يحوّل العاطلين عن العمل من خريجي الجامعات (وغيرهم من الشباب العاطل عن العمل) إلى صاعق قد يفجّر انتفاضات .

4. من الضروري تجنب التعامل مع الشباب ككتلة متجانسة ؛ فبالإضافة إلى الفروق نوع الاجتماعية (الجندرية) والاختلاف في المستوى التعليمي وفي العلاقة مع سوق العمل والتباين في مكان السكن (قرية ، مدينة ، مخيم) ، هناك تباين ، قد يكون نوعياً ، في التجربة الحياتية والاجتماعية ، وفق : أولاً ، الواقع السياسي والاقتصادي- الاجتماعي والثقافي الفلسطيني (قدس ، ضفة ، غزة ، 1948 ، أردن ، لبنان ، سوريا ، أرض ، خليج ، أوروبا ، أمريكا ، الخ) ؛ ثانياً ، وفق الفئة العمرية (فتجربة من هم ما بين السادسة عشر حتى التاسعة عشر ، تختلف عن تجربة من هم ما بين العشرين والخامسة والعشرين وبين تجربة من هم ما بين السادسة والعشرين والخامسة والثلاثين) . ولأن المؤسسات التي تؤثر على شرائح واسعة من المجتمع الفلسطيني في فلسطين التاريخية وخارجها مؤسسات ذات توجهات محافظة اجتماعياً وسياسياً ، فإن هذا يضع المرأة

13 أدت الحركة الطلابية دوراً بارزاً في تشييد الحركة الوطنية الفلسطينية المعاصرة وفي نضالها ، الأمر الذي بات مفقوداً في الزمن الراهن . وفي جنوب إفريقيا أدى الطلبة البيض والسود دوراً مميزاً في إنهاء نظام الفصل العنصري في البلاد ، انظر :
Mahmood Mamdani, "The South African Moment", Journal of Palestine Studies, Vol.XLV, NO.1 Autumn 2015, Issue 177.

والشابة تحديداً تحت قيود وضغوط واسعة ملموسة وغير ملموسة تتباين في حدتها من موقع إلى آخر ومن فئة اجتماعية إلى أُخرى .

ثم إنه لا ينبغي أن تُغيّب الفروق المهمة في أوضاع التجمعات الفلسطينية : الأقلية الفلسطينية في إسرائيل ، والقدس ، وبقية الضفة الغربية ، وقطاع غزة ، والأردن ، ولبنان ، وسوريا ، ودول الخليج ، والدول الأوروبية والأمريكية . يتضح جزء من هذه الخصوصيات من قراءة الأوراق التي ترد في الجزء الثاني في هذا الكتاب (وتحديداً الأوراق الخاصة بالشباب في غزة ، ومناطق 48 ، والقدس وبقية مناطق الضفة الغربية) . بتعبير آخر ، يقيم الشباب والشابات (كما هو حال الفئات الأُخرى) في حقول سياسية متباينة الشروط والأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والثقافية تؤثر جميعها في فرص حياة الناس بما في ذلك الشباب والشابات . معظم المسوح واستطلاعات الرأي لا تنتبه إلى التباين الواسع بين واقع الشباب الذكور والشابات ولا إلى التباين الواسع في المواقف والتوجهات والتطلعات .

تشير عدة معطيات إلى وجود تباينات واسعة مناطقية ، ونوع اجتماعية وعلى صعيد التوجهات السياسية والاجتماعية . وهذا لا يخص فئة الشباب فقط ، بل يسري على التجمعات/المجتمعات الفلسطينية التي باتت تقع تحت وقع الجغرافيا السياسية . برز هذا بصورة خاصة في كل من : مسح معهد دراسات المرأة في جامعة بير زيت (2013) ، ومركز العالم العربي للبحوث والتنمية (2015) ، ومسح الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني (2015) ، وفي مسوح مركز القدس للإعلام والاتصال (2016) ، كما من مراجعة تجربة حراكات المجموعات الشبابية الفلسطينية (2013)[14] . تطال الفروق المهمة بين القدس وبقية الضفة الغربية وقطاع غزة مستويات البطالة والفقر والتكوين المهني ، والبيئة الاجتماعية والموارد المتاحة والقيود المفروضة على كل منها . فوفق معطيات الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني بلغ معدل البطالة (15 عاماً فما فوق) في الضفة والقطاع سنة 2015 نحو 26% (من المشاركين في القوة العاملة) ، توزع كالتالي : 41% في قطاع غزة ، و17% في الضفة الغربية ، ووفق النوع الاجتماعي : 22.5% بين الذكور و39% بين الإناث . وكان التباين في مستويات البطالة واسعاً أيضاً داخل كل من المنطقتين ؛ فبلغ في محافظة رام الله البيرة ، وهو الأعلى ، نحو 20% في مقابل نحو 13% في محافظة قلقيلية ، وهو الأدنى . وفي قطاع غزة كانت النسبة الأعلى في محافظة دير البلح ، حيث بلغ معدل البطالة 48% في مقابل 36.5% في محافظة غزة (وهو الأدنى) . وهذا التباين الواسع بين المنطقتين وداخلهما مؤشر على فقدان الترابط والاندماج الاقتصادي ليس فقط بين الضفة والقطاع بل وأيضاً ، وإلى حد كبير ، داخل كل منهما . وسجل معدل البطالة نسبته الأعلى للفئة العمرية بين 20–24 عاماً حيث بلغت في الضفة والقطاع 36.5% . وبلغ معدل البطالة بين الشابات اللواتي أنهين 13 عاماً دراسياً فأكثر 48.0% من إجمالي المشاركات في القوى العاملة لهذه الفئة . ومن الجدير بالذكر أن نحو 12% من القوى العاملة الفلسطينية (وجميعها في الضفة الغربية) تعمل في إسرائيل ومستعمراتها في الضفة الغربية[15] ، وأغلبية هؤلاء من الشباب .

14 انظر : محاولات مناقشة قضايا الشباب والشابات : جميل هلال (إشراف وتقديم) ، رؤية نقدية استشرافية ، الحراكات الشبابية الفلسطينية ،(رام الله :المركز الفلسطيني لأبحاث السياسات والدراسات الإستراتيجية–مسارات ،رام الله ،تشرين الأول/أكتوبر 2013) .

15 انظر : الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني يعلن النتائج الأساسية لمسح القوى العاملة للعلم 2015 ، رام الله ، فلسطين 25/02/2016
http://www.pcbs.gov.ps/site/512/default.aspx?tabID=512&lang=ar&ItemID=1594&mid=3915&wversion=Staging

و تشير بعض المعطيات إلى تباين ملموس في مواقف الشباب في غزة والضفة إزاء عدد من القضايا السياسية والاجتماعية . ويلفت تقرير غزة (راجع بحث أكرم عطا الله في هذا الكتاب) إلى أن العينات التي جرى لقاؤها والنقاش معها أظهرت أن الشابات لم يبدين رأي بشأن موضوع الجدل الدائر بين الشباب والمتعلق بالاندماج في الأحزاب أو البحث عن بدائل أولوية لديهن لم ، ربما ذلك بسبب ما تتعرض له المرأة من إقصاء وتهميش زائدين ، فباتت تدرك حتى لو اندمج الشباب في تلك الأحزاب ، فإن فرص دمج النساء تكاد تكون منعدمة لانعدام ثقافة مشاركة المرأة سياسياً ، وكذلك ما ينطبق على الفصائل القائمة سينطبق على التشكيلات الجديدة ، فإن وجدت ستكون تشكيلات ذكورية ، كما قبلها وتلك قصة أُخرى ، لكن ربما أن ذلك هو السبب في عزوف الشابات عن البحث عن أزمة المشاركة الشبابية .

ويكفي هنا إيراد نماذج منها للتأكيد على مقولة إن الشباب لا يشكلون كتلة متجانسة وإن التباينات بينهم لا تقل عن التباينات التي نجدها بين بقية أفراد المجتمع . وهذا يسري على نقاط التوافق . هناك تقارب في درجة الثقة بالتنظيمات السياسية بين شباب الضفة الغربية وشباب قطاع غزة (15–29 عاماً) ، إذ بلغت وفق استطلاع رأي في نيسان/أبريل 2016 ، نسبة من أعلنوا أنهم يثقون بحركة «فتح» في الضفة الغربية 35% في مقابل 32% في قطاع غزة ، وبلغت نسبة من أعلنوا الثقة بحركة «حماس» 17% في الضفة الغربية في مقابل 23% في قطاع غزة . وكانت نسبة من أعلنوا أنهم لا يثقون بأي من التنظيمات السياسية متقاربة جداً في المنطقتين (33% في الضفة في مقابل 32% في غزة) . وبحسب الاستطلاع ذاته فإن أغلبية من الشباب في المنطقتين قيّمت أداء السلطة ما بين جيد جداً وجيد (60% في كل من الضفة الغربية وقطاع غزة) ، وهذا ينسجم مع رأي أغلبية (68%) من الشباب التي رأت وجوب بقاء السلطة والحفاظ عليها (66% في الضفة الغربية و70% في قطاع غزة) ، وأقلية فقط (25%) رأت ضرورة حلها (25% في الضفة و23% في غزة) [16] .

لكن استطلاعات أُخرى لرأي الجمهور (18 عاماً فما فوق) وجدت في بداية حزيران / يونيو 2016 أن أكثر من نصف العينة (52%) رأى في السلطة الفلسطينية عبئاً على الشعب الفلسطيني (في مقابل 41% رآها كإنجاز) ، وأن ثلثي العينة (65%) تريد من رئيس السلطة الاستقالة[17] . ما يشير مرة أُخرى إلى ضرورة التروي في قراءة نتائج استطلاعات رأي ومسوح تتناول آراء قابلة للتغيير وفق الحالة اللحظية المهيمنة على الجمهور .

تبرز بعض استطلاعات الرأي تبايناً واضحاً في موقف الشباب (15–29 عاماً) في المنطقتين

16 مركز القدس للإعلام والاتصال ، استطلاع رقم 86 (نيسان/أبريل 2016) ، مرجع سبق ذكره . وبحسب استطلاع عام لمركز العالم العربي للبحوث والتنمية (أوراد) أجري في نيسان/أبريل 2016 ، وأعلن في 3 أيار/مايو 2016 ، فإن حركة «فتح» تحصل ، إذا ما أجريت انتخابات للمجلس التشريعي في حينه على 30% من الأصوات (37% في قطاع غزة ، و 26% في الضفة الغربية) ، وتحصل حركة «حماس» على 16% من الأصوات (21% في قطاع غزة و 13% في الضفة الغربية) ، وتحصل كل من الجبهة الشعبية وحركة الجهاد الإسلامي على 3% من الأصوات . في حين أظهر استطلاع رأي أجري في حزيران/يونيو 2016 أن كتلة «حماس» ستحصل في حال جرت انتخابات برلمانية في حينه على 31% مقابل 34% لحركة «فتح» ، و9% لبقية الكتل مجتمعة وأن 75% سيشاركون في الانتخابات (المركز الفلسطيني للبحوث السياسية والمسحية ؛ نتائج استطلاع الرأي العام رقم 60 ، يونيو/حزيران 2016 .) .

17 المركز الفلسطيني للبحوث السياسية والمسحية ؛ نتائج استطلاع الرأي العام رقم 60 ، يونيو/حزيران 2016 .

من استمرار الهبّة الشبابية . فقد بلغت في نيسان / أبريل 2016 نسبة من أيد استمرارها بقوة و نوعاً ما 51.5% في الضفة في مقابل 76% في قطاع غزة ؛ وبان تباين مماثل في معدل تأييد (بشدة ونوعاً ما) استمرار عمليات الطعن ضد إسرائيليين ، فقد بلغت 46% بين شباب الضفة في مقابل 79% في قطاع غزة ؛ وبرز تباين واسع فيما يخص مستقبل الهبّة الشبابية ، فقد رأى 29% فقط من شباب الضفة أنها ستستمر في التطور في مقابل 45% في قطاع غزة[18] ؛ وبان تباين واضح في نسبة الذين يعتمدون على وسائل التواصل الاجتماعي كمصدر أول للحصول على الأخبار إذ بلغت النسبة بين شباب الضفة الغربية 44% مقابل 24% فقط بين شباب غزة .[19] .

5. هناك تباين واسع في مواقف الشباب إزاء عدة قضايا (تظهر هذه بوضوح من قراءة الأوراق المرفقة في الجزء الثاني من البحث) ؛ فهي تتباين بين من يؤيدون الاتجاهات العلمانية في مقابل من يؤيدون الاتجاهات الدينية السياسية (الأصولية) . فلو جرت انتخابات لأعضاء المجلس التشريعي في حينه (نيسان / أبريل 2016) ، فإن تصويت الشباب بين هذين الاتجاهين ، كان سيكون كالتالي : في الضفة الغربية 30.6% سيؤيدون الاتجاه العلماني ، و39.7% الاتجاه الإسلامي ، و29.7% لم يعطوا جواباً (وهي نسبة عالية تحتاج إلى تفسير) . وتوزعت في قطاع غزة ، كالتالي : 36.6% أعلنوا تأييدهم للاتجاهات العلمانية ، و47.1% للاتجاهات الإسلامية ، وبلغت نسبة الذين امتنعوا عن الإجابة 16.5% . وبعض النظر عن كيف ميّز الشباب بين العلماني والأصولي وأسباب امتناع نسبة غير قليلة عن الإجابة ، وتحديداً في الضفة الغربية ، فالمعطيات تظهر استقطاباً واضحاً بين رؤية ومواقف الشباب داخل المنطقتين في الرؤية السياسية والاجتماعية .

ولا بد ملاحظة هيمنة اتجاهات إسلامية أصولية على فئة واسعة من الشباب (وكذلك في المجتمع) . يظهر هذا على سبيل المثال من الإجابة عن سؤال وُجّه إلى الشباب (ذكوراً وإناثاً) عن استعدادهم لمصافحة الجنس الآخر ، فقد أعلن 65% من الشباب (بنسب متقاربة بين الضفة والقطاع) من أنهم غير مستعدين على مصافحة الجنس الآخر (81% لأسباب دينية) ، في مقابل 34% قالوا إنهم يصافحون الجنس الآخر . ثم إن أقلية مهمة (27%) من الشباب أيدت تعدد الزوجات (23.3% في الضفة الغربية ، 34% في قطاع غزة)[20] . وكان مسح للشباب أشرف عليه معهد دراسات المرأة في جامعة بير زيت (سنة 2013) أن نسبة أعلى من الشابات يؤيدن عمل المرأة خارج البيت مقارنة بالشباب (73% في مقابل 48%) ، وأن نسبة أعلى من الشباب الذكور مقارنة بالشابات اعتبروا أن المشاركة السياسية للمرأة في الأحزاب السياسية غير جائزة في كل الأحول (54% في مقابل 38%) . وهي نسب أعلى بكثير مما كانت تعكسه استطلاعات الرأي في فترة التسعينيات ، ومن غير الواضح إن كان هذا يعكس حالة الإحباط بين جيل الشباب من التنظيمات السياسية أم يعكس تراجع

18 مركز العالم العربي للبحوث والتنمية (أوراد) أجري في نيسان/أبريل 2016 ، وأعلن في 3 أيار/مايو 2016 .

19 مركز العالم العربي للبحوث والتنمية (أوراد) أجري في نيسان/أبريل 2016 ، وأعلن في 3 أيار/مايو 2016 .

20 المرجع السابق . من اللافت أن نسبة أعلى من شباب الضفة عرفوا أنفسهم أولا كفلسطينيين (50.3%) وكعرب (8.0%) مقارنة بشباب غزة (44.4%) و(0.5%) . لكن نسبة أعلى من شباب غزة عرفوا أنفسهم أولاً كوطنيين (8.5%) كمقارنة بشباب الضفة (3.1%) . المرجع السابق .

تأييد مشاركة المرأة في الحياة العامة بين الجيل الحالي ، مقارنة بجيل الآباء (جيل الانتفاضة الأولى) ، ثم إن نسبة غير قليلة (نحو الثلث) من كلا الجنسين فضلت أن تكون الزوجة أكثر «التصاقاً بالتقاليد» مقارنة بالجيل السابق ، في حين فضل نحو النصف من الجنسين درجة الالتزام نفسها بالتقاليد كالجيل السابق . ثم إن الإحساس بالقدرة على التأثير السياسي في المجتمع المحلي متدنٍ لدى الشباب والشابات[21] .

إن مثل هذه النتائج تنبه إلى الحاجة إلى اعتماد رؤية موضوعية في التعاطي مع قضايا الشباب والشعب عبر النظر إليها في سياقها الاجتماعي–السياسي المحلي والإقليمي ، والحد من النظرة الرومانسية المنافقة للشباب الغافلة عن التباينات الواسعة في مواقفهم السياسية والفكرية والاجتماعية .

لا يعود التردد في تصنيف مواقف الشباب والشابات وفق الانتماء أو التوجه السياسي والاجتماعي إلى النمو السريع لاستخدام تكنولوجيا المعلومات ووسائل الاتصال الاجتماعي من قبل الشباب كما قد يعتقد بعضهم ، بل يعود إلى التحولات التي دخلت على التجمعات الفلسطينية (والشباب فيها) ككل ، وإلى التحول في دور الأحزاب السياسية ومواقفها وصعود التوجهات الإسلامية الأصولية على حساب التيارات القومية والليبرالية واليسارية وتنامي الثقافة الفردية (ذات النزعة الفردية) الاستهلاكية داخل المجتمع . لذا لم يكن غريباً أن تبرز نتائج بعض المسوح واستطلاعات الرأي تراجعاً في مشاركة الشباب والشابات في الأنشطة الثقافية والاجتماعية في قطاع غزة والضفة الغربية وأن تكون الأدنى في القدس العربية . ففي الأراضي الفلسطينية المحتلة سنة 1967 شارك نصف الشباب الذكور وثلث الإناث الشابات (ما بين سن 18 و 35 للجنسين) في نشاط ثقافي أو اجتماعي خلال العام الذي سبق المسح (أجري المسح سنة 2013) . وكانت نسبة الشباب الذكور الذين شاركوا في نشاطات منتظمة (على أساس أسبوعي) فوق الثلث بقليل ، وأدنى من الثلث بين الشابات .

كانت النسبة الأدنى من حيث كثافة المشاركة في النشاطات الاجتماعية والرياضية للشابات في قطاع غزة ، وهو أمر متوقع نظراً إلى مواقف حركة «حماس» المسيطرة على الحكم هناك . ولأن الحركة بين الضفة والقدس والقطاع كانت محدودة جداً ، فنسبة الشباب الذكور من قطاع غزة الذين زاروا القدس أو الضفة الغربية خلال السنة التي سبقت المسح (أي في سنة 2012) لم تتجاوز 5% من مجموع الشباب الذكور (في العينة) ، ولم تزد عن 3% بين الشابات . ولم تتجاوز نسبة الشباب الذكور من الضفة الغربية الذين زاروا قطاع غزة خلال الفترة ذاتها ما يزيد عن 2% ، ولم يسجل المسح زيارات لقطاع غزة من قبل شابات الضفة الغربية[22] .

6. الظاهرة التي تستحق الانتباه هي تدني مشاركة الشباب في الحياة العامة ، فوفق ما تشير إليه المسوح واستطلاعات الرأي الخاصة بالشباب (في الضفة الغربية وقطاع غزة) ؛ فنحو نصف الشباب المستطلعين (ما بين 18 و25 عاماً) ذكروا أنهم لم يشاركوا في عمل تطوعي في حياتهم وذكر الثلثين أنهم لم يشاركوا في عمل ذي صبغة شعبية أو جماهيرية ، وكشف الاستطلاع ذاته

21 . Hammami, op.city, pp. 16-17

22 .Hammami, op.cit, p.15

أن نسبة الشباب الذين شاركوا في نشاط لتنظيمات سياسية فلسطينية تراجع من 20% في تموز / يوليو 2013 إلى 13% في آذار / مارس 2016 . ثم إن نسبة عالية من الشباب (من الجنسين) ترى أن المستقبل بالنسبة إليها غير آمن (79% بين شباب قطاع غزة و 70% بين شباب الضفة الغربية) . واعتبرت أغلبية كبيرة (74%) من شباب غزة وأغلبية وازنة (62%) من شباب الضفة الغربية أن المجتمع الفلسطيني يسير باتجاه خاطئ ، وقد جاء على رأس أولوياتهم : أولاً ، إيجاد وظيفة أو عمل ؛ وثانياً ، تغطية مصاريف التعليم ؛ وثالثاً ، الحفاظ على الحرية الشخصية ؛ أما بقية الأولويات فتوزعت على : محاربة الفساد ؛ والحفاظ على الأمن الشخصي ؛ وتغطية تكاليف الزواج ؛ معالجة عدم الاستقرار الاجتماعي . ولعل المؤشر الأكثر دلالة من حيث ثقة الشباب بالقيادات الحزبية جاء من إعلان 69% منهم بأنهم ليسوا على استعداد للمشاركة في تظاهرة عامة إذا طلبت منهم قيادة «فتح» ذلك ، وترتفع النسبة إلى 79% في حال جاء الطلب من قيادة «حماس» . وتراجعت نسبة الذين أعربوا عن استعدادهم للمشاركة في تظاهرة ضد الاحتلال من 75% في تموز / يوليو 2013 إلى 58% في آذار / مارس 2016 . وقال 20% إنهم على استعداد للمشاركة في تظاهرة ضد الحكومة في الضفة الغربية في مقابل 25% قالوا إنهم على استعداد للمشاركة في تظاهرة ضد سلطة حماس . لكن ما يثير الانتباه هو تدني نسبة الشباب في المنطقتين (في آذار / آذار 2016) الذين رأوا حاجة إلى وجود حزب سياسي جديد ؛ فقد كانت أقل من 18% في كليهما [23] ، هذا عكس ما ورد في تقرير منتدى شارك الشبابي (2011) الذي ذكر أن 80% من الشباب (ما بين سن 18و 34) يؤيدون تشكيل حزب شبابي جديد[24] .

مرة أُخرى ، ينبغي الحذر الشديد من أخذ نتائج استطلاعات الرأي باعتبارها قياسات دقيقة وثابتة للآراء والمواقف فهي خاضعة لتأثيرات اللحظة التي تمر بها القضية الوطنية والتجمع الفلسطيني المعني وممارسات الدولة المستعمِرة ، والأوضاع المعيشية (وتحديداً فرص العمل والتنقل) . لكن المعطيات تبرز تنامي الفجوة بين الجمهور ، وبالأخص الشباب ، والنخب السياسية في الضفة ، والقدس والقطاع ، ولحد ما (انظر بحث رشا حلوة بشأن وضع الشباب داخل الأرض المحتلة سنة 1948) وإن كانت الفجوة في الأخيرة تتصل ، كما يبدو ، بالعمل النضالي أكثر من التمثيل . هذه النخب تشكل ما يشبه الطبقة السياسية (تشمل الاتجاهين العلماني والإسلامي) وتجمع بين الموقع السياسي (السلطة بأشكالها الرسمية والحزبية والمؤسساتية) والعلاقة مع الرأسمال (الموقع الطبقي) . وهي طبقة اعتمدت الليبرالية الجديدة .

ثالثاً ، صراع أجيال أم صراع محوره التحرر الوطني و العدالة في توزيع الثروة والسلطة والنفوذ والوصل إلى الخدمات العامة (التعليم والصحة والرعاية . . .)؟

تقول طالبة في جامعة بيرزيت : «المشكلة ليست في قلة معرفتنا بالإسرائيليين ، ونحن لا نحتاج إلى الحديث معهم لنعرف كيف يفكرون ، إنهم يفكرون كما نفكر نحن ولكن بشكل معاكس ، أنا شخصياً لن أقوم بقتل إسرائيلي لكنني لن أندد بمن يقوم بذلك ، هم يقتلون العديد من المدنيين الفلسطينيين هنا وفي لبنان .» ورد هذا في مقال لتوماس فريدمان في نيويورك تايمز بتاريخ 1987/1/21[25] ، أي قبل الانتفاضة الأولى بإحدى عشر شهراً . أشير إليه للتدليل على أن التواصل في سلوك شباب الانتفاضة وسلوكهم راهن ، الفارق الأبرز (وليس الأوحد) هو في وضع الحركة الوطنية الفلسطينية آنذاك ، ووضعها الآن .

قد يبدو بديهياً القول إن الشباب مكون من مكونات تشكيلة اجتماعية وسياسية واقتصادية وتاريخية ، وقضايا الشباب هي من صلب قضايا المجتمع وقضايا المجتمع هي من صلب قضايا الشباب . لكنها بديهية تستحق التأكيد لأنه كثيراً ما يجري إزاحة الشباب إلى هوامش المجتمع واختزال الصراع إلى صراع بين أجيال[26] ، أو التعاطي مع الشباب باعتبارهم أقلية (على غرار الأقليات الإثنية أو الدينية أو القومية) . والشباب ، كما أشرت في الجزء الأول ، ليسوا بأقلية في المجتمع الفلسطيني إذا ما أخذنا حصتهم من السكان . وليس للشباب هوية خاصة ثابتة . هذا لا يعني أن ليس لهذه الفئة اهتمامات خاصة (رياضة وثقافية واجتماعية) بحكم الفئة العمرية التي تحكمها والأوضاع التي تعيشها واللغة التي يخاطبون بها . لكن هذا لا يضع الشباب في سلة واحدة ، ولا يضعهم خارج الحالة الوطنية ولا خارج قضايا المجتمع المتنوعة . لذا لم يكن مفاجئاً أن المسوح حول القضايا ذات الأولوية لدى الشباب ، أشارت إلى أن أغلبية ساحقة منهم (79.4%) رأت أن إنهاء الاحتلال وبناء الدولة المستقلة هي القضية ذات الأولوية الأولى ، تلاها رفع مستوى المعيشة بنسبة 7.3% [27] .

ما سبق يشير إلى الحاجة إلى إشراك الشباب في تقرير مصير مجتمعهم تماماً كما إشراك الفئات الأُخرى ، وإتاحة المجال أمامهم للمشاركة في حل المشكلات التي تواجههم كشباب بمختلف تكويناتهم (العمرية والنوع اجتماعية والمهنية والمناطقية) ؛ كطلاب كليات ومدارس ثانوية وجامعات (مشكلة الأقساط ، ومشكلة توفير سكن بشروط تمكّن الطلبة من تحملها ، ومشكلة توفير فرص عمل بعد التخرج) ؛ وكعمال شباب (مستويات الأجور ، والحقوق والضمانات الاجتماعية وأوضاع العمل وشروطه وفرصه) . وهناك مشكلة التمييز التي تواجه الشابات في سوق العمل وفي القيود المفروضة على مشاركتهم في الحيز العام وفي التمييز ضد المرأة في تولي مواقع مسؤولة في القطاعين العام والخاص من دون تمييز . وهناك قضايا عامة تتعلق بتوفير النوادي الرياضية والمرافق الثقافية ومجالات العمل التطوعي ؛ و فتح الأبواب أمام مشاركة الشباب والشابات في الهيئات القيادية في الأحزاب السياسية والمنظمات الأهلية والنقابات المهنية والاتحادات[28] .

من الخطأ تجاهل تأثير البيئات السياسية والاجتماعية والثقافية التي تقيم فيها التجمعات والمجتمعات الفلسطينية ، في هموم تطلعات الشباب والشابات الوطنية والاجتماعية والثقافية ، كما يتضح من الأبحاث الميدانية الواردة في الكتاب .

23 انظر : مركز العالم العربي للبحوث والتنمية (أوراد) ، استطلاع الرأي العام بين الشباب الفلسطيني في الضفة الغربية وقطاع غزة (2) . تاريخ النشر 12 نيسان/أبريل 2016 .

24 انظر : منتدى شارك الشبابي ، 2011 ، مرجع سبق ذكره . ص . 11 .

25 Thomas Freedman, “Palesr=tinians under bitter Israeli politics”. New York Times, 12 January 1987.

26 انظر : على سبيل المثال المقال التالي : (وهو مقال يحمل أفكاراً قيمة ،لكنه يميل باتجاه نظرية الأجيال من دون إغفال أن ما يجري هو صراع مع احتلال ونظام تمييز عنصري الإسرائيلي) :
Rivam Kafri AbuLaban, “Our youth, Our Gold”, This Week in Palestine, March 2016.

27 الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني ، النتائج الرئيسية لمسح الشباب الفلسطيني ، 2015 (رام الله ، آذار/مارس ، 2016) .

28 منتدى شارك الشبابي ، تقرير واقع الشباب الفلسطيني 2013 «المستقبل يقرع الأبواب» ، رام الله ، 2013 . (sharek.. http://www (ps/new/sharek_report_2013_arabic.pdf

قدرة الحراكات الشبابية التي شهدتها عدد من دول العالم العربي في الأعوام الأولى من العقد الحالي على التحول إلى انتفاضات شعبية اجتاحت عواصم هذه البلدان الرئيسة وأسقطت رؤساء أنظمة مستبدة وفاسدة ، دفعت بعض المحللين إلى اعتبار أن ما جرى يشكل تعبيراً عن صراع أجيال متجاهلين ، بالتالي ، أبعاده الاجتماعية (الطبقية) والسياسية والثقافية . هذه الأبعاد هي التي تفسر انحياز طبقات وفئات اجتماعية بعينها إلى الحراكات الشبابية التي رفعت شعار الحرية والمساواة والعدالة والكرامة الوطنية ، وتفسر أيضاً استنفار طبقات وفئات أُخرى لاتخاذ مواقف وإجراءات دفاعاً عن النظام القديم بما يحفظ مصالحها وامتيازاتها . الصراع لم يكن صراع أجيال بل صراع على مصالح وقيم (لذا نجد أن أبناء رؤساء الدول المستبدة (ليبيا ، سوريا ، مصر ، اليمن . . .) لم يكونوا أقل استبداداً أو فساداً من آبائهم .

الشباب الفلسطيني ووسائل التواصل الاجتماعي

تقدر أحد الدراسات أن نصف السكان الفلسطينيين في فلسطين التاريخية (الضفة الغربية وقطاع غزة والقدس والأراضي المحتلة سنة 1948) كان سنة 2015 متصلاً في العام بشبكة الانترنت ، وأن نسبة مستخدمي وسائل التواصل الاجتماعي بلغت 37% ، وأن أغلبية كبرى (96%) تستخدم مواقع التواصل الاجتماعي لمتابعة الأخبار والأحداث ، وللتواصل مع الأصدقاء (94%) ، والثلثين (66%) لمشاهدة الفيديوهات ، و61% لأغراض تتعلق بالعمل ، والنصف لتعبئة أوقات الفراغ . ثم إن نسبة الذين يأخذون بعين الاعتبار رقابة الأجهزة الأمنية لوسائل الاتصال الاجتماعي ارتفعت من 52% سنة 2014 إلى 66% سنة 2015[29]. لعل هذه الدرجة العالية من الاستخدام لوسائل الاتصال الاجتماعي هي ما دفعت بعضهم إلى اعتبار الفضاء الإلكتروني ملهاة لإبعاد الشباب عن الفعل من أجل تغيير الواقع ، ودفع بعضهم الآخر إلى اعتبار أن هذه الوسائل ألغت الحاجة إلى الأحزاب السياسية ، وأن الأطر الأخرى دونها توفر أدوات جديدة لتوليد انتفاضات واحتجاجات وثورات خارج الأدوات المعروفة والمتمثلة في الأحزاب السياسية ، والحركات الاجتماعية ، والاتحادات القطاعية والنقابات العمالية والمهنية والأطر التضامنية ومجموعات الضغط . لكن الانتفاضات العربية والحراكات الشبابية كشفت أن رفع شعارات عبر وسائل الاتصال الاجتماعي غير كاف وحده لإدامة الحراكات الشبابية وتحولها إلى حراكات شعبية ذات أهداف ووسائل واضحة من دون وجود قوى منظمة تتولى بلورة هذه الأهداف وسبل تحقيقها .

بتعبير آخر ، ليس صحيحاً القول بأنه لم يعد هناك ضرورة ولا حاجة إلى الأحزاب السياسية والحركات الاجتماعية والنقابات ، والأطر التمثيلية الأُخرى لإحداث التغيير المطلوب . هذا لا يلغي الحاجة إلى مناقشة الشروط الضرورية لجعل الأحزاب التي تتبنى رؤى تقدمية قادرة على ترجمة قيم الحرية والمساواة والعدالة الاجتماعية إلى برامج وفعاليات لتغيير الواقع القائم إلى واقع أكثر تجسيداً للحرية والعدالة والمساواة .

29 انظر : ستوديو سوشال ، تقرير وسائل التواصل الاجتماعي في فلسطين ، 2015 ، بلا تاريخ ومكان طباعة (www.sociastudio.me) . وبحسب دراسة معهد دراسات المرأة (2013) بلغت نسبة الذكور الشباب (18–35) الذين يستخدمون الإنترنت نحو 77% ، وبين الشابات 66% . وبحسب الدراسة ذاتها فإن 77% من الشباب يستخدمون الإنترنت يومياً ، في مقابل 62% من الشابات ، ونحو ثلث الشباب الذكور يستخدمون مقاهي الإنترنت في مقابل 6% من الشابات ، حيث شكل البيت للشابة مكان استخدام الإنترنت . ونسبة عالية من الشابات (80%) والشباب (90%) يستخدمون الفيس بوك . والاستخدام الأبرز هو للتحادث مع الأصدقاء .
انظر : Rema Hammami , op.cit. (p.16)

صحيح أن العالم الذي ولد فيه وترعرع الجيل الشاب يختلف في جوانب مهمة عن العالم الذي عرفه الجيل الذي سبق ، لكن من الصحيح أيضاً أن العالمين ليسا منعزلين كلياً ، بل تجمع بينهما سمات مشتركة مهمة جداً ، منها : استمرار النكبة الفلسطينية بفصولها القديمة والجديدة والمستجدة بصورها المتنوعة (احتلال ، استعمار استيطاني ، توحش ، تمييز ، حروب ، اعتقال قمع ، قيود على الحركة ، تهجير ، الخ) ؛ ومنها ما شهده الحقل السياسي من تفكك ما فتئ يتعمق ؛ ثم إن وقع التحولات الاقتصادية أو الثقافية أو الإعلامية (وبخاصة مع بروز الفضائيات المتخطية للحدود الوطنية والقومية) والتكنولوجية (بما في ذلك الكم الهائل الذي دخل على وسائل التواصل الاجتماعي و ثورة الاتصالات ونقل المعلومات والصور بسرعة فائقة) لا يخص جيلاً بعينه ، بل يشمل كل فئات المجتمع وإن بتباين ، ولا يخص الفئة العمرية فقط . صحيح أن الشباب والشابات هم أكثر ألفة واستخداماً لتكنولوجيا الاتصالات[30] من آبائهم ، لكن هذا لا يعني اختفاء مظاهر الجوع والمرض والبطالة والفقر وانتفاء الحاجة إلى العمل والسكن والمأكل والملبس والتعليم والرعاية الصحية والاجتماعية ؛ إضافة إلى أن ظواهر الفساد والاستبداد و الحروب والتمييز العنصري والعيش في منعزلات أو«بانتوستانات» والإيقاف المذل على الحواجز الإسرائيلية العسكرية والتعرض للاعتقال الإداري وهدم المنازل ومشاهدة إعدام الأطفال في الشوارع بدون رادع لا تخص جيلاً بعينه .

رابعاً ، قراءة في معطيات البحث الميداني مع الشباب

تشير معطيات البحث إلى الاستخلاص العام كالتالي : يسود التجمعات الفلسطينية في الضفة الغربية وقطاع غزة بوجه خاص ، وفي تجمعات وجاليات الشتات بوجه عام ، وإلى حد ما داخل الأرض المحتلة سنة 1948 حالة من الاغتراب بين عامة الشعب ونخبتها السياسية والاجتماعية والاقتصادية . وتتموضع هذه النخب في المناصب العليا للمؤسسات السياسية (التشريعية والتنفيذية والقضائية) وفي قيادة منظمات وهيئات المجتمع المدني ، بما في ذلك الأحزاب والاتحادات والنقابات المهنية ، والمنظمات غير الحكومية ، وقادة القطاع الخاص ، وتحديداً القطاع الخاص الحديث . تظهر مظاهر الاغتراب أكثر وضوحاً بين فئات الشباب لأكثر من اعتبار ، منها : أن جزءاً مهماً من الشباب ينتسبون إلى جامعات وإلى معاهد وإلى مدارس ثانوية ، لذا فهم يتمتعون بحماية من محددات سوق العمل وتقلباته لكون أغلبيتهم العظمى هي خارج سوق العمل ، وهم بالتالي خارج الالتزام بمتطلبات الوظيفة (الدوام ، الالتزام بتعليمات المسؤول أو رب العمل) . ومنها أيضاً أن مرحلة الشباب كما أشرت سابقاً هي مرحلة تكوين أسرة بكل ما يعنيه ذلك من الحاجة إلى مصدر دخل آمن (نسبياً) يوفر إمكان اقتناء مسكن وتحمل مصاريف الزواج (تحديداً للذكور) و تكوين أسرة . ولذا فإن وجود نسبة عالية من البطالة في المجتمع يعني أن الشباب هم الأكثر عرضة للبطالة ، ما يجعلهم الأكثر انشداداً لأسئلة المستقبل السياسي والاقتصادي–الاجتماعي . ثم إن الشباب في الضفة والقطاع هم الأكثر عرضة لإجراءات القمع والتنكيل والاعتقال من قبل سلطات الاحتلال ، وهم الأكثر عرضة للقيود على الحركة وللتعاطي معهم باعتبارهم الفئة الأكثر استعداداً للجوء إلى المقاومة العنيفة والانتفاض ضد

30 يتأمل مثقف وسياسي من غزة في استخدامات تكنولوجيا الاتصالات الحديثة ولغتها كاتباً : «ألا ترون أن كثيراً من الشباب –بسبب الإحباط والضياع السياسي – يفرون من الواقع والتخطيط والتفكير الاستراتيجي والعمل المتقن ، وأصبحوا يناضلون الاحتلال بكثرة «اللايكات» ويحاربون الحصار بـ«الهاشتجات» ويسوقون لطموحاتهم بـ«التغريداتس» ، ويتفاخرون بـ«البوستات» . .وتتابع المعارك والمناظرات الطاحنة على «الواتس اب» كأنها «ذي قار» ، بينما يكون أحدهم يكتب أو يغرد أو «يهشتج» وهو تحت اللحاف أو «يقزقز اللب»!! (د . غازي حمد ، «خريفة» المصالحة ، سما الإخبارية ، 10 نيسان/أبريل 2016)

المحتل . ثم إنهم الأكثر عرضة من أجهزة الأمن الفلسطينية (في الضفة كما في القطاع) لأسباب تتعلق بالموقف والنشاط السياسي المعارض في كلا المنطقتين .

العزلة (الجغرافية والسياسية والمؤسسية) الحاصلة بين مختلف تجمعات الشعب الفلسطيني بعد تفكك مؤسساته الوطنية الجامعة (السياسية والشعبية والمهنية) يمثله بشكل ساطع الانقسام الحاصل بين حركتي «حماس» و«فتح» ونظام الحكم الذاتي الإداري الذي تمارسه كل منهما في منطقة نفوذها (قطاع غزة ، والضفة الغربية) ، تتقاطع مع فصل أفقي بين نخبة صغيرة من الأفراد الذين لديهم نفوذ ما (مقيداً بسلطة الدولة الاستعمارية وحصارها) في الضفة والقطاع يفصلهم عن بقية الشعب في الضفة الغربية وقطاع غزة . لا بد من الانتباه إلى أن سلطة الحكم الذاتي (في كل من الضفة والقطاع) هي سلطة إدارية–أمنية ، لكنها تمس جوانب حياتية حيوية للناس (كالتعليم ، والصحة ، والضمان الاجتماعي أو غيابه ، وفرص عمل أو غيابها) . وهي نخبة تتميز بموقعها من الثروة (الدخل العالي وصور متعددة من الملكية) والامتيازات (الموقع في سلم السلطة وما تفرزه من تمايز في المكانة في المجتمع المحلي ، وحيازة بطاقة الشخصيات المهمة الممنوحة من إسرائيل) .

هذا الفصل الأفقي بين النخبة (أو الطبقة السياسية) والشعب لا يظهر بوضوح عبر الانقسام العمودي ، لكن يميزه الناس ، ومنهم فئات الشباب ، بوضوح . وهذا الوضوح هو الذي دفع قيادات في حركة «فتح» ، كمروان البرغوثي ، عضو اللجنة المركزية لحركة فتح ، وعضو المجلس التشريعي والأسير في سجن هداريم الإسرائيلي ، للدعوة إلى «توليد نخبة سياسية جديدة حيّوية وديناميكية ملتزمة بالثوابت ومستعدة لدفع استحقاقات مرحلة التحرر الوطني بشجاعة بعيدا عن الفساد والكسب غير المشروع والترهل والعجز والفشل وعقلية الإقصاء والتفرد»[31] .

من مؤشرات الاغتراب بين الشباب والنخبة السياسية هذه ، تدني مشاركة نسبة عالية من فئة الشباب (ما بين 15 و29) وتحديداً من وُلد أو أدرك الحياة بعد اتفاق أوسلو (1993) في الحياة السياسية والمدنية ، وتدني نسبة الانتماء إلى أحزاب سياسية أو مؤسسات اجتماعية (انظر استطلاع الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني عن الشباب للعام 2015) . والشباب أسوة بأغلبية المواطنين (67%) في الضفة والقطاع يرون أن السلطة الفلسطينية لا تقوم بكل ما تستطيع لتوفير الحماية من إرهاب المستوطنين وجنود الاحتلال . وترى نسبة عالية جداً من السكان أن وجود فساد في مؤسسات السلطة في الضفة الغربية وفي قطاع غزة[32] ، وفي الوقت نفسه ، إن النسبة الأكبر من المواطنين (ومن الشباب) لا تريد حل السلطة (انظر استطلاع مركز القدس للمعلومات والاتصالات الأخير نيسان / أبريل 2016) ، لأن لا بديل ظاهر لهذه السلطة سوى عودة الاحتلال بكل عدّته وعتاده مع تغوّل جديد محتمل لمستوطنين (مستعمرين) مسلحين وعنصريين . إضافة إلى أن السلطة الفلسطينية ، رغم أي اعتبار آخر ، تبقى مصدر دخل لنسبة عالية من الأسر الفلسطينية (في الضفة والقطاع) . هذا لم يمنع أن يعتبر نصف المستطلعين (من الجمهور العام) في منتصف أيلول / سبتمبر 2015 (أي عشية تفجر المواجهات الشبابية مع جنود ومستوطني الاحتلال) أن السلطة باتت عبئاً على الشعب ، وأكثر من نصفهم أيد العودة إلى انتفاضة مسلحة ، وقرابة الثلثين (65%) ارتأى أن حل الدولتين لم يعد حلاً عملياً بسبب التوسع

31 مروان البرغوثي ، «نحو توليد نخبة سياسية جديدة» ، مجلة الدراسات الفلسطينية ، العدد 106 ، ربيع 2016، ص 10 .

32 بحسب استطلاع لمركز العالم العربي للبحوث والتنمية (أوراد) بلغت النسبة في نيسان/أبريل 2016 نحو 89% في مؤسسات السلطة في الضفة الغربية و80% في مؤسسات سلطة حماس في قطاع غزة (انظر استطلاع الرأي العام الفلسطيني الذي نشر في 3 أيار/مايو 2015) .

الاستيطاني ، وأن المشكلات الأساسية التي تواجه المواطنين الفلسطينيين بالإضافة إلى الاحتلال تتمثل في النسب العالية من الفقر والبطالة وتفشي الفساد ، وباتت أغلبية كبيرة (80%) محبطة من الموقف العربي تجاه القضية الفلسطينية التي لم تعد ، في نظر المستطلعين ، قضية العرب الأولى[33] . وتجدر ملاحظة أنه لم تحصل أي شخصية فلسطينية على ثقة تزيد عن 15% من المستطلعين . و بلغت نسبة الذين أعلنوا بأنهم لا يثقون بأي من التنظيمات السياسية القائمة في الضفة والقطاع نحو 36% (بالإضافة إلى 3.7% لم تعط جواباً)[34] . وفقدت النسبة الأكبر من الجمهور الفلسطيني في الضفة والقطاع الأمل في إنجاز مصالحة وطنية بين «فتح» و«حماس»[35] .

تشير معطيات لهذا العام إلى أن أغلبية الجمهور الفلسطيني في الضفة الغربية وقطاع غزة تؤيد التخلي عن اتفاق أوسلو ، وتشير أيضاً إلى أن ما يقترب من نصف المستطلعين في قطاع غزة وأكثر من خُمسهم في الضفة الغربية عبّروا (في آذار / مارس 2016) عن رغبة في الهجرة إلى الخارج . وذكروا أن وراء هذه الرغبة يكمن غياب فرص العمل ، والحصار الخانق المفروض على قطاع غزة ، والإحساس بغياب الأمن وتدني احترام الحريات الديمقراطية . ثم باتت أغلبية الجمهور الفلسطيني في الضفة والقطاع ترى أن حل الدولتين لم يعد قابلاً للتنفيذ ، وإن بقيت ، رغم ذلك ، الأغلبية تدعم حل الدولتين[36] ، ربما للاعتقاد السائد والمروج له محلياً وإقليمياً ودولياً أن الحلول الأخرى المقترحة أصعب تطبيقاً بسبب الموقف الإسرائيلي .

معيقات تحوّل المواجهات الشبابية مع الاحتلال إلى انتفاضة شعبية

تتشارك الأبحاث الميدانية الواردة في هذا الكتاب في إبراز حقيقة أن الجزء الأكبر من المواجهات الشبابية لجنود الاحتلال ومستوطنيه في الضفة الغربية ، جرى إما بصورة فردية ، وأدت في معظمها إلى الاستشهاد أو الاعتقال ونسبة غير قليلة منهم كانت من الأطفال (16 عاماً أو أقل) ؛ وإما بصورة مجموعات شبابية (تتراوح أعدادها من بضع عشرات إلى بعض مئات) عبر الاشتباك مع حواجز عسكرية إسرائيلية (أبرزها بيت إيل . شمال رام الله ، وحاجز قلنديا في جنوبها)[37] . وشهدت أواخر سنة 2015 احتجاجات شعبية شارك في بعضها عدة آلاف لكنها كانت تحركات مطلبية تتمركز حول قضية واحدة ، كمطالبة إسرائيل الإفراج عن جثامين شهداء أو مطالبة قوات الاحتلال بفتح شارع أغلقته ، أو احتجاجاً على الاعتداء على مقدسات دينية (الأقصى) أو تضامناً مع أسرى مضربين عن الطعام احتجاجاً . ما تؤكده اللقاءات مع العديد من الشباب أن اشتباكاتهم مع قوات الاحتلال ومستوطنيه (بصورة أفراد أو مجموعات) جرت بدون توجيه من تنظيمات سياسية بما فيها

33 انظر : المركز الفلسطيني للبحوث السياسية والمسحية ، استطلاع رقم 57 (نشر في 6 تشرين الأول/أكتوبر 2015) ، رام الله .

34 روى لي أحد الذين قابلتهم (في نيسان/أبريل 2016) أن جنازة مهند الحلبي حضرها ، في تقديره ، نحو 15 ألف شخص (وكان هو من المشاركين) ، وعندما قام أحد أعضاء اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير (ممثل جبهة التحرير الفلسطينية) إلقاء كلمة (في جامع جمال عبد الناصر) ، اعترض الحاضرون لأنهم رفضوا أن يتحدث لهم أحد من التنظيمات السياسية ، ولو لم يتدخل أب الشهيد لرفض الناس الاستماع إليه .

35 انظر : مركز القدس للإعلام والاستطلاع ، استطلاع رقم 85 ، (آذار/مارس 2016) .

36 انظر : المركز الفلسطيني للبحوث السياسية والمسحية ، استطلاع رقم 59 (نشر في 21 آذار/مارس 2016) ، رام الله . النسب نفسها تقريباً ترد في استطلاع رأي أجراه مركز استطلاعات الرأي والدراسات المسحية في جامعة النجاح الوطنية ، استطلاع رقم 51 (تشرين الثاني/نوفمبر 2015 . فقد ذكر 33.3% من العينة أن الأوضاع الحالية في الضفة والقطاع تدفعهم إلى الرغبة في الهجرة إلى خارج فلسطين (22.2% من الضفة الغربية ، و 52.4% من قطاع غزة) : https://www.najah.edu/ar/search

37 حول تشخيص سمات الهبّة الشبابية الأخيرة ، انظر : مسارات ، تقدير موقف – «الموجة الانتفاضية . . . السمات الراهنة وآفاق المستقبل» ، (شارك فيه عدد من الباحثين الميدانيين) (رام الله) ، تموز/يوليو 2016 .

تلك التي ينتمي إليها تنظيمياً الشاب/ة أو يؤيدها سياسياً . وتشير هذه والمعلومات التي نشرت عن الشهداء أن معظمهم من الجيل الذي ولد وترعرع في عهد السلطة الفلسطينية (بعد اتفاق أوسلو) .

لماذا لم تتحول الهبّة الشبابية ضد المستعمر المحتل إلى انتفاضة شعبية ، رغم أن توّحش الدولة الصهيونية تضاعف مرات عما كان عليه سنة 1987 وحتى سنة 2000؟ فالاستيطان ومصادرة الأرض استمرا من دون توقف وجدار الفصل العنصري ما زال في مكانه ، وتوحش إسرائيل ومستوطنيها على أشده ، وأعداد الأسرى الفلسطينيين في سجونها ازداد ، واجتياح مناطق السلطة الفلسطينية (مناطق أ) يتواصل ، كما هو الحصار العنصري المفروض منذ قرابة عشرة أعوام على قطاع غزة الذي تحول إلى معسكر اعتقال لمليوني فلسطيني محتجزين عنوة في بقعة هي من أكثر بقاع الأرض كثافة سكانية ، حيث يتعرض سكانه لسياسة تقترب من الإبادة الجماعية[38] . وفي الضفة الغربية يحتفل جنود الاحتلال ومستوطنيه بإعدام الأطفال وحرقهم من دون رادع أو تردد ، ويتواصل تدمير المنازل الفلسطينية كعقوبة جماعية ودنيئة الأخلاق ومعادية للإنسانية ، كما هو حال الاعتقال الإداري ، وسن قوانين عنصرية تجاه الفلسطينيين المحتلين منذ سنة 1948 . خلاصة الأمر أن الفلسطيني المقيم على أرضه يتعرض لدرجة غير مسبوقة من القمع الجماعي ومن حجز للحريات الفردية والجماعية ومن سيطرة بربرية على كل مناحي حياته . السؤال إذن هو لماذا لم تتحول حالات الاشتباك الفردية أو المحلية مع المحتل إلى انتفاضة شعبية؟ ولا يفيد التحايل في الإجابة عن السؤال بتسميتها انتفاضة القدس أو موجة انتفاضية ، أو هبّة جماهيرية أو غير ذلك .

لا بد من البحث عن تفسير في الوضع الذاتي للحركة السياسية الفلسطينية التي فقدت مؤسساتها التمثيلية الجامعة وقيادتها الشرعية ، وبناء عليه فقدت القدرة على تنظيم وقيادة مقاومة واضحة الأهداف وشاملة لكل مكونات الشعب الفلسطيني تجمعها رؤية تخاطب مصالح وحقوق هذه المكونات المحددة والعامة وتخاطب العالم (كشعوب ، ومؤسسات إقليمية ودولية ، وأحزاب وحكومات) بلغة هذه الحقوق والمصالح ، وتطرح مخرجاً ديمقراطياً لليهود الإسرائيليين يشترط التخلي عن الصهيونية بما هي أيديولوجية استعمارية استيطانية عنصرية ، كما حدث في جنوب إفريقيا ، حيث طرح حزب المؤتمر الإفريقي حلاً ديمقراطياً جامعاً لمن هم من أصل أوروبي ولمن هم أصل إفريقي على قاعدة تفكيك وإنهاء نظام الأبرتهايد ، وهو ما كان .

فقدان المؤسسات الوطنية وتحول جذري في بنية التنظيمات السياسية ومهامها

حالة التنافر المستفحلة بين حركتي «فتح» و«حماس» والفصل السياسي والمؤسَّسي والجغرافي بين الضفة الغربية وقطاع غزة ، هما من أبرز مظاهر تفكك الحقل السياسي الوطني (الحقل بمفهوم منظومة قوى) إلى مكوناته الجغرافية بعد أن انفك الترابط السياسي والمؤسَّسي والبرنامجي بينها .

38 يقول أحد المعلقين المقيمين في قطاع غزة : «الأوضاع في القطاع صعبة إلى حدود قصوى بسبب الحصار المشدد المضروب على القطاع منذ فترة طويلة لكن تجربة العدوانات الثلاثة الواسعة السابقة لا تفيد بأن النتائج قد تنطوي على انفراج لسكان القطاع ، وعلى أن الفلسطينيين يتكبدون خسائر ضخمة ولا يحصلون إلاّ على دمار فوق دمار . الدمار الذي خلفته العدوانات السابقة لا يزال شاهداً حياً ، لم تخفف منه مؤتمرات إعادة الإعمار التي رصدت مليارات الدولارات ، ووضعت في يد إسرائيل قرار التصرف بشأنها . وبالرغم من التخصيصات الكبيرة التي جرى رصدها لإعادة الإعمار بعد حرب 2008 2009 ، وحرب 2014 ، إلاّ أن الأمم المتحدة تواطأت مع إسرائيل من خلال ما يعرف بخطة سري ، ما مكن إسرائيل من تعطيلها .» (طلال عوكل ، «الحقيقة كما نراها» ، الأيام ، 2/5/2016). http://www.al-ayyam.ps/ar_page.php?id=10e19155y283218261Y10e19155#sthash.bZh73qwO.dpuf

والخشية الآن تكمن في أن يتواصل التفكك ليطال التنظيمين الأكبر[39] بما أنهما حزبان حاكمان (حكم إداري ذاتي) على إقليمين منفصلين يخضعان إلى احتلال استعماري منذ أربعين عاماً . هذه الخشية تسندها حالة التخبط السياسي وتراجع الوزن السياسي الجماهيري لكل منهما ، وغياب تنظيم أو كتلة ثالثة وازنة قادرة على قيادة المرحلة خارج سياق التنظيمين السلطويين . لم يعد يُلمس معايير أخلاقية (بمعنى قيَمية) واضحة في إدارة شؤون الحكم الإداري الذاتي من قبل الحزبين الحاكمين اللذين باتا كما يبدو ، يعتمدان بصورة أساسية على المؤسسات البيروقراطية للسلطة (التي توفر الوظائف للأعضاء والموالين) وعلى الأجهزة الأمنية التي تستحوذ على الحصة الأكبر من مواردهما المعتمدتين على التحويلات الخارجية . وبات واضحاً أن جهد أساسي من نخب السلطتين ينصبّ على إدارة وترتيب علاقاتها الخارجية والدبلوماسية ، وعلى توفير الخدمات التعليمية والصحية الأساسية (بالتشارك مع وكالة غوث وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين ، والقطاع الأهلي) وتعزيز القبضة الأمنية على المعارضة .

الأوضاع الموضوعية (المتمثلة في توحش الدولة المستعمرة وتنكيلها الجماعي) مهيأة إلى أبعد حد لتفجر انتفاضة شعبية ، لكن الشروط الذاتية غير مهيأة لذلك . وهذا ما يصنع الفرق بين الانتفاضة الأولى والثانية والمواجهات الشبابية مع قوات الاحتلال . لذا ليس دقيقاً القول إن «الأوضاع الذاتية والموضوعية غير مهيأة لاندلاع انتفاضة ، لاسيما في ظل اختلاف الأوضاع التي تعانيها التجمعات الفلسطينية المصنّفة إلى مناطق : (أ) و(ب) و(ج) ، والقدس التي ضمت إلى إسرائيل ، وقطاع غزة المحاصر ، وأراضي 48 التي خرجت من الحساب منذ توقيع اتفاق أوسلو . . .» . هذا الوضع لم يمنع تفجير الانتفاضة الثانية ولا «غياب تمركز قوات الاحتلال داخل المدن» ، ولا «غياب أفق سياسي ينبئ بانتصار سريع»[40] . الصحيح هو أن الانقسام لم يكن قد أخذ الشكل الذي أخذه منذ منتصف سنة 2007 . ثم إن عدم قدرة «الهبّة» الشبابية التحول إلى «انتفاضة شعبية» كما حدث في انتفاضة سنة 1987 لا يعود فقط إلى التماسك النسبي في الوضع الداخلي والجماهيري للتنظيمات السياسية فحسب ، وهو أمر مهم جداً ، بل وأيضاً إلى تنظيم المجتمع المدني المتماسك سواء في شكل الاتحادات الشعبية والنقابات المهنية أو في الأطر الجماهيرية للتنظيمات الفلسطينية الرئيسة (وتحديداً للشباب والطلاب والمرأة والعمال والمعلمين) .

يصعب في الضفة والقطاع الاستدلال على ما يمكن اعتباره حركة تحرر وطني أو دولة تتمتع بالحدود الدنيا من الاستقلالية والسيادة الوطنية . ما هو قائم لا يتعدى حُكمَين إداريينَ ذاتيَين تحت سيطرة دولة استعمارية أحدهما في غزة (تحت سيطرة حركة «حماس») والآخر في الضفة الغربية (تحت سيطرة حركة «فتح») . هذا يعني أن كلا التنظيمين فقد سمة حركة التحرر بعد أن أعاد صوغ بنيانه وبرنامجه الممارس على أساس سلطوي . ما نجحا في القيام به هو نقل تنظيم سياسي لحركة

39 أكد مستشار الرئيس محمود عباس لشؤون الشباب والقيادي في حركة فتح ، مأمون سويدان أن الحركة تعاني من ضعف وترهل خلال الأعوام الأخيرة . وقال :«حركة فتح في السنوات الأخيرة بدأت تغيب عن هموم الشارع وجمهورها وتبدو وكأنها ضعيفة ولا تلبي طموحات وآمال جماهير شعبنا» . مضيفا أنه «يسيطر على الجسم الحركي شخصيات ضعيفة أقل ما يمكن أن يقال عليها لا تملك رؤى واستراتيجيات لإعادة الروح للحركة وإعادة الثقة لها بما يسهم في إعادة هيبتها ومصداقيته ومكانتها» . وقال :«نريد أجيالاً فتحاوية مناضلة وواعية مثقفة تحمل الأمانة والرسالة وتواصل مسيرة النضال . .نريد جيلاً فلسطينياً قادراً على تحقيق طموحات شعبنا» . انظر : مقابلة مع سويدان بعنوان : «فتح تعاني من الترهل وقيادات تريد سلخ الحركة عن هويتها» ، وكالة معا الإخبارية ، نشر بتاريخ : 20/05/2016 .(http://www.maannews.net/Content.aspx?id=848150)

40 هاني المصري ، (عاشت «الانتفاضة» . . . ماتت «الانتفاضة» ؟) ، الأيام ، 17/5/2016 .
http://www.al-ayyam.ps/ar_page.php?id=10f2451ey284312862Y10f2451e#sthash.5EtiMsBX.dpuf

تحرر إلى تنظيم يقود مؤسسات حكم ذاتي ذات هيكليات تراتبية وظائفية معزولة ، إلى حد بعيد ، عن حياة الناس اليومية . بقيت التنظيمات السياسية الأُخرى في العقدين الأخيرين تنظيمات ذات قاعدة جماهيرية صغيرة ولم تعمل (وتحديداً التنظيمات ذات التوجهات المتقاربة) على تشكيل كتلة تاريخية مانعة للتفكك والتردي الحاصل في الحركة السياسية الفلسطينية . لذا لم يظهر العمل الميداني اهتماماً من قبل الشباب بهذه التنظيمات الصغيرة ودورها .

يقول تقرير صحافي عن قطاع غزة أن العمل السياسي الفلسطيني «أصبح يركّز على طرح مبادرات لحل المشكلات الداخلية كأزمة الكهرباء ورواتب الموظفين وإغلاق معبر رفح ، ولم يعد هناك فعل سياسي حقيقي»[41] ، ويصف كاتب من غزة الواقع الراهن كالتالي : «في قطاع غزة حالة غضب على الجميع ، وإن كان الاحتلال مصدر كل مصائبنا وسبب كل المشكلات التي يعانيها القطاع كما بقية الوطن ، وبالتالي فالغضب والحقد عليه سابق على غيره ، إلا إن الانقسام وزعم فصائل المقاومة أنها حررت قطاع غزة من الاحتلال مرة أولى سنة 2005 وحررته حركة «حماس» مرة أُخرى من السلطة سنة 2007 ، جعل حالة الغضب تتجه نحو حركة «حماس» أكثر من غيرها ، ولأنها السلطة الفعلية في القطاع وتتحكم بكل مفاصل الحياة ، كما تصيب نيران الغضب بشظاياها السلطة وكل الأحزاب والفصائل ومافيات إعمار القطاع ، والأطراف العربية والأجنبية التي تشارك في حصار غزة وتتلاعب بالقضية الفلسطينية . . .»[42] . كما أثارت حالات الجريمة والانتحار والحرق الانتباه كونها باتت تشكل ظاهرة في قطاع غزة تحت وطأة الواقع المعيشي المتردي جراء الحصار الإسرائيلي المفروض على القطاع وجراء السياسات المعتمدة من التنظيم الحاكم . ولّد هذا الوضع حالة اليأس التي يمر بها الشباب الفلسطيني لانعدام فرص العمل وانسداد الأفق السياسي والاقتصادي والاجتماعي[43] .

وأما في الضفة الغربية فقد جلب الانتباه بروز حالات من «الفلتان الأمني» صيف 2016 وتحديداً في نابلس وجنين[44] ومردها حالة الاحتقان السياسي والمعيشي في الضفة ، لكن اهتمامات النخبة السياسية في الضفة تختلف عما هو سائد في القطاع ، فقد تنشغل بحضور اجتماعات اللجنة التنفيذية والمجلس المركزي ، وفي إصدار وقراءة البيانات عن هذه الاجتماعات ، والتي لا تقرأ من الجمهور . أما معظم الناس فمشغولون بتدبير حياتهم اليومية ، وفقدوا الاهتمام بما تجريه الطبقة السياسية من اتصالات أو ما تصدره من قرارات أو بيانات . تقول شابة (في حوار لي معها) تعمل في مؤسسة غير حكومية أوروبية :

> «بشكل عام الناس لا تفرق بين السلطة وبين فتح . وهناك نفور عام من جميع التنظيمات ، بما فيها من (الجبهة) الشعبية بسبب تواطؤ التنظيمات مع فتح في إبقاء الوضع الراهن على حاله . الناس فقدت إيمانها بالتنظيم . . . الخطاب اليساري فقد

41 انظر : أسماء الغول ، « كيف تغيّر العمل السياسيّ في قطاع غزّة؟ المونيتر ، نبض فلسطين . 28 شباط/فبراير 2016 .

42 د . إبراهيم أبراش ، «في قطاع غزة حالة غضب على الجميع» ، وكالة ساما الإخبارية ، 16/5/2016 .
http://samanews.com/ar/index.php?act=post&id=270403

43 انظر : التقرير الوارد في وكالة معا الإخبارية : بتاريخ : 15/05/2016
http://www.maannews.net/Content.aspx?id=847317
وأورد خبر من الوكالة ذاتها بتاريخ 16/5/2016 أن «أجهزة الأمن في غزة اعتقلت الخريجين رائد نصر وأكرم العامري المضربين عن الطعام في ساحة الجندي المجهول وسط غزة للمطالبة بفرصة عمل» .

44 انظر : «الفلتان الأمني يتفاقم . . .5 قتلى و16 جريحاً بشجارات في جدنين ونابلس» ، تقرير المركز الفلسطيني للإعلام ، تاريخ 29/6/2016 (https://www.palinfo.com/news/2016/6/29).

مصداقيته لأنه لا يترجم (ما يقول) إلى أفعال على الأرض . قواعد التنظيمات هي من يعاني ، القيادة تحظى بامتيازات وتساوم (وذكرت أسماء قيادات هنا) . . . .هناك تقدير لحماس لتبنيها المقاومة لكنني لا أوافق على مواقفها من القضايا الاجتماعية والاقتصادية ، وهي تقوم في غزة بممارسات السلطة نفسها هنا . . . .الهبّة الشبابية الراهنة هي انعكاس لواقع المجتمع ، أي تقوم على العمل الفردي ، والفردية هي ما يسود وفقاً لسياسة النيوليبرالية المعتمدة . . . . ولأنها عمل فردي ولا قيادة لها فهي مربكة لإسرائيل ، وهي أسلوب جديد في المقاومة . . .» . وتضيف :

«هناك مزايدات بين المجموعات الشبابية والأفراد على صفحات «الفيس بوك» بسبب غياب المرجعية والشعور بالذنب (على عدم القيام بنشاط وطني ، وبسبب العجز) . لاحظت هذا من مشاركتي في مسيرات وتظاهرات النبي صالح (حيث البعض يقول «نحن شاركنا» وأنتم لم تشاركوا) ، خف النشاط في النبي صالح ، لأن الهدف لم يعد واضحاً من المسيرة ذاتها ؛ من خمسين متظاهراً *20* يحملون كاميرات (ما جعل الحراك أقرب إلى العمل الدعاوي الفردي) . صحيح كانت هناك مقاومة واعتقالات لكن مشاركة يساريين إسرائيليين (من الحركة الفوضوية) وأوروبيين لم يكن مريحاً للبعض منا . . .قيادة اللجنة التنسيقية للمقاومة الشعبية من فتح وهي لم تقم بالدور المطلوب ، وهذا ساهم في توليد عدم ثقة بالعمل الجماعي . . . . .لم نعد نعرف كيف يمكن أن نقوم بعمل جماعي . هناك مشكلة في الوعي الاجتماعي . مدارسنا ليس فيها تعليم مقاوم . بنك فلسطين يقدم دروس في المدارس (الإعدادي) كيف يتم فتح حساب بنك ، ولا أحد يعلم هؤلاء كيف يقاوموا . . . .هناك فجوة واسعة (في الدخل) بين الناس وأنا لا أشعر بالراحة لما بنام لأن راتبي عالي نسبياً بالمقارنة مع البعض الذي لا يستطيع أن يطعم أطفاله .»

تغلغل النزعة الفردية والروح الاستهلاكية

هذا التحول في بنية التنظيمات السياسية ودورها رافقه تحول في التوجهات الاجتماعية التي تتمثل في تغلغل النزعة الفردية والنزعة الاستهلاكية التي عززها تبني كل من «فتح» و «حماس» نهج الليبرالية الجديدة كسياسة موجهة في منح الرأسمالية (التجارية والمالية والعقارية) دوراً مقرراً في تنظيم المجتمع ، حيث يصبح القطاع الخاص هو مقرر فرص الحياة وأشكال التنظيم الاجتماعي ، وتصبح السلطة الراعي لمصالح الرأسمال الخاص . هذا ما انعكس على هيمنة الصيغة الفردية والمحلية للمقاومة وتراجع صور المقاومة الجماعية ، وامتد هذا ليشمل الحركة الأسيرة ، إذ بات النضال الفردي هو الغالب على نشاط الحركة الأسيرة . يقول أحد الأسرى المحررين بشأن تداعيات اتفاق أوسلو ثم الانقسام بين حركتي «فتح» و«حماس» : «بدأنا نعيش مظاهر غريبة : تغليب المصلحة الفصائلية الضيقة على مصلحة الكل الوطني ؛ الانتماء الجغرافي ؛ النزعة الاستهلاكية ؛ تويل الاحتجاز ؛ تراجع الاهتمام بالثقافة والقيم الوطنية الجامعة»[45] ، ومن هنا لجوء عشرات المناضلين إلى الإضراب الفردي احتجاجاً على اعتقالهم الإداري الظالم .

45 عبد الرازق فرّاج ، («3000 ليلة» وحكاية من وراء القضبان) ، مجلة الدراسات الفلسطينية ، العدد 106 ، ربيع 2016 ، ص 204 .

يقول شاب (في النصف الثاني من العشرينيات عمراً) يعمل في مؤسسة بحثية مستقلة في حوار أجري معه :

«لا أحد يأخذ السلطة جد أو يتبع ما تقوم به ، والأغلبية لا تعرف أسماء الوزراء ولا أسماء المجلس التشريعي . التعامل مع السلطة يتم فقط على صعيد خدماتي (كهرباء وماء (خدمات بلدية) ، ولا يوجد رهان على السلطة سياسياً . . . . يسود إحساس بين الشباب بأن لا جدوى من السعي لإصلاح السلطة وبالتالي يجري التعامل معها وكأنها غير موجودة . لا أحد يتكلم عن «فتح» باعتبار أنها مندمجة تماماً في السلطة ، و«حماس» ينظر إليها كفصيل مقاومة . يرى البعض من الشباب أن الخروج من المأزق يتطلب إعادة البناء على أساس مشروع وطني تحرري لكن لا تعويل على القوى الحالية لإعادة بنائه . لا أحد يتابع أخبار أو تحركات المصالحة . الشباب «تسب» على (تلعن) السلطة (أكثر من أي شيء آخر) . . . . هناك «خواء فكري» ولا توجد محاولات جدية لإعادة بناء المشروع الوطني الفلسطيني بصورة جماعية ، لا جدل جدي . لا مبادرات جماعية . . . ولا اتفاق بين الشباب على أولويات العمل السياسي . هناك مجموعات صغيرة من الشباب تعمل على مشروع محدد (مثل «حب زمن الأبارتهايد» ، و«باب الشمس» ، وبلعين ونعلين والنبي صالح ، وغيرها) . موضوع المقاومة الشعبية فشل لأن أغلبية تنسيقية المقاومة الشعبية هم من حركة «فتح» ، واستخدمت لأهداف شخصية وتنظيمية ، وبسبب خلافات داخل البلدة الواحدة ، وتوفر تمويل خارجي أوجد خلافات حول أوجه الصرف . . . . غلبة العمل الفردي (السكاكين) على هبّة الشباب الأخيرة دليل على فشل التنظيمات السياسية في تأمين الحماية للناس ، ما جعل «الموت والحياة» شيئاً واحداً عند البعض ، إحساس عام بفقدان الأمل من التنظيمات السياسية . المحرك هو الذل اليومي وغياب مشروع جمعي للخروج من هذا الذل الجمعي . . . . . إحجام الناس عن المشاركة في الانتفاضة يعود إلى : أولا ، أسباب ذاتية ، منها الديون للبنوك ، والشعور بعدم الجدوى من العمل السياسي ، وروح الهزيمة الذي بثته السلطة في نفوس الناس . والتضحيات العالية من الجمهور في الانتفاضة الثانية من دون نتيجة سياسية للناس (الشعور بأن هذه التضحيات ذهبت سدى) . لا ثقة في القيادات . ولا ثقة حتى بين مجموعات الشباب بعضها ببعض (بسبب الشللية القائمة على اعتبارات ذاتية ، ومواقف إزاء المنظمات غير الحكومية ، وقضايا المقاومة السلمية والمقاومة المسلحة ، وغيرها ؛ ويعود ثانياً ، لأسباب تتعلق بالاحتلال ، حيث جرى موضعة نقاط المواجهة (باستثناء القدس والخليل حيث يوجد احتكاك يومي مع الجنود والمستوطنين) خارج المدن حيث الحواجز العسكرية ، وتهديد إسرائيل بسحب الهويات الزرقاء من المقدسيين ، وتوزيع «امتيازات» من تصاريح عمل في ظل وجود بطالة عالية . . . . .هناك انفصال تماماً بين الشباب الإسلامي وبقية الشباب ، ولا تعارف بين المجموعتين . الشرخ القائم شرخ عمودي ، وعلى الفيس بوك لا يتقبل أي من الطرفين الآخر . والفيس بوك هو أداة تنفيس و كأداة تنظيم محدود التأثير إذ يصادف أن تحدث دعوات للتظاهر في مكان وزمان معين ولا يأتي إلا أفراد محدودون . لكن حدث أن شكلت أداة تواصل بين شباب في الضفة وغزة والداخل وحتى في الشتات ، و بخاصة في حالة التصدي لمشروع برافر . لا يولّد حراك وإنما ممكن أن يدعم حراك» .

سوء الأوضاع المعيشية والجمود السياسي والشرذمة الجغرافية والسياسية وانخفاض منسوب الثقة بالنخب السياسية

ترافق تفكك الحقل السياسي الوطني إلى حقول محلية ، وانغلاق الأفق السياسي أمام دولة فلسطينية مستقلة ، مع تفاقم الأوضاع المعيشية لأغلبية من السكان في الضفة الغربية (وبصورة بالغة السوء في القدس الشرقية) ، وفي وضع مأساوي في قطاع غزة ، مع تعطل برنامج الإعمار والإغلاق المحكم على سكانه . لقد بات «سوء الوضع» هو محور حديث عامة الناس . اشتداد سوء الأوضاع المعيشية هو الذي يفسر ما شاهدناه هذا العام من إضرابات واعتصامات من قبل المعلمين ، ومطالبة شعبية واسعة لتغيير قانون الضمان الاجتماعي الذي أقر من دون موافقة المجتمع المدني ، بما في نقابات العمال ، و تمثلو الكتل النيابية داخل المجلس التشريعي المعطل منذ عشرة أعوام . ثم شهد النصف الأول من سنة 2016 احتجاجات من فصائل مؤسسة لمنظمة التحرير الفلسطينية جرى وقف مخصصاتها الشهرية من الصندوق القومي الفلسطيني (وإن مؤقتاً) كعقوبة على مواقف سياسية رغم أن التنظيمين (الشعبية والديمقراطية) يمارسان معارضة منضبطة إلى حد كبير . كما شاهدنا اعتراضات من أكثر من جهة على قرار تشكيل محكمة دستورية عليا ، رأى بعضهم فيه مسعى لتشديد قبضة السلطة التنفيذية (ممثلة بمؤسسة الرئاسة) وأثار مخاوف تغذيها حالة الانقسام السياسي ، منها تولي المحكمة حل المجلس التشريعي (المعطل أصلاً منذ عشرة أعوام) ، ونزع الشرعية عن قوى سياسية فلسطينية معارضة لسياسات مؤسسة الرئاسة . وقبل ذلك صدر قانون الشركات غير الربحية الذي يلزم منظمات المجتمع المدني ومنها منظمات حقوق الإنسان بالحصول على إذن مسبق من الحكومة فيما يتعلق بمصادر تمويلها ، وبعضها لديه برامج تخص تحضير ومتابعة الملفات الخاصة بالجنائية الدولية . هذا بالإضافة إلى توطد القناعة أن الانقسام بين الضفة والقطاع وبين «فتح» و «حماس» ظاهرة طويلة الأمد الأمر ، الذي ولّد حالة من الإحباط العام وبين صفوف الشباب ، وتحديداً من الخريجين حيث ترتفع معدلات البطالة وتكاد تنعدم فرص العمل والسفر .

وزاد الاستياء العام من السلطة بفعل إحجامها عن تنفيذ قرارات المجلس المركزي الفلسطيني وقرارات اللجنة التنفيذية للمنظمة الخاصة بوقف التنسيق الأمني مع إسرائيل والبدء بعملية فك ارتباط السلطة الفلسطينية باتفاق باريس الاقتصادي . هذا بالإضافة إلى التصريحات الخاصة بالمواجهات الشبابية لقوات الاحتلال وتدخل أجهزة الأمن لوقفها وصولاً إلى إعلان رئيس السلطة الفلسطينية عن اللجوء إلى تفتيش حقائب الطلبة بحثاً عن سكاكين بهدف منع استخدامها ضد الجنود والمستوطنين .

يمثل الجيل الشاب كتلة وازنة في التجمعات الفلسطينية ، وهو في الضفة والقطاع ربما الأكثر معاناة من غيره من سياسات وممارسات وواقع الاحتلال والحصار ، وهو يلمس بقوة عجز الطبقة السياسية وجشع رأسمال ، وهامشية قوة المجتمع المدني في توفير الحماية والمستقبل الواعد له . ولذا فليس غريباً أن تشعر فئات واسعة من الجيل الشاب بالغربة إزاء ما تمثله وتمارسه الطبقة السياسية في الضفة والقطاع بمكوناتها الرئيسة من سلوك وقيم وتطلعات . الشباب الذين اندفعوا إلى الاشتباك مع جنود الاحتلال بكل ما حمله هذا الاشتباك من دروس وما قدموه من شهداء وجرحى وأسرى ، لا يزالون يعيشون الأوضاع ذاتها التي دفعتهم إلى الاشتباك والانتفاض ، لذا

فقد تدفعهم الأوضاع ذاتها إلى تجديد الاشتباك مرة أُخرى وإلى البحث عن طريق جديد للخلاص الوطني . هذا الأمر سيبقى مطروحاً على مدار أعوام قادمة .

الشباب الفلسطيني ، واقع محتقن ومستقبل محتبس : قراءة استشرافية

القرّاء مدعوون إلى قراءة التقارير التي تلخص اللقاءات والحوارات التي يتضمنها هذا الكتاب ، والتي لن يعوض عن غنى ما تضمنه من الآراء والمشاعر والمواقف التي تتوالد من مرحلة نعيشها وتبدو أنها فاصلة بين اختفاء حركة سياسية أفلست تماماً وولادة حركة جديدة لم تظهر معالمها بعد ؛ وهي فترة ، كما هو واضح من المشهد الحالي ، تتكاثر فيها أعراض التفكك والتخبط والاعتلال ، ومظاهر الاحتجاج والتمرد والمقاومة والتجديد . ما يمكن استشرافه ، وإن بصورة أولية ، من عدد كبير من اللقاءات والحوارات التي جرت مع شباب في الضفة والقطاع وأراضي 1948 ، يلخصه ما يلي :

أولا ، إن فهم مشكلات الشباب وطموحاته يستدعي وضع وضعها في سياقها التاريخي المجتمعي المحدد ؛ لذا نجد التقارير التي تتفحص واقع ورؤى الشباب في غزة تفترق عن تلك التي تعالج رؤاهم في الضفة (ببيئاتها المتباينة بين القدس والشمال والوسط) والأراضي المحتلة سنة 1948 ، وهي تتباين بين مدينة القدس وإلى حد ما مدينة الخليل ، وباقي الضفة الغربية ، كما في المخيمات .

يقول أكرم عطا الله في تقريره عن شباب غزة : «الواقع المعيش في قطاع غزة عصياً على التفسير ، حيث الانغلاق التام تسعة أعوام وما خلّفه من مآسي إنسانية جعلت الإنساني إلى حد ما طاغياً على الوطني ، إذ يشكل أولوية يومية وسبباً للضغط اللحظي في حياة جيل الشباب وفي هذا ربما تختلف نتائج قراءة العينة بين الضفة وغزة أو حتى مناطق ال48 ، حيث الأولوية في الضفة هي أولوية وطنية لأن الضغط اليومي ناتج عن الاستيطان والمعابر والاحتلال المباشر» ويضيف : «الانقسام الفلسطيني جعل الأولوية لدى الشباب في قطاع غزة هي إنهاء هذه الحالة الشاذة باعتبار أن الأزمات الإنسانية بدأت منذ لحظة الانقسام 2007/6/14 ، فيما قد لا يكون ذلك أولوية في الضفة باعتباره لم يؤثر على حياة المواطن اليومية وقضاياه الإنسانية» (راجع/ي مقاله في الكتاب) .

تقول رشا حلوة (انظر مقالها في هذا الكتاب) في تقرير عن لقاءاتها مع شباب من فلسطينيي الأراضي المحتلة سنة 1948 : «إن هناك تركيزاً على هويّة الشباب الفلسطيني في الداخل ، أو كيف يعرّف الشباب الفلسطيني نفسه ، وهنالك قلق واضح من حالة الأسرلة المستمرة التي يتعرض لها الشباب الفلسطيني وابتعاده عن هويته القومية ، لكن في المقابل ، تعمل المؤسسات الشبابية ومؤسسات المجتمع المدني والأحزاب السياسية (بتفاوت وتيرة العمل وشكله) باستمرار على هذه الحالة» .

ويشير تقرير أحمد عز الدين أسعد (راجع تقريره في هذا الكتاب) إلى تأثير التباين في الثقافة المجتمعية بين مدينة بيت لحم ومدينة الخليل على رؤية الشباب وتطلعاتهما في كليهما . يقول : «تختلف الثقافة المجتمعية لكلتا المدينتين ؛ حيث تسود ثقافة مُحافظة نوعاً ما في مدينة الخليل ؛ وتجنب سكانها الاختلاط مع اللاجئين وحتى مع أهل القرى والبلدات القابعة ضمن الحدود الإدارية للمحافظة ، بينما حدث العكس في مدينة بيت لحم ومحافظتها ، حيث تمازج السكان ثقافياً واجتماعياً على المستوى المحلي وعلى المستوى العالمي ، من خلال المدارس التبشيرية التي أُقيمت في المدينة بيت لحم وأنتجت نخبة ثقافية متعلمة ، ومن خلال حركة السياحة النشطة في

المدينة ، لمدينة بيت لحم خصوصية التعددية الثقافية والدينية (تعايش الإسلام والمسيحية) . . . . وتختلف مدينة الخليل عن بيت لحم نوعا ما ، من حيث التركيبة السكانية الأغلبية العظمى من سكانها من المسلمين إلى جانب وجود الحرم الإبراهيمي في قلب مدينة الخليل وهو ثاني أهم مركز ديني للمسلمين في فلسطين ، وتسجل محافظة الخليل أكبر عدد من المساجد (595 مسجداً) على مستوى محافظات الضفة الغربية وقطاع غزة» ، ويضيف : «نصيب محافظة بيت لحم من المؤسسات الثقافية أكثر من نصيب محافظة الخليل التي يشكل عدد سكانها أكثر من ثلاث أضعاف عدد سكان محافظة بيت لحم . لكن هناك غياباً للمسارح ودور السينما ، ويعود هذا إلى ضعف الحركة الثقافية والفنية في المحافظتين مقارنة بمدينتَي رام الله والبيرة اللتين يحتضنان أغلبية المؤسسات والمراكز الثقافية والفنية والمؤسسات والمنظمات المحلية والدولية بعد قيام السلطة الفلسطينية سنة 1994 ، ففي رام الله والبيرة حركة ثقافية قوية بالمقارنة بمحافظة الخليل النشطة على الصعيد الاقتصادي والتجاري والصناعي المحلي ؛ أما محافظة بيت لحم فتنشط في المجال السياحي والخدمي وبعض الصناعات التحويلية مثل صناعة الحجر والخشب والخزف .»

ثانياً ، تشير تقارير اللقاءات مع الشباب التي أجراها عدد من الباحثين والمنشورة في هذا الكتاب بما فيها التي أجريتها كمشرف على البحث ، إلى تنامي شرخ بين ما يمكن إجماله في النخب المتنفذة أو الطبقة السياسية وبين الشعب ، بحكم درجة الانكشاف العالية للشعب وخصوصاً جيل الشباب («جيل أوسلو» تحديداً) مقارنة بالحماية والامتيازات النسبية التي تحظى بها الطبقة السياسية بما فيها النخب التي تجمع بين موقعها في السلطة (وإن في إطار الحكم الذاتي الإداري) وعلاقة مع الرأسمال الخاص (الموقع الطبقي) وما تستقيه من امتيازات من الدولة الاستعمارية الاستيطانية .

تقول شابة تعمل في منظمة خيرية أوروبية حاورتها بشأن القائمة بين السلطة والناس في الضفة الغربية : «الشهيد أمجد سكري وهو من الأجهزة الأمنية التابعة للسلطة الفلسطينية والذي نفذ عملية إطلاق النار قرب حاجز بيت إيل قرب رام الله كان قد كتب على صفحته في الفيس بوك : «كل يوم نسمع خبر وفاة . سامحوني ، ربما أنا القادم» . وتوضح ؛ «إن أمجد حتى ينتقل من «المجتمع الرسمي» (المحمي وإن نسبياً) إلى المجتمع المكشوف كلياً ، كان عليه أن يدفع حياته ثمناً لذلك .» وتقول زميلتها التي شاركت في اللقاء : «في المنظمات غير الحكومية ، فئة مستفيدة من مواقعها في هذه المنظمات (معاشات عالية) وتتبنى مواقفها ، وفئة أُخرى تحمل مبادئ ومواقف مخالفة ، لكنها تعمل بحكم حاجتها إلى العمل ، وليس لديها خيارات أُخرى . . . حتى الذين يعملون في مؤسسات أمريكية مثل USAID يعملون من دون قناعة بخط ومواقف هذه المؤسسات . أحد قادة فتح (ذكرت اسمه) قال منذ أيام إن 150 من شهداء الهبّة الشبابية هم من حركة «فتح» ، والمنظمين لإضراب المعلمين هم من «فتح» ، بمعنى أن هناك فجوة بين قيادات الحركة وقواعدها . وهم لا يوافقون على ما تقوم به السلطة . ونجد الآن جرأة في التمييز ، من قبل أعضاء حركة «فتح» ، بين الحركة وبين «السلطة» .»

ويقول ، منسق شباب الانتفاضة ، محمد التلولي ، (شاب من غزة) ، عن سلطة «حماس» : «إنها جاءت بانتخابات ، انتخبوها على أساس التغيير والإصلاح وسرعان ما تبدد هذا الشعار أمام مصالح الحركة وبقائها على مستوى الحكم ، أما أداؤها فهو أداء ضريبي أثقل المواطن

الغـزي بالمعانـاة والألـم والفقـر والضرائـب والحصـار الـذي تسـببت بـه الحركـة جعلتنـا طبقتـين ؛ حمـاس ليسـت متضـررة مـن الحصـار ومـا زالـت تعيـش أفضـل مـن الشـعب وتعانـي مـن ابتعـاد القيـادة عـن الشـارع .» ويضيـف : «سـنوات الانقسـام التـي أثـرت على الضفـة وغـزة صنعـت فجـوة بـين جيلـين ، الجيـل الخـاص بالشـباب وجـد تهميشـاً كامـلاً ، لا دور مجتمعـي أو سياسـي لـه إطلاقـاً» (راجـع مقـال أكـرم عطـا الله المنشـور في هـذا الكتـاب والمعنـون «الشـباب في قطـاع غـزة ؛ أزمـات مركبـة ومسـتقبل ضبابـي . .»)

ويتمثـل هـذا الاغتـراب أو الشـرخ أو انعـدام الثقـة في انقطـاع التواصـل بـين النخبـة (أو الطبقـة السياسـية) وأغلبيـة الشـعب . لخـص هـذا شـاب مـن بيتونيـا بالتالـي (أنظـر مقـال عايـدة الحجـار «الهبّـة الشـبابية ومدلولاتهـا السياسـية ومدلولاتهـا السياسـية والاجتماعيـة بحـث ميدانـي في مدينـة رام الله» المنشـور في هـذا الكتـاب) :

> «(حمـاس) و(فتـح) والجبهـة قاعديـن بتفرجـوا وتصريحـات وكلام ومـا في إشـي علـى أرض الواقـع . بهـاي [في هـذه] الانتفاضـة أنـا مـش شـايف [لا أرى] ولا وجـه رسـمي مشـارك فيهـا عمليـاً لا سـلطة ولا فصائـل ولا أحـزاب ولا نقابـات ولا إشـي . هـذا عمـل شـعبي وبشـكل فـردي . السـلطة مـا إلهـا دور في هـذه المواجهـة وهـي بـس [فقـط] بتشـغل موظفـين وبتدفـع رواتبهـم وبتشـحد مـن العالـم لتحـل أزماتهـا الماليـة .» ويضيـف شـاب مـن مخيـم الجلـزون :
>
> «هـاي زي مـا حكيـت هبّـة جماهيريـة لا يوجـد لأي شـخصية أو مؤسسـة رسـمية يـد فيهـا سـواء بالمشـاركة الفعليـة أو بالدعـم ، السـلطة الوطنيـة . . . . تريـد المفاوضـات وتمنـع الشـباب مـن مقاومـة الاحتـلال . فتـح وحمـاس متقاتلـين إلهـم عشـر سـنين ، ومنظمـة التحريـر زمـان ماتـت وبطـل الهـا دور» . ويضيـف شـاب مـن قـرى رام الله :
>
> «السـلطة بـواد وإحنـا بـواد . سـواء بغـزة أو بالضفـة هـي تقمـع هـذه الانتفاضـة . السـلطة لا تمثـل الشـعب الفلسـطيني نهائـي . هـاي السـلطة تحولـت لوسـيلة لإطعـام الشـعب الفلسـطيني وتقـديم خدمـات تعليميـة وصحيـة فقـط لا غيـر . وبالتنسـيق الأمنـي قتلـت الثقـة بينهـا وبـين الشـعب . أيضـا مـع الانقسـام أصبـح الوضـع معقـد أكثـر ، صـار سـلطة رام الله بدهـا [تريـد] تحافـظ علـى وجودهـا وسـلطة حمـاس كمـان وبطـل همّهـم الاحتـلال .» ويضيـف :
>
> «أكيـد فـش ولا حـدا مـن الشـباب بطلـع بـدون مـا يكـون منتمـي لفصيـل معـين ، صحيـح الشـباب بتقـوم بتنفيـذ عمليـات بـدون تخطيـط مـن الحـزب أو الفصيـل فهـو عمـل فـردي ،لكـن أغلبهـم هـم منتمـين لأحـزاب وفصائـل . بس[لكـن] الفصيـل لا يعمـل علـى أرض الواقـع هـو فقـط متفـرج . شـباب الفصيـل تتحـرك علـى أرض الواقـع وتشـارك لكـن الفصيـل نفسـه لا .»

وتوضـح شـابة مـن مخيـم قلنديـا (تقريـر الباحثـة عايـدة حجـار) رؤيتهـا عـن دور التنظيمـات السياسـية بالمفـردات التاليـة :

> «إلهـم دور بشـكل فـردي ، مثـلاً بالمخيـم [قلنديـا] إحنـا بشـكل عـام في تلـون واضـح بالمخيـم في عائـلات انتمائهـا لحركـة «فتـح» وعائـلات أخـرى انتمائهـا لحركـة «حمـاس» ، بهـاي [في هـذه] الهبّـة الـكل أثبـت أنـه بيقـدم ويضحـي ويواجـه الاحتـلال علـى مسـتوى الشـارع .

فبغـض النظـر مثـلاً عـن الأداء السياسـي لقيـادة حركـة فتـح هـذا لا يعكـس الـروح الموجـودة بالشـارع ، أنـا بالنسـبة الـي القيـادات مـا إلهـا أي دور ولا يحـق لهـم أن يتبنـى هـذه الهبّـة . السـلطة الفلسـطينية أداؤهـا كان مفاجـئ زي [مثـل] كأنـك بتحكـي عـن حـدا مصـاب بمرض زهايمـر ومـش عارفـين شـو بصيـر .» أمـا الشـاب المؤيـد للتيـار الإسـلامي فيـرى أن هـذا التيـار «موجـود علـى الأرض بـس بالضفـة تم سـحقه مـن قبـل السـلطة والاحتـلال لهـذا لا يمكـن أن تبحثـي عـن دوره علـى الأرض وهـو محاصـر ، لذلـك هـي أعمـال فرديـة .»

وتـرد أفـكار مشـابهة في جلسـة حـوار أجريتهـا مـع خمسـة شـباب وشـابات في إحـدى المؤسسـات الفلسـطينية في رام الله ، أورد المقاطـع التاليـة :

> بـدأت إحـدى الشـابات بالإشـارة إلـى إضـراب المعلمـين ومطالبتهـم بحقـوق أساسـية ، والتـي لـم يسـتجاب لهـا ، وإلـى غـلاء المعيشـة والفجـوات الاجتماعيـة التـي تتسـع ، ورأت أن الشـعب بـات متـروكاً وحـده ، وأنـه «يـأس مـن الحكومـة» وأشـارت إلـى معاناتهـا اليوميـة علـى حاجـز قلنديـا (كونهـا مـن سـكان القـدس وتأتـي إلـى رام الله وتعـود إلـى القـدس خمسـة أيـام في الأسـبوع) . وقالـت إن تنظيـم السـير في منطقـة قلنديـا يجـري فقـط لحملـة الفـي أي بـي (PIV) فقـط ؛ يضيـف شـاب مـن المجموعـة : السـلطة «داعسـة» علـى الشـعب (بمعنـى أنهـا لا تأبـه بـه ولا تسـأل عـن أحوالـه) ، وأنهـا تراقـب النشـطاء علـى الفيـس بـوك ، وأنهـا نجحـت في ربـط النـاس بالديـون البنكيـة (بمعنـى بشـبكة العلاقـات الرأسـمالية التـي تشـد المعنـي إلـى تدبيـر شـؤون حياتـه اليوميـة) و وبالتالـي حسـبان تداعيـات فقـدان الدخـل الشـهري (في حـال انهـار مصـدر الدخـل) علـى معيشـته ومعيشـة أسـرته إن تداعـى مصـدر دخلـه (سـواء كان هـذا السـلطة أو القطـاع الخـاص أو المنظمـات غيـر الحكوميـة) . واعتبـر أن النـاس «عايشـة علـى الديـون ودفنـت طموحهـا» ؛ و روت شـابة أُخـرى قصصـاً تسـمعها عـن نمـاذج مـن الفسـاد ومـن رواتـب خياليـة يتقاضاهـا بعضهـم وتعليـم وزراء لأولادهـم في الخـارج علـى حسـاب موازنـة السـلطة ؛ وقالـت أُخـرى إنهـا تنتظـر فرصـة للهجـرة مـن البلـد ، وأنهـا لا تريـد المشـاركة لا في مقاطعـة بضائـع إسـرائيلية ولا في التظاهـرات ، وأضافـت : «نحـن مـن يتعـرض للضـرب والسـجن ، الـخ . ولا وجـود للتنظيمـات إلا في مناسـبات انطلاقتهـا . . . وكل مـن يفعلونـه هـو الجلـوس على الكراسـي والتمتـع بالامتيـازات ، وأضافـت : «إن وجـود التنظيمـات بقلتهـا» ؛ وتشـدد أُخـرى علـى أن وجـود التنظيمـات «زاد الأزمـة ولـم يخففهـا» ، وتـرى أنـه لـم يعـد «فائـدة مـن الأحـزاب بـل باتـت مضـرة» ؛ ويعلـق شـاب أن اليسـار بـات غائبـاً تمامـاً ، وأن غيـاب التنظيمـات عـن الهبّـة الأخيـرة سـاعده ، وأن الشـباب في حالـة يـأس وعـدم ثقـة بالتنظيمـات . ويلاحـظ أن معظـم الشـهداء الجـدد هـم مـن جيـل أوسـلو ويـرى أن الدافـع لديهـم هـو الثـأر ، وهـم يتأثـرون بالتلفزيـون ووسـائل الاتصـال الاجتماعـي ؛ وأضافـت واحـدة مـن الشـابات أن التنظيمـات تتبنـى شـهداء ليسـوا مـن أعضائهـا في محاولـة للكسـب الإعلامـي ؛ يعـود الشـاب السـابق ليقـول : «هنـاك فئـات واسـعة مـن الشـباب التـي لا تشـارك في المواجهـات (سـماها حـزب المقهـى) ، وذكـر أن النسـبة الأعلـى مـن موازنـة السـلطة هـي للأمـن وليسـت للتعليـم أو الصحـة ؛ وقالـت إحـدى الشـابات المشـاركات في اللقـاء إن النـاس لا تؤيـد استشـهاد صغـار السـن ، وإن نسـبة عاليـة مـن الشـهداء هـم مـن عائـلات ميسـورة .

وترى أن الأحزاب تناكف بعضها بعضها ، وما يهم قياداتها هو الحفاظ على مواقعها ومصالحها (هي ملاحظة تكررت كثيراً) ؛ ويرى الشاب الآخر في المجموعة أن السلطة تقمع من يعارض ويتظاهر ، والانتخابات في الجامعات لم تعد بحسب القناعات والمبادئ بل بحسب من يدفع من التنظيمات . ويشير إلى الغلاء ، وأنه كونه أب لطفل ، يجعله يفكر في البقاء أم في الهجرة بعد أن باتت الحضانة تكلف كالمدرسة . ويقول : «إن وقتي لم يعد لي بل للشغل» ، وأنه إن خرج بدون إذن «فسوف تخصم يوميتي» . كما أشار بعض أعضاء المجموعة إلى أن كون أغلبية المشاركين في المواجهات من الطلاب الجامعيين يعود إلى تحررهم من قيود الوظيفة ولأن لديهم الوقت للقيام بذلك . أكد معظم أفراد المجموعة ترسخ قيم الفردية ، وصعوبة تكوين أصدقاء حتى من زملاء العمل (وأشاروا إلى أنفسهم) بسبب ضيق الوقت .

آراء مشابهة نعثر عليها بين شباب غزة ؛ في البحث المرفق عن شباب غزة (انظر تقرير أكرم عطا الله) ، يستخلص أن فئات وازنة من شباب غزة باتت تشعر :

«بأن ما هو قائم من مؤسسات لا تمثلهم بل وإلى حد ما ، يشعر هؤلاء الشباب بأن الفصائل تستخدمهم كوقود من أجل مصالحها ، بل وفي أحيان أخرى يشعر بعضهم بأن هذه الفصائل تحاول الحد من مبادراتهم إذا ما فكروا في أخذ هذا الدور ، إما عن طريق الاحتواء وركوب الموجة ، كما يقولون ، وإما عن طريق استخدام ما لديها من نفوذ لتحجيمهم مستذكرين مثال الخامس عشر من آذار / مارس 2011 ، حين تمكن الشباب من إيجاد حالة تمكنت من تحريك الشباب والرأي العام وإخراجهم إلى الشارع قائلين : «كنا قادرين على البناء على حركة 15 آذار لكن ما حدث أن تدخلت مصالح قوى وأحزاب ، واليوم هناك بذور مشابهة إذا ما استطعنا تشكيل شيء جديد .»

لكن قلة من الشباب الذين حاورتهم أشارت إلى أن بعضاً من التنظيمات السياسية يساهم في رسم الوعي الشبابي ، التنظيم الذي أشير إليه إيجابياً كان تنظيم الجهاد الإسلامي كالنموذج الأبرز في هذا المجال ، يقول أحد الذين حاورتهم : «برز منه [يقصد تنظيم الجهاد الإسلامي] أعضاء بادروا بالقيام بعمليات فدائية ، وفي الإضراب عن الطعام داخل السجون الإسرائيلية دون أن يعني ذلك أن هذه المبادرات جاءت بتوجيه مباشر من قيادة التنظيم» . ويضيف ، وهو يشارك في أكثر من نشاط شبابي : «لكن بقية التنظيمات «غايبة طوشة» [غير معنية بالموضوع] ، بما فيها «حماس» التي تلقت ضربات موجعة في الضفة الغربية . . . وفي حركة «فتح» طرحت أفكاراً من أن هناك مؤامرة ضد السلطة وضد قيادة «فتح» من قبل إسرائيل وأمريكا وأحياناً أوروبا تنفذ عبر أدوات محلية . . . . وقد جرت (من قبل الأمن الفلسطيني) مراقبة لحسابات بنكية لعدد من الشباب النشطاء ، بما فيها حسابي ، للتأكد من عدم تلقينا تمويلاً خارجياً .»

ويضيف :

«مناطق 1948 أكثر فعالية من الضفة وغزة في قضايا الأسرى ، لكن النخب السياسية معزولة عن الجمهور الأوسع كما حالها في الضفة والقطاع الذي لم يعد في أغلبه يؤمن بالنضال عبر الكنيست ، بمن فيهم الشباب الذين ينتمون إلى تنظيمات سياسية . . . .

قيادة «فتح» تتبع سياسة تدجين لقواعدها من خلال الوظائف والمنح . . . في الشارع شعور بالظلم والاضطهاد والرغبة في الهجرة لغياب فرص العمل وأسباب الحياة الكريمة ، وبسبب القيود المفروضة على الحركة ، والخيارات المحدودة أمام الشباب . . . العلميات الفدائية تتم بدافع وطني وديني . العامل الديني حاضر بفعل أن الشباب ترى أن أحد رموزها الدينية (الأقصى) يُنتهك . . . . قوى من الجمهور (طلبة وأهالي) تضامنت مع المعلمين لكن بشكل فردي (لا حركة شعبية) ، العنف لا يزال حتى الآن موجه نحو المحتل (الخارج) ولم يتحول نحو الداخل . . . لكن من غير المعروف إلى متى ستدوم هذه الحالة . . . الكوادر الوسطى الحزبية (وفي المؤسسات الحكومية) أقرب إلى الشارع والجمهور ، ومن هنا التباس موقفها . بعد مشاركة ثلاثة أشخاص من الأجهزة الأمنية في عمليات فدائية أصدر رئيس السلطة الفلسطينية أوامر بتشديد الرقابة على استخدام السلاح من الأجهزة الأمنية . . . إغلاق إسرائيل لتلفزيون الجهاد الإسلامي دليل عجز . وهذا يسري على اعتقال إسرائيل 150 شخصاً لما كتبوه على الفيس بوك . الفيس بوك لعب دوراً مؤثراً على صعيد الإعلام الخارجي (لا فيما يخص SDB) ، لكنه مراقب داخلياً من إسرائيل والسلطة . تقوم مجموعات لمقاطعة إسرائيل بعمل توعوي (مشكلة من قطاع خاص وأفراد مبادرين وطلاب مدارس ومجالس محلية) . في الانتفاضة الأولى كان هناك عدو واحد الآن الفرد يواجه الاحتلال والسلطة والقطاع الخاص والأجهزة الأمنية .»

ثالثاً ، تشير أحاديث الشباب ومن مشاهدات ما يدور في الشارع الفلسطيني من تحركات إلى أن الجمهور (من شباب وغيرهم) لن يبقى في حالة مديدة من الانتظار إلى حين معالجة المشكلات الاجتماعية الوطنية . المتوقع أن تقوم مجموعات (على صعيد محلي ، أو قطاعي أو كمجموعات ذات اهتمام أو همّ مشترك) بأخذ ، على عاتقها ، مبادرات تراها ضرورية لمعالجة المشكلات التي تواجهها . وقد تأخذ صيغاً فردية . لن تقتصر هذه الحالة على فئة الشباب ، الذين هم الأكثر استعداداً للانخراط في مبادرات وطنية واجتماعية وثقافية كونهم أصحاب الملكية الأكبر للمستقبل . وتتصل شكل المواجهات مع الاحتلال بواقع الجغرافيا السياسية وبواقع تفكك الحقل السياسي الفلسطيني (كحقل يتشكل من منظومة قوى) إلى مكوناته الجغرافية ، الأمر تغذيه الثقافة الفردية الوافدة مع السياسات النيوليبرالية المهيمنة على المنطقة بما في ذلك بين التجمعات الفلسطينية في فلسطين التاريخية . الانخراط في الحراكات المعيشية المطلبية التي شهدها النصف الأول من سنة 2016 (كإضراب المعلمين ، والحراك الشعبي لتغيير قانون الضمان الاجتماعي ، والحراكات الأخرى) دليل على أن النضال من أجل القضايا المعيشية قد دخل مرحلة جديدة .

يقول شاب مهتم بالشأن الثقافي تحاورت معه إنه يسعى مع مجموعة صغيرة من الشباب لتشكيل «حزب مطلبي» يكون تحت سقف «الدولة» (أي في إطار مجتمع مدني) ، ويطرح مطالب حقوقية تحت سقف المجلس التشريعي ، بهدف التركيز على مطالب الفرد الحقوقية والثقافية . ويشير إلى تأثير كتابات ديفيد هارفي بشأن دور سكان المدن . والشاب من الرأي القائل إنه يصعب فصل الصراع ضد إسرائيل عن الصراع ضد السلطة ، ومن الذين يؤمنون بأن «امتلاك رؤية من دون خطة عمل هو ضرب من الحلم ، وامتلاك خطة عمل من دون رؤية هو كابوس» . ويعتقد أن التركيز على النجاح الفردي هو دمار للفعل الجمعي ، ويرى أن مدينة «روابي دعاية للمستقبل ولكنها مدينة فارغة» .

أشار شاب آخر حاورته (موظف في مؤسسة عامة غير ربحية) إلى ملاحظة أن الفئة المحررة من قيود الوظيفة (سواء في السلطة أو في القطاع الخاص أو المنظمات غير الحكومية) ومن التزامات عائلية (أعزب ولا يعتمد أهله على دخله) هي الأقدر على الاشتباك المباشر مع الاحتلال والبقية التي تؤيد الاشتباك لكنها لا تشارك فيه وصفهما بحزب الكنبة (وهو وصف شباب الانتفاضة المصرية للذين يؤيدون الانتفاضة وهم جالسون في بيوتهم) . يقول :

«التنظيمات السياسية الحالية لا تستقطب الشباب ، ولا تقدم حلولاً لمشكلاتهم ، ولا تطرح للشعب إستراتيجية صمود (لخمسة أعوام مثلاً) تجعل الشعب مستعداً لتحمل المشاق والمعاناة ويصمد على أساس أن الفرج قادم وإن بعد حين . . . . ليس هناك من يصنع الأمل والسقف الوطني ينزل طوال الوقت . . . . الهمّ الجماعي تفتت إلى هموم فردية . . . كل فرد بات مشغولاً بهمه الخاص . الآن تخجل إن كنت لا تملك سيارة جديدة ومن نوع معين ، وتلبس بطريقة معينة . . . المهم أن يظهر الشخص بمظهر الغني . . . . رام الله الآن أصبحت «كوفي شوب كبير» . صديق أجنبي قال لي إنه لم ير في باريس سيارات مرسيدس جديدة كما رأى في رام الله . . . لم تعد تشاهد ملصقات شهداء ولا شعارات سياسية على جدران رام الله كما كان من قبل . الآن تحتاج إلى إذن من الشرطة ومن البلدية للتعليق على الجدران . وإن تمت الكتابة على الجدران فتتم بالخفية وفي الليل . . . معظم الناس لا تقدر على تسمية أربعة وزراء أو أربعة أعضاء من اللجنة التنفيذية (لمنظمة التحرير) أو اللجنة المركزية لفتح . . . هذه الهيئات باتت شكلية . المواقف في المناطق أكثر حدة تجاه السلطة . معظم أصحابي من الخريجين يعمل في إسرائيل لأن الدخل أعلى حيث يمكن أن يصل إلى 6000 شيكل أو أكثر في الشهر في مقابل 2000 شيكل في وظيفة في السلطة أو القطاع الخاص الفلسطيني» .

يضيف صديقه الذي حضر اللقاء (وهو شاب في أواخر العشرينيات من العمر ، تنقل بين وظائف في القطاع العام والخاص والأهلي) :

«حتى نهاية الانتفاضة الثانية سادت روح نضالية عالية . . . . الناس كانت مستعدة للتضحية . هذا تغير بعد الانتفاضة الثانية ، بعد زيادة الاستيطان وبناء الجدار ، وسقوط عدد كبير من الشهداء والجرحى . ثم الانقلاب في غزة . . . . الاتهامات بالفساد طالت عدداً كبيراً من الأشخاص . . . السلطة هي الوجه الآخر للاحتلال . . . الهبّة الشبابية كشفت للناس درجة غياب التنظيمات السياسية عنهم وعن نبض الشارع . التنظيمات كانت تتصارع على تبني الشهداء ، من هنا كتب بهاء وصيته بأن لا يحسب على أي من التنظيمات . . . . «المواجهة ستكون مع المستوطنين بعد أن باتوا منظمين في فرق (مثل «تدفيع ثمن» ، نمور ، وغير ذلك . . .) في محافظة سلفيت عدد المستوطنين يفوق عدد المواطنين الفلسطينيين . . . . الناس مع الهبّة الشبابية لأنها تطرح الأمل في التغيير رغم أن معظم العمليات فردية . . . .الهبّة الشبابية رسالة بأننا وصلنا إلى حالة تفكك وبحاجة إلى إعادة بناء ، وإلى خطة وطنية واحدة . . . التضامن بين الناس موجود لكنه حاجة إلى تأطير . . . الأحزاب باتت ضعيفة . الشاب الذي يذهب ليطعن جندي أو مستوطن هو «شاب يائس» . . . جندي تافه لا يستحق الاستشهاد وعلينا ترسيخ ثقافة أن الروح غالية . . .» .

رابعاً ، اللقاءات الشبابية تشير إلى أن مواجهات الشباب مع قوات الاحتلال أثارت الأمل عند كثيرين بأنها تحمل بوادر استنهاض حركة وطنية جديدة ، لمواجهة التحديات والمخاطر الجديدة التي تمثلها إسرائيل بأيديولوجيتها العنصرية ، تسترشد بسياسة ديمقراطية تجسد قيم التحرر والانعتاق والمساواة والعدالة . لكن الهبّة الشبابية كانت ، بالأساس ، ردة فعل على توحش المستعمر المحتل وسياسة الإذلال للشعب الفلسطيني والاستهتار بالقيم الدينية والأخلاقية والإنسانية . لم تأت المواجهات الشبابية حاملة مشروعاً سياسياً وثقافياً جديداً ، بل اقتصرت رسالتها على رفض ما هو قائم من دون ادعاء القدرة على طرح بديل . وما طرحه الشباب لم يخرج سياسياً عن الفكر السائد (إنهاء الانقسام ، والوحدة الوطنية ، وتجديد بناء منظمة التحرير لتمثل الكل الفلسطيني . . .) ، بل ولوحظ تحفظ (راجع أوراق اللقاءات في الأوراق المتضمنة في هذا الكتاب) في مناقشة رؤية ومشروع سياسي جديد .

تقول إحدى من حاورتهن (آذار / مارس 2016) وهي خريجة جامعية وموظفة إدارية في مؤسسة عامة في مدينة رام الله–البيرة :

«يعود العدد العالي من المواجهات في الخليل إلى وجود موقع حيث الاحتكاك مع الإسرائيليين (مع المستوطنين والجنود) مباشر ويومي . في الخليل مستوطنتين هما مصدر الاحتكاك اليومي والمواجهات مع الشباب : كريات أربع وعتسيون . ويوجد شارع مشترك إجباري للطرفين (كتب الإسرائيليون عليه بالعربية واليهودية والإنجليزية بما معناه «ليكن سلام على الطرقات») . الكره الشديد للإسرائيليين سببه ما يلاقيه الفلسطينيون من عنصرية وإذلال ، ومن تنكيل وتغوّل لإخراجهم من مناطق يريدها إسرائيليون ، كما هي حال ستة بيوت فلسطينية عند مستوطنة عتسيون . . . . ما دام هناك مستوطنون فلن يكون هناك سلام . وجود المستوطنين هو الذي يفسر هذا العدد العالي من الشهداء قرب الحرم الإبراهيمي . وهذا الاحتكاك والسلوك العنصري من الإسرائيليين – بما في ذلك التفتيش المهين– هو الذي يشحن الشباب . . . من السهل أن يتناول شاب صغير سكيناً من المطبخ من دون أن يلاحظ أحد ذلك ويذهب ليطعن إسرائيلياً .»

وتضيف :

«مصادر الاحتقان بالإضافة إلى الاحتكاك المباشر يعود إلى ما قامت به إسرائيل سنة 2014 من حرب وتدمير وقتل في قطاع غزة ، وإلى ما جرى في الضفة من حرق الطفل أبي خضير و لمنزل عائلة دوابشة . مستوطنو الضفة لا يريدون أن يروا فلسطينيين والفلسطينيون لا يريدون رؤية مستوطنين . من هنا أرى أن الهبّة ستتحول إلى انتفاضة . في القدس هناك عنصرية في تعامل الجيش والشرطة والمستوطنين مع الفلسطينيين ، بالإضافة إلى استنزافهم المالي . القدس تتحول إلى مدينة أشباح في الليل ، ومن يريد أن يسهر من فلسطينيي القدس يأتي إلى رام الله . . . . يغيب دور الأحزاب والمؤسسات عن تنظيم الشباب لمواجهة الاحتلال والمستوطنين . ضعف الأحزاب الوطنية هو الظاهر فينا . هناك شابات يدرسن كمبيوتر في إحدى بلدات جنوب الضفة (سمت البلدة) جرى استيعابهن من قبل حركة «حماس» عبر إعطائهن دروس دين كمدخل لتنظيمهن سياسياً . والمجتمع لا يوجه الشباب عبر تقديم نماذج نضالية غير الطعن والعنف . التعليم يعتبر مقدساً عند الفلسطينيين ، لذا يمكن توجيه الشباب للتركيز

على الإنجاز العلمي ، لكن التعليم لم يعد يعتبر جهاداً عند الشباب ولا تطوير المجتمع . للشهيد قيمة عالية في المجتمع ولذا من السهل أن يصبح الاستشهاد هدفاً للشباب . في السابق كنا نتظاهر بشكل جماعي للتعبير عن رفضنا للواقع أو للمطالبة بقضية ، ولم يكن هدفنا الاستشهاد أو قتل الإسرائيليين . عمليات الطعن لم تعد مؤثرة . . . . الأحزاب ابتعدت عن الناس ، ولا حضور لها بالقضايا المجتمعية . كنا في السابق نقوم بعمل تطوعي (المساهمة في قطف الزيتون) . . . الآن توقف ، قد يكون جزء من سبب ذلك الخوف من المستوطنين .»

يستخلص عبد الغني سلامة في بحثه عن الشباب في منطقة رام الله (راجع ورقته في هذا الكتاب) أننا «ربما نكون على مشارف ميلاد حركة وطنية جديدة ، ولكن ربما أن شروط ميلادها لم تكتمل بعد ، وبحاجة إلى بعض الإنضاج ، لأن التسرع في استقدام هذه الحركة قبل أوانها ربما يفضي إلى نتائج عكسية ، وتحديداً في هذه المرحلة التي تسود فيها الفوضى في الإقليم العربي . . . .»

يرى أكرم عطا الله في بحثه عن الشباب في غزة أن حالة اليأس التي يمر بها الشباب تدفع «إلى إرادة الخروج منها من خلال فهم واضح أو خريطة طريق ، لكن الشباب ليس لديهم خريطة واضحة ، إذ ارتبكت الخيارات ما بين الاندماج المستحيل (في التنظيمات السياسية القائمة) والجديد (تشكيل تنظيم جديد) الذي يبدو كحلم مستحيل أيضاً . الاستنتاج الآخر هو ظهور حالة عجز الإرادة لدى الشباب إذ هم دائمو المطالبة بأن يقوم غيرهم بفعل ما يريدون ، يريدون من الفصائل أن تقوم باستيعابهم باستخدام مصطلح «على الفصائل» وحين يجري الحديث عن تشكيل جديد يتكرر الشيء نفسه . . بمطالبة ما بتشكيل جديد ، وهنا يمكن ملاحظة استخدام مصطلحات «يجب وينبغي» دون أن يتلمس المتابع بينهم رغبة أو قدرة على المبادرة .»

في الواقع ، إن مجمل الأوراق واللقاءات التي جرت مع الشباب داخل فلسطين التاريخية لم تكشف عن وجود رؤى وأفكار سياسية جديدة بشأن بناء الحركة السياسية الفلسطينية خارج ما هو مطروح من أفكار جرى ويجري تداولها بين القوى السياسية الفلسطينية . الأمر الذي يؤكد ضرورة النظر إلى الجيل وقضاياه في سياق واقعه المجتمعي لا نفيه إلى خارجه .

خامساً ، كشفت المواجهات الأخيرة أن الوطنية الفلسطينية حاضرة بقوة بين فئة واسعة من الشباب رغم ما دخل على الحركة السياسية الفلسطينية من تحولات وما أصاب التنظيمات من ترهل وإهمال للجيل الشاب ، ومن حالة التيه وفقدان الأمل ، والمستقبل المجهول ، والافتقاد للهدف العام (انظر/ي تقرير أحمد عزالدين أسعد الخاص بجنوب الضفة وتقرير علي موسى الخاص بشمال الضفة) . الشباب هكذا لأن السياسة والحركة السياسية في تيه وحيرة من أمر نفسها ، واليسار لم يجد بعد مبرره التاريخي في أن يكون البوصلة أو هو تخلى عن هذا الدور .

رغم ذلك يبقى هذا الجيل ليس بمعزل عن مجرى الثقافة الوطنية وعن مجريات الصراع اليومي مع المحتل التي تغذي هذه الحيوية كما هي الرواية التاريخية بتتابع فصولها على أرض فلسطين التاريخية وخارجها . كرر العديد من الشباب والشابات أن الحافز الرئيسي للمشاركة في المواجهات ضد الاحتلال كان وجود وممارسات هذا الاحتلال ومستوطنيه . والعديد من الذين شاركوا في الاشتباك المباشر مع المحتل ينتمون إلى عائلات لها تاريخ نضالي ، وهي عائلات تكاد تشكل معظم (إن لم يكن جميع) السكان إذا ما نظرنا إلى العائلات التي تعرض أحد أفرادها للاعتقال ، أو الإصابة أو الاستشهاد أو لتدمير البيت

أو اقتحامه ، أو مصادرة أرضه ، أو للإهانة على الحواجز وفي الطرقات . الاستشهاد في الثقافة الشعبية الفلسطينية أمر له قيمة إيجابية (يشكل رأسمال ذا قيمة رمزية واجتماعية عالية) ، كما هي مقاومة الاحتلال . وتبرز هذه في أعداد المشيعين للشهداء بعض النظر عن التنظيم السياسي الذي ينتمون إليه .

ولكن هذا لا يشكل كل الحكاية بالنسبة إلى محفزات مشاركة الشباب المباشرة في الهبّة . هناك محفز المكانة العالية ، كما أشرت أعلاه ، التي تمنحها الثقافة السياسية الفلسطينية للعمل النضالي سواء الذي يقود إلى الأسر والاعتقال أو الإصابة والاستشهاد . ولعل هذا ما يفسر درجة التضامن العالية مع الأسرى ومع أسر الشهداء ومع من تدمر إسرائيل بيوتهم تبقى عالية . تقول شابة خريجة تعمل في القدس ، كانت تنتمي إلى حركة فتح «حتى العظم» ، على حد قولها ، لكنها لم تعد كذلك ، ولا تؤيد حالياً أي من التنظيمات السياسية الفلسطينية :

« أنا لا أعرف طريق الحل ، ولا كيف يمكن أن يحدث سلام مع الإسرائيليين ، أميل إلى دولة «ثنائية القومية» . الفيس بوك مؤثر كطريقة تواصل بين الشباب ، وعبرها يتم تحويل الشهيد أو المعتقل من الشباب إلى «بطل» . . . معظم الشهداء أشخاص عاديون (لكنهم) يصبحون أبطالاً غير عاديين ، وهناك معونات ومساعدات لعائلة الشهيد . . . أعرف شخصاً ذا سمعة سيئة قام بمحاولة طعن جندي إسرائيلي وهو في حالة سكر ، وتحول إلى الشهيد البطل ، وأقيم له ضريح وتلقت أسرته مساعدات وتبرعات ، وأصبحت والدته تعرف بأم الشهيد ووالده بأب الشهيد . . . بعض الذين استشهدوا لم ينتموا إلى أي تنظيم ، لكن التنظيمات تتصارع على تبنيهم (تحديداً فتح وحماس) .»

تقول دالية لهاليه (كما ورد في تقرير أحمد عزالدين أسعد) بأنها ترى الهبّة باعتبارها «أمل ومستقبل جديد للقضية الفلسطينية ، . . . القضية الفلسطينية كانت موجودة وعايشة [حية] فيهم ، وخصوصاً الشباب اللي بعيشوا في القدس بعيشوا تناقض بينهم وبين الواقع اللي (الذي) بفرض عليهم أن يتعاملوا مع الكيان (الصهيوني) مع هيك [رغم ذلك] خرجت الكثير من العمليات من منطقة القدس .» واعتبرت طالبة الجامعية من غرب بيت لحم أن «الهبّة تعبير عن ضوء وأفق الأمل عند الشعب الفلسطيني تجاه وطنه وقضيته ، الهبّة أعادت القضية الفلسطينية إلى الصدارة بعد غيابها طويلاً ، الهبّة هدفها هز الوضع القائم ، والخروج والتمرد عليه وعدم الثبات عند نقطة معينة ، وأكدت الهبّة أن القضية الفلسطينية لا تموت أبداً .»

ورأت طالبة في جامعة أبو ديس حاورتُها :

«الشعور لدى الشباب (وهذا يشمل الشابات) أننا في سجن والسجّان (المحتل) يدخل للسجين طعامه يومياً ، وفي أحد الأيام يدخل مع الطعام سكينة وهنا تستخدم السكنية للانتحار . . . والسبب هو الظروف الخانقة ، وأحياناً يعود السبب إلى كون أحد معارف أو أقارب الشاب استشهد . . . .هناك تباين بين قيادة الأحزاب وقواعدها الشبابية ، مثلاً الشباب يرفضون شعار القدس الشرقية عاصمة الدولة الفلسطينية ، لأن الدولة المطروحة هي بحدود الأراضي المحتلة سنة 1967 ، وليس عموم فلسطين . . . . يوجد تباين بين الشباب من حيث تأييد المقاومة ، فالبعض يؤيد المقاومة في الشارع وآخرون يرون أن هذا لن يوقف القيادة ، إن عاجلاً أم آجلاً ، من العودة إلى التفاوض مع المحتل . على

> السلطة إن كانت صادقة وجريئة أن تصارح الشعب وتعلن أننا في حِل من اتفاق أوسلو . وغياب الصراحة يسري على الأحزاب أيضاً . . . الشباب تعلموا الوطنية من تجربتهم اليومية ، من القهر على الحواجز واعتداءات المستوطنين والاعتقالات . . . وفي الأحداث الأخيرة من إعدام الشباب والشابات من قبل الجنود الإسرائيليين . . . استمتعت بفيلم «المطلوبون 18» لعامر شوملي عن الانتفاضة الأولى في بيت ساحور ، حيث يبرز شكل مختلف للصمود والمقاومة وماذا كان يعني لأهالينا . الناس (في التاكسي مثلاً) تتكلم عن الاحتلال وممارساته ، وهذا يبقى العداء للاحتلال حاضراً والوطنية حاضرة . . . .»

أحد الشباب المقربين من حركة «حماس» الذين حاورتهم (لنحو ثلاث ساعات في نيسان / أبريل 2016) ، وكان قد سجن مرتين من إسرائيل وأربع مرات من السلطة الفلسطينية بتهمة الانتساب إلى حركة «حماس» وقد قارب الثلاثين من العمر- يرى أن تنظيم «حماس» سينهض من جديد وبسرعة في حال رفعت السلطة قيودها وقمعها للتنظيم ، رغم أنه لم يعد قائماً كتنظيم لكنه موجود وبقوة كأفراد . ويقول إن دور «حماس» في الهبّة الراهنة هو الحث على مواصلتها وتوسيعها ، لأن «حماس» غير قادرة على القيام بغير ذلك . وهو يرى أن ما جرى ويجري (من مواجهات بين الشباب والجنود الإسرائيليين) هو مبادرات فردية وإن كان بعضها يجري ثنائياً وثلاثياً ، معتبراً إياها عمليات تفريغ عاطفي-نفسي . وأن الهبّة الراهنة تختلف عن الانتفاضة الأولى أو الثانية لأن السلطة الحالية تختلف عن السابقتين . لكنه يعتقد أن مصدر الاندفاع الشبابي هو الوطنية الفلسطينية التي تؤججها الأغاني والأناشيد الوطنية ، رابطاً الشهادة بالوطن وبالدين مشيداً بدور فضائية الأقصى ومسلسلاتها التي تربط بين الدين والوطنية (ذكر مواظبة ابنته حضور مسلسل «الروح والفدائي» اليومي) .

هذا الشاب العضو في حركة حماس يرى أن «الشباب لا تعرف ماذا تعمل ولا إلى أين هي ذاهبة» ، وأن ما يحرك الشاب هو أن يقتل (جندي أو مستوطن) وأن يستشهد . وذكر أنه يعرف شاباً من قريته في الشمال (لا هو ولا أي فرد من أسرته ينتمي إلى أي تنظيم ، ووالده يعمل في إسرائيل منذ أعوام طويلة) قام بعملية استشهادية لأن ابن صفه استشهد . وذكر استشهاد ثلاثة أصدقاء استشهد اثنان منهما ، واستشهد الثالث لأن صورة فوتوغرافية جمعتهم الثلاثة ، إذ أقدم الثالث على الاستشهاد كاتباً على الفيس بوك أنه سوف يستشهد لتكتمل الصورة . يقول لم تعد الحجارة ولا السكاكين ولا الصواريخ تكفي ولا المقاطعة . ويرى أن المطلوب رؤية جديدة وقيادة جديدة . . وأساليب جديدة . وهو ما لا يتوفر بعد .

سادساً ، برز إجماع على الدور المهم الذي أدته وتؤديه وسائل التواصل الاجتماعي في الحشد والتعبئة وتعميم أخبار المواجهات وتحفيز المقاومة ضد الجنود والمستوطنين ، لكن لا تخلو آراء الشباب من محاذير الثقة الزائدة بهذه الوسائل ، ومن التحذير من مغبة الاعتماد غير المقنن عليها .

تقول طالبة جامعية من بلدة سعير : «كان لوسائل التواصل الاجتماعي المتعددة دور كبير . . . في نقل أحداث الهبّة ، وكثير كمان [أيضاً] من الفيديوهات التي كانت تنتشر على الفيس بوك كانت محفزاً لاستمرار الهبّة ، خصوصاً فيديو الطفل أحمد مناصرة الذي ولّد لدى العديد من الشباب المنتفضين حقداً ضد الكيان الصهيوني ودفعهم إلى الانتقام منه . وكانت (وسائل التواصل الاجتماعي) بديلاً سريعاً لنقل الأخبار إلى الناس وإيصالها بطريقة أو أُخرى . . . وفي كمان شباب في مناطق 48 تعرض الكثير منهم للاعتقال من وراء تعليق أو منشور كتب على مواقع التواصل

الاجتماعي المتعددة .» ورأى إبراهيم أبو لبن (من مخيم الدهيشة) أن «وسائل التواصل الاجتماعي عملت على زيادة الترابط والتواصل الاجتماعي والوطني . . . وعلى زيادة التماسك الاجتماعي وأدت إلى زيادة حدوث العمليات . ومثال على هذا الإشي [الشيء] فيديو أحمد مناصرة لما [عندما] طخوه صار بعد بيوم من الحادث ست عمليات . . . وطلعت مسيرات . هذا صار من خلال وسائل التواصل الاجتماعي ، صار للفيديوهات تأثير على نفسيتك ويحفزك تسوي عملية .» لكن خريجة جامعية تعمل في إحدى مؤسسات السلطة الفلسطينية وهي من مدينة الخليل رأت أن وسائل التواصل الاجتماعي «ما حلت محل الأحزاب ، لكن ناس بشفوها طريقة مريحة للتعبير عن اعتراضهم ، دون الحاجة إلى النزول إلى الشارع ، وهذا أثر على مدى الاحتجاجات الشعبية اللي ممكن الناس تنفذها في الشارع ، يعني صارت الاحتجاجات الشعبية تكون عملية تحشيد عبر «الكي بورد» ، وما في داعي للمشاركة الميدانية .» (أنظر/ي بحث أحمد عزالدين أسعد) .

ولاحظت طالبة ماجستير ممن تحاورت معهن أن تعبير «شباب الفيس بوك» له معنى سلبي ، من حيث إن مستخدميه يثرثرون ولا يفعلون على أرض الواقع ، ويكتفون بالتعليق على الفيس بوك على ما يجري . وفي رأيها أن «الفيس بوك يقوم بوظيفة مزدوجة فهو «أداة تفريغ» نفسي (سيكولوجي) من الاحتقان المعيش ، وأداة تواصل ، وإيصال أخبار وإن جرى المبالغة في بعضها ، . . . والفيس بوك هو مصدر رئيس للأخبار . . . الشباب لا يخافون من رقابة السلطة على الفيس بوك لأنهم يعرفون في حال جرى اعتقال أحدهم فهو يخرج بسرعة عبر واسطة هذا أو ذاك . . .»

لكن خريجة جامعية عملت مع مؤسسة دولية ثم تركتها وكانت عاطلة عن العمل عندما حاورتها رأت أن «وسائل التوصل الاجتماعي انتهى دورها ، و استخدمت كوسيلة تفريغ نفسي ، وتحوّلت إلى وسيلة ردح ، وارتبط استخدامها بالشعور بالهزيمة ، وعدم القدرة على تغيير الواقع الفعلي وبالهرب إلى المشاركة في نشاط العالم الافتراضي . و تتميز (التعليقات والتداولات على الفيس بلوك) بغياب الخطاب الفكري .»

سابعاً ، أشار عدد ممن حاورتهم إلى فشل الهبّة الشبابية في اجتذاب قطاعات حيوية من الجمهور ، وعزوا ذلك إلى افتقادها إلى لغة مفهومة في مخاطبة الناس وإلى أن الحراكات الشبابية الفلسطينية التي ظهرت بُعيد الانتفاضات الشعبية العربية كانت امتدادات لتنظيمات سياسية وأسيرة للغتها ، إضافة إلى عدم قدرتها (أي الهبّة) على توليد أرضية مشتركة فيما بينها . بتعبير آخر لم يميز الشباب أنفسهم بشكل حاسم عن الطبقة السياسية ومجتمع المؤسسات الرسمية وشبه الرسمية . ثم إن الهبّة الشبابية الأخيرة لم تجد لغة أو رؤية ولا شعارات جاذبة .

ولاحظ البعض غياب الشباب عن إضراب المعلمين والحراك ضد قانون الضمان الاجتماعي . ولم يحدد سبب ذلك : هل هو عدم الوعي بأهمية القضايا المجتمعية والهموم المشتركة ، أم عدم القدرة على الانخراط فيها ، وبخاصة قضايا العمال والمرأة والعاطلين عن العمل[46] ، وكأن الناس باتت تعيش في عوالم منفصلة تماماً عن بعضها بعضاً ، ليس جغرافياً بل واجتماعياً وفكرياً . ولاحظ بعضهم أيضاً تقلص الحيزات العامة القابلة للاستخدام للحراك العام وسيطرة السلطة (في الضفة وفي

46 تظهر قراءة اللقاءات وعي طبقي بين فئات من الشباب في تناول الموقف من الهبّة الشبابية ومن مؤسسات السلطة والحزبين الكبيرين «الحاكمين» (راجع ، على سبيل المثال مقال أحمد عز الدين أسعد ، وخاصة ما ورد تحت العنوان الفرعي : «انعدام العدالة والمساواة تأثيرهما جزئي على الشباب ؛ شباب الطبقة الوسطى والمهمشة هم المشاركين في الهبّة» .

القطاع) ، وتحويل أماكن خاصة مثل المقاهي إلى أماكن شبه عامة لتنظيم لقاءات محدودة العدد . ولاحظت إحدى الشابات ممن حاورتهن «وجود احتقان في الوضع الاقتصادي ، ووجود شكل من العبودية الجديدة في العمل» ، وأن الشباب تبحث عن «بديل غير مرئي وغير مفهوم ، ويجري حديث عن تعاونيات للتحرر من اقتصاد السوق ، والبحث عن توليد روابط وأطر لفعل منظومة السلطة والتنظيمات السياسية والمنظمات غير الحكومية وخارج نظام السوق النيوليبرالية .» وأشار بعضهم إلى ظاهرة الانتقال من حالة الامتثال والولاء التام للأحزاب اليسارية إلى الانتقاد العلني المباشر ، وإلى الحالة السائبة والمشوشة داخل حركة فتح ، والتخبط داخل حركة حماس . هناك من رأى أن الهبّة الشبابية أظهرت المجتمع المدني (المقصود هنا الاتحادات الشعبية والنقابات المهنية ، بالإضافة إلى المنظمات الأهلية وغير الحكومية) «معطوباً» ، ما يدفع مجموعات شبابية مثل «نبض» للعودة إلى صيغ العمل التطوعي ، والبحث عن مساحات للتفكير خارج الأطر الحزبية .

باختصار شديد يتوفر إحساس قلق وضبابي نسبياً بأننا ، كشعب ومجتمع سياسي وقضية وطنية ، نعيش مرحلة انتقالية ، تستدعي الانتظار والترقب والحذر وشعور عارم بالحاجة إلى التغيير . كما توجس بعضهم من سعي أطراف ذات أجندات خاصة لاستغلال الأجواء الشعبية السائدة لاجتذاب شباب نحو أفكار وتنظيمات سلفية وتكفيرية مستغلة مأزق السلطة ومأزق «حماس» وضيق الوضع المعيشي والبيئي والنفسي والمعنوي ، وتداعيات العولمة الاقتصادية والتكنولوجية على حياة الفلسطينيين اليومية في الضفة الغربية وقطاع غزة والمناطق المحتلة سنة 1948 ، وما يجري من تحول نحو التطرف اليميني والفاشي في إسرائيل وفوضى التحولات الإقليمية والدولية .

رأى بعض من حاورتهم أن الوضع القائم (في الضفة والقطاع) أقرب ما يكون إلى حيز تتعايش فيه فئات اجتماعية (تتداخل فيها الأجيال والعقليات) تنتمي إلى أزمنة وعوالم مختلفة وإن سكنت فضاء واحداً . يقول هذا الرأي إن هناك نخباً سياسية تعيش في ستينيات وسبعينيات وثمانينيات القرن الماضي ، وأُخرى تسكن في شرنقة الدولة التي ولّدها وهم اتفاق أوسلو ومفارقاته ، وهذه النخب لم تعد قادرة على الخروج من شرنقة هذا الوهم ، بل تزداد تمسكاً به . ويضيف هؤلاء أن المؤتمرات السنوية تكرر السلسة القديمة ذاتها من الخطاب السياسي ، مع انشداد إلى الخطاب ذاته وإلى دولة متخيلة ، ومجلس تشريعي انتهى مفعوله ، وسلطة فقدت وظيفتها ، وتنظيمات تعيش في حالة إنكار ، بعد إنبات مقاس النجاح والفشل فردياً . هذا في وقت تمسك إسرائيل بتفصيلات حياة الشعب الفلسطيني المقيم في فلسطين التاريخية .

بدل الخاتمة : أصوات لا بد من سماعها

في لقاء ضم مجموعة من القيادات الشبابية (جرى في مركز الأرض بتاريخ 2016/3/30 (راجع الملحق رقم 1) ، طرح أفراد المجموعة عدداً من الأفكار والملاحظات التالية (من دون ذكر الأسماء وتحدث الجميع كأفراد وليس كممثلين لتنظيمات أو مؤسسات) من وحي العمليات الفدائية التي كان يقوم بها شباب أغلبيتهم العظمى من جيل «أوسلو» . الأبرز مما طرح من أفكار يمكن إيجازه بما يلي :

1. غير مسموح للحركة الشبابية التفكير والتعبير عن نفسها

يقول أول المتحدثين : «أنأ ضد فكرة الإحباط السائدة ، فنحن نحب الحياة . . . . فشل الجيل السابق ألقى العبء على الجيل الجديد ؛ جيل «ملعون» (السابق) ، وجيل «مطحون»

(الحالي) . الفشل ترك قيوداً على الشباب . الإسلامي غير مرتاح والعلماني غير مرتاح . الإذلال على الحواجز ، وكل أسرة فيها شهيد أو جريح أو أسير . . . .الهبّة الراهنة جاءت في سياق أوسلو (عند توقيع أوسلو كان عمري تسع سنوات) ، وجاءت في سياق بناء سلطة وفشل بناء دولة ، وفي ظل وجود فساد ومحسوبية وواسطة ، وتراجع مكانة النضال الوطني بكل أشكاله (السياسي والاجتماعي والنقابي) . الثورة الاتصالية أتاحت الاطلاع على تجارب العالم ، لكننا نعاني من الانغلاق ؛ لا تداول للسلطة بين الأجيال . . . سبب الانتفاضة الراهن هو الإذلال من قبل الاحتلال . . . أكبر نسبة مشاهدة بين الشباب الفلسطيني هي مباراة كرة القدم . . .كل من الشباب يبحث عن مصيره الشخصي في «المجتمع الثاني» (خارج المجتمع الرسمي أو الطبقة السياسية) ، بما في ذلك الهجرة . الحركة الشبابية (بما فيها شبيبة فتح) مربوطة بحبل سري مع القيادة السياسية ، وغير مسموح لها بأن تفكر وأن تعبر عن رؤيتها (الخاصة) . الشباب الآخرين إما في حركات شبابية تعارض من أجل المعارضة دون تطوير أو تطوّر ، وإما هي حالات فردية . . . لا خطة جماعية للشباب . الواقع اليومي للشباب هو الذي يحدد الخطة ،ولذا فالشباب في طرق مختلفة . الشباب يدقون الجرس . . .»

2. لم يعد جيلنا مستعداً للدفاع عن السلطة

يقول آخر : «المستقبل غير آمن ، الجميع يريد عيشة محترمة ، خوف الناس هو أن تدب حالة فوضى في المجتمع . وهناك خوف وتخويف من الفوضى . علينا أن نعرف حجمنا ، وأن هناك نظام يحكم العالم ، هدفنا التحرر والدولة والعيش بكرامة وبحرية . الصراع مع من؟ هل هو مع الاحتلال أم مع السلطة (الحكومة)؟ ومن يحدد الأولويات؟ . . . الهبّة أو الحراك الشبابي الجاري هو تفريغ طاقة . . جلينا قبل عشر سنوات كان مستعد أن يدافع عن المقاطعة (عن السلطة) ، الآن لا . تفريغ الطاقة جرى داخل التنظيمات السياسية ، وليس عبر إنتاج حركات سياسية جديدة . التغيير سيأتي من فوق (من أعلى هرم السلطة) وليس من تحت . وبات التغيير مطلباً عاماً . لكني أستبعد أن يخرج أي جديد ، والطريق الحالي لن يوصل إلى أي مخرج . . .»

3. لا أريد أن أكون جسداً لمستعمِر

ويكمل ثالث : «في المجتمع الفلسطيني فئات غير مرئية ، . . . الحجم الأكبر من الجيل الشاب غير مرئي وغير حاضر في الخطاب السائد . الخطاب لا يصنع تاريخ ، دور التنظيمات السياسية (الوطني) انتهى ، ما هو قائم ليس مجرد احتلال بل هو استعمار استيطاني . الناس غير الممثلين موجودين على الفضاء الافتراضي . الفرد هو من يقرر ولذا فالحافز الرئيس هو الثأر والانتقام . رسالة مروان برغوثي هي رسالة مباشرة إلى الفتى الفلسطيني الذي شوهد تحت التحقيق ، وليست موجهة للقوى السياسية . يجب أن تبقى المجموعات (الشبابية) غير مرئية ، ويجب أن تبقى الفوضى . الاستشهادي يقول للجندي «جسدي هذا أنا لا أريده» ، لا أريد أن أكون جسداً لمستعمِر . الاستعمار يستخدم سياسات إقصاء وسياسات دمج . بعد نشر صورة محمد أبوخضير (الفتى الذي تم حرقة من المستوطنين) جرت ثلاث عمليات استشهادية» .

4. الشهيد هو صوت من لا صوت له . . . والتنظيمات السياسية تعيش أزمة أخلاقية . . . السلطة في واد والناس في واد آخر

يطرح المتحدثان الرابع والخامس : «هناك أربع شرائح في المجتمع الفلسطيني : شريحة أولى

تتشكل من النخبة وهي بعيدة عن الحالة العامة ، و شريحة ثانية هي التي تعيش هموم واقعها اليومي ، وشريحة ثالثة وهي شريحة لم يعد لديها ما تخسره ، وشريحة رابعة تحركها دوافع وطنية . يرى الرابع أن حالة التفتت مستشرية داخل كل منطقة ، ويرى أن معظم حالات الاستشهاد كانت حالات فردية . فيقول : «لا أرى في المرحلة الراهنة أفقاً لما هو جديد (أي لإحداث التغيير) .» ويضيف الخامس : «نحن نعيد إنتاج الفشل ، ليس هناك إنجاز واحد للسلطة الفلسطينية . من الضروري أن نعرف حجمنا ، وأننا لسنا مركز الكون ، ولسنا وحدنا من يخوض نضالات . الإصلاح يبدأ من الداخل . لا يوجد نسيج وطني ، هناك «كولاج» . . العامل الاقتصادي هو ما يتحكم في حياتنا . كسر الفجوة بين النخبة والشعب ضروري . الشهيد هو الآخر يحتاج إلى صوت ، حتى أصحاب الأمعاء الخاوية يحتاجون إلى صوت . من يستشهد هو صوت من ليس له صوت . خطاب الرئيس في الأمم المتحدة كان بمثابة إعلان الإفلاس السياسي . الجامعة تدجّن الطلاب . هناك أزمة أخلاقية تعيشها التنظيمات السياسية . ويسود في المجتمع حالة من الاغتراب . الرئيس لا يمثل الناس ولا يمثلني ، وهو غير مؤهل لأن يمثل الناس ، فهو في واد والناس في واد . الشباب مستعدون للسفر والعمل في الخليج بسبب حالة الاغتراب ، بمعنى هنا اغتراب وهناك اغتراب ، لكن هناك اغتراب مع عمل ، أي مع دخل .»

5. لا انتفاضة بدون قرار من «فتح» ، والتغيير سيأتي من الشتات ، نحن في حالة إرهاصات . . . إن غاب الحزب حضرت العشيرة وإن غابت العشيرة حضرت العصابة

يقول السادس : « الفرق بين العالم الافتراضي (حيث يشارك الأفراد بمن فيهم الشباب) والعالم الفعلي (المعيش وشديد التعقيدات) أن المشاركة (في العالم الفعلي) شبه معدومة أو محدودة . الجيل الحالي من الشباب تربى على «الفزعات» من قبل القيادة السياسية . لا انتفاضة بدون قرار من حركة «فتح» . الجيل الشاب بدون وعي . هناك إرهاصات لحالة جديدة ورؤية جديدة بعد أن فشلت المقاومة وفشلت المفاوضات ، وغاب المشروع الوطني الموحد . التحول يبدأ من الخارج (الشتات) حيث أغلبية الشعب الفلسطيني ، وهناك سلسلة من الفعاليات والنشاطات في الخارج الفلسطيني في هذا السياق» . ويضيف السابع : «الأحزاب والتنظيمات السياسية تصادر رأي الكل وليس فقط رأي الشباب . مطلوب إعادة الاعتبار إلى الشتات الفلسطيني صاحب المصلحة الأولى في ممارسة حق العودة . نحن نعيش حالة إرهاصات . هناك حاجة لإدراك أن الحزب السياسي هو الشكل الأرقى للمشاركة في الحياة السياسية والتغير ، وإن غاب الحزب حضرت العشيرة وإن غابت العشيرة حضرت العصابة .»

6. الشرخ بين النخب السياسية والشعب يعني غياب الديمقراطية ، الهبّة فردية ، وفي القدس تغيب السلطة عن تمثيل الناس ، والتحزب هناك شكلي . . فكرة الدولة الواحدة تنمو كشجرة المداد بين الشباب

ويضيف الآخرون ممن حاورت (الثامن والتاسع والعاشر والحادي عشر ، مع القفز عن التكرار) :

«الوضع الراهن لن يوصل إلى أي شيء إيجابي . نحن نعيش في حالة فشل ، وهذا الفشل لن ينتهي إلا بانتهاء أوسلو . والفشل شامل سياسي واقتصادي واجتماعي وإقليمي . الهبّة بدأت فردية وستستمر فردية . الحالة السائدة هي حالة عدم ثقة في التنظيمات ومؤسسات السلطة . . . معظم من يقوم بعمليات استشهادية هم ما بين سن 16 و21 ولا يتمتعون بوعي

سياسي . . . الحراك التنظيمي في التنظيمات السياسية محدودة . وكل منطقة في الضفة الغربية لها خصوصياتها (القدس القديمة تختلف عن سلواد والعيسوية وبيت حنينا . . . في القدس تغيب السلطة الإسرائيلية عن تفاصيل الحياة اليومية ، وتغيب السلطة الفلسطينية عن تمثيل الناس ، وإن وجد ممثلين لها فهم أقرب إلى «مخاتير» ، لهم حضور شكلي . . . . الشباب الصغار يصطدمون بالواقع اليومي وإن انبهروا بالسوق الإسرائيلي ، الطاقة يفرغها الفرد في الشخص الذي أمامه سواء كان فلسطينياً أو إسرائيلياً . . . . الشباب اكتشفوا أدوات جديدة (السكين والسيارة) . لكن حالات كثيرة لم تكن تحمل سكيناً . مهند حلبي كان مبادراً وحاول أن يثقف سياسياً . . . . في القدس التحزب (الانتماء للحزب أو التنظيم السياسي) شكلي (عبر الأخ والصديق والقريب . . .) ، ولذا تجد حتى من أبناء حركة «فتح» من يقول إن الرئيس عميل . ردة الفعل تجاه حرق الطفل خضير كان عشائرياً . والرد على إغلاق المسجد الأقصى لم يكن من الشباب فقط ، بل من فئات أُخرى أيضاً . الرئيس لا يتحرك إلا إذا دخلت «حماس» أو دحلان على الخط . انسلاخ القيادة عن الشعب . الرئيس استمتع لكيري عندما زار المقاطعة وقال للرئيس «ضب جماعتك» ، وبعد ذلك تدخل أبو مازن في تقييد حركة المواجهة مع الاحتلال (الهبّة الشبابية) ، قبل ذلك كان ممكن أن يدعم أبو مازن عمليات المقاومة . هناك أسباب وطنية وراء الهبّة أو العمليات الفدائية ، هي فعل مقاوم ضد الاحتلال وهناك عوامل اجتماعية -اقتصادية (البطالة) .» ويضيف مداخل سابق : «وجود شرخ (بين المجتمع الرسمي وبقية الشعب يعني غياب الديمقراطية . . . هناك بذرة تنمو بين الشباب حول فكرة الدولة الواحدة ، مثل شجرة المداد . . . من المهم الانتباه إلى موضوع ربط الشهادة بالدين ، هذا لم يكن سابقاً ، كان الشهيد هو من يسقط من أجل الوطن . . .»

ما يلي آراء شباب وشابات في لقاءات فردية تساهم في إثراء واكتمال الصورة :

1. يجب التخلص من النخب الراهنة ، وما يجري الآن ليس كافياً لإنجاز التحرير . . نحن بحاجة إلى عمل شيء جديد

طالبتان جامعيتان (بيرزيت) ، تقول الأولى : «من نصّب هؤلاء على أنهم نخبة أو قيادة؟ وكيف نصّبوا أنفسهم ؟ وبعد اكتشاف خطئهم كلهم لماذا ما زال الشعب الفلسطيني يتبعهم؟ ولماذا لا يتحرك الفلسطينيون ضدهم؟ لماذا يقبل الفلسطينيون بان يكونوا تابعين للقمة العيش؟ برأيي أن التحرر يجب أن يسبقه التخلص من النخب السياسية الراهنة وتجاوزها لصالح عمل سياسي موحد . . . . الثقافة يجب أن توجّه على الأقل في المرحلة الحالية ضد النخبة السياسية والأحزاب التي تعزز الانقسام . . . التحرر من الاستعمار يأتي في مرحلة تالية بعد نيل الحرية التي سلبتها النخب السياسية .»

وتضيف زميلتها :« . . . ما هو قائم ليس عيشة ، الجنود (الإسرائيليون) يدخلون متى يريدون على أي بيت ويفتشوه . نريد حرية تنقل في فلسطين وإلى الدول الأخرى ، نحن هنا نخضع لإجراءات لا مثيل لها في العالم . الجيل الشاب يريد حقوقه في بلده . نريد استقلال عن الاحتلال والاعتماد على الذات . . . العمليات الفدائية رسالة للمحتل بأننا هنا ، ولم ننس الأرض ونريد أن نغيّر الوضع ، وفيها رسالة إلى القيادة بأن لا بد من تغيير الوضع الراهن . ما يجري الآن (من عمليات استشهادية) ليس كافياً لإنجاز تحرير ، لا بد أن يحدث ما هو أكبر حتى يتم التغيير . بحاجة إلى عمل شيء جديد . . . .»

2. الحراك القادم سيكون معركة الجوع وكرامة العيش

تقول ناشطة شبابية : «الحراك القادم سيكون ضد السلطة ، وسيكون مُحرّكه الجوع وكرامة العيش . أشكال الصرف تزايدت مع ازدياد عدد المدارس الخاصة (بما في ذلك في مدينة جنين) ، وكذلك مظاهر استخدام التكنولوجيا الحديثة . في الشمال طبقة الأغنياء هم التجار ، وبعض رجال الأعمال ، وهم في الأصل تجار . القطاع العام وجوده محدود في الشمال (معظم تكوينه من المدرسين ، وفي القطاع الصحي الحكومي) . هناك علاقة بين الرأسمال الكبير والفئة العليا من السلطة . لا ثقة بالسلطة ولا بالأحزاب السياسية ، وعدم ثقة بالمنظرين من المثقفين اليساريين . . . عدم ثقة بأي خطاب سياسي حماسي ، هذه من لغة عقود قديمة ، ويسري هذا على التيار الإسلامي ذي الخطاب الديني الغبي . الناس تريد خطاباً بلغتها خطاب يتطرق إلى مصالحها ويتعاطف مع مشكلاتها . استمرار الانقسام أفقد الناس الثقة بالتنظيمات السياسية ، أحزاب فئوية ذات عقلية صغيرة .»

3. محور الهم السائد هو تأمين سبل المعيشة ، العديد يفكر في الهجرة والثقافة مدخل للتغيير

يقول شاب ناشط في فرقة موسيقية-غنائية : «يكثر الحديث عن فساد واسع في السلطة ، والكثير من الشباب ينظر للأحزاب كوسيلة للحصول على عمل . . . ومعظم الذين أعرفهم يعملون في أكثر من عمل لتأمين معيشتهم . . . الأحزاب لا تأتي بنتيجة ، حتى على مستوى الجامعات تجدها تهزأ ببعض . الطموح السائد اليوم هو تأمين عمل (دخل) ، ولا طموح أبعد من ذلك . الشابات وضعهن أسوأ ، لأن فرص العيش أضيق بالنسبة لهن . الشاب الذي يتزوج همه كيف يؤمن العيش لأطفاله . . . . . نحن كفرقة فنية نفكر بالسفر كفرقة لعمل عروض في الخارج لأن لا فرص لعروض هنا في البلد . صوت صاعد من الناس يقول «كفى ما يجري» . الجيل الشاب لا يرى نتيجة من المواجهة الجارية مع الجيش الإسرائيلي ، الحجارة والسكاكين لن تؤدي إلى نتيجة . . . الهموم اليومية تؤخر نقاش القضايا الإستراتيجية . . . لا يوجد حماس راهناً لفكرة الدولتين . . أغلبية الشباب لا تفكر بحلول للقضايا السياسية . العديد من الشباب (من مخيميّ الدهيشة وعايدة) يعملون داخل إسرائيل ، وهم مشغولون بالهموم اليومية . والعديد من الشباب يرى في الهجرة مخرجاً . . . أعتقد أن التغيير يمكن أن يأتي عبر الثقافة ، مثل ربط المسرح بالموسيقى الحية ، وعروض دبكة معه موسيقى حية . مجموعة «حايا» السريانية في بيت لحم قامت بعرض جميل لاقى اهتماماً واسعاً من الجمهور . . . هناك نهضة (حيوية) بين شباب البلد عبر الموسيقى . . .»

4. معظم الشباب يربطون الوطن بالسلطة ، الجميع ضد السلطة وأوسلو بمن فيهم شباب «فتح»

طالب من جامعة بيرزيت (أصيب في المواجهات مع الجنود الإسرائيليين في بيت إيل)يقول : «دافع المشاركة في مواجهات بيت إيل كان الحس الوطني . لكن أعداداً غير قليلة من الطلبة يريدون الهجرة بسبب الأوضاع الاقتصادية المتدهورة ، وغياب مستقبل للبلد . . . . معظم الشباب يربطون الوطن بالسلطة ، والبلد بالسلطة ، وهذا خطأ . . . قرار المشاركة في مواجهات بيت إيل كان فردياً ، أي أن الطلاب لم ينتظروا توجيهات من تنظيماتهم . . . كان هناك خوف من المستعربين الذين حضروا مع المواجهات الأولى (شارك فيها نحو 200 طالب) ، خفّت أعداد المشاركين بعد ذلك إلى أن وصلت إلى أقل من 20 طالباً في أوائل تشرين الثاني

(2015) . . . «فتح» و«حماس» يتعاملان مع الطلاب بالدفع . . . «حماس» تدفع للمحتاجين لعمل نشاطات عامة وليس فقط لأعضاء التنظيم . . . وهي (أي «حماس») تضع في واجهة تنظيمها شخصيات محبوبة . . هذا لا يسري على «فتح» . . . ، الجميع بما فيها أعضاء «فتح» ، ضد السلطة وأوسلو . . . . أفراد «حماس» هم الأكثر ثقة بقياداتهم ، وتنظيم «حماس» أصبح تنظيميا سريا والعضو لا يعرف بقية الأعضاء ، ولذا فإن «الحمساويات» (الفتيات العضوات في حركة «حماس») هن أكثر ظهوراً من الشباب . . . . الهبّة الشبابية ألغت إحساس جيل أوسلو بأنه مقصر مقارنة بالجيلين السابقين (الانتفاضة الأولى والثانية) . بعض الطلاب ينظر للشباب الذين هاجموا الجنود والمستوطنين واستشهدوا كأبطال والبعض الآخر يقول : «حرام» ، «أنضحك [ضُحك] عليهم» ، «ماتوا ببلاش» ، وهناك من يبقى صامتاً . . . لا أمل في نظر معظم الطلاب . سبب سوء الوضع يعاد إلى واحد أو أكثر من التالي : السلطة ، الانقسام ، الاحتلال ، المؤامرة (أمريكا) . . . بعد ظهور داعش خفف من مظاهر التدين على صعيد الجامعة . .»

5. التفكير الجماعي اختفى ، وجيل الانتفاضة الأولى اعتكف ، والنخبة السياسية لا تملك القدرة على التواصل مع الشباب

تقول قيادية شبابية في تنظيم يساري : «المجتمع الرسمي (النخبة السياسية) يتعامل بفوقية مع الناس . . .جزء كبير من المهمشين يستفيد من السلطة كونه يعمل في مؤسسات السلطة وفي المنظمات غير الحكومية وفي الأحزاب السياسية . التواصل بين المجتمع الرسمي والمجتمع المهمش يتم لصالح النخبة . التنظيمات السياسية تتواصل مع العمال ومع الطلاب في فترة الانتخابات فقط . . . . «فتح» و«حماس» وغيرهما تدفع للطلاب ، . . .الطالب يستمع ما دام هناك فائدة مادية له ، والعامل أيضاً لأنه يحصل على تأمين صحي عندما يصبح عضواً في الاتحاد العام لنقابات عمال فلسطين . . . .التوجه الجماعي اختفى والناس لا تتحرك إلا لمصالحها الخاصة . . . السلطة الراهنة تتعامل بالقمع ، كما حدث مع إضراب المعلمين . . . . النخبة السياسية ليس لديها قدرة على التواصل مع الشباب . . . . في التنظيمات السياسية هناك فرق واسع في العمر بين القيادة والشباب . . . الكادر الوسيط داخل الأحزاب والمنظمات غير الحكومية غير موجود عملياً لأن جيل الانتفاضة الأولى في التنظيمات السياسية اعتكف بعد أن اتضح فشل أوسلو و بسبب اليأس والإحباط . . . يقوم جيل الانتفاضة الأولى بمبادرات محلية في القرى حيث يعتكف . لا توجد مساءلة ولا ومحاسبة للقيادات لما أوصلت إليه الأمور . . . على اليسار أن يدافع عن المجتمع المهمش . . .«فتح» تتأثر بالمعارضة ، سابقاً كانت تتأثر باليسار والآن بحركة «حماس» . . . . تحرك الشباب جاء من خارج التنظيمات السياسية ورافض لعقلية «نفّذ ثم ناقش» . . . هناك مجموعات من الشباب مسها الاحتلال بشكل مباشر عبر الاستشهاد والاعتقال والإصابة أو الاعتداء على أخ أو قريب أو صديق أو إهانة على المعابر أو اعتداء من مستوطنين ، ولذا فقد يأخذ الهجوم على هؤلاء بعداً انتقامياً . بالنسبة للشابات ، جزء يشارك في المواجهات لإبراز قضية المرأة ، ورداً على تعليقات على الفيس بوك تقول «انضبي في البيت بدل رمي الحجارة» . . . . المشاركة الثقافية بين الشباب تتم عبر الأجهزة الذكية . . . .»

6. الشباب ليسوا في عزلة عن المجتمع

في لقاء جمعني مع عدد خمسة من المثقفين (في 2016/3/21 في مركز الأرض) تناول مدلولات «الهبّة الشبابية» ، وجميعهم من خارج الإطار الشبابي أورد هنا بعض الأفكار

التي وردت (من دون ترابط بالضرورة) من المشاركين في اللقاء ، تدليلاً على التشارك في الهموم والأفكار بين جيل الشباب والجيل الذي تجاوز سن الشباب :

«إنها انتفاضة يتيمة ، وفردية ، يتغلب عليها طابع الانتقام الفردي من الاحتلال ، هبّة بدون حاضنة حقيقية ، شعبية أو حزبية ، وبدون قيادة وطنية لها . يحركها شعور بالإحباط ، ورغبة بالانتقام جراء فقدان صديق أو أخ أو قريب بفعل الاحتلال . في العالم العربي المثقف بات في حضن السعودية والخليج وتركيا وقطر . وبات مكشوفاً . . . المؤسسات الثقافية تسيطر عليها السعودية وقطر والكويت والخليج وتستقطب المثقفين العرب ، بما في ذلك مثقفين كبار . . . . متحف درويش يعكس الحالة السائدة في رام الله حيث يتم تعزيز الكم حساب النوع وتكريس مفهوم مغلوط للثقافة تحت اسم محمود درويش . . و مستوى الفن التشكيلي هبط . . . . . .لا حالة ثقافية ، هناك أصوات وجهود فردية وتغيب المؤسسات ثقافية . . .هناك سياحة ثقافية ونيمة . . . لا دور نشر فلسطينية ، هناك منظمات تتنافس على موضوعات محددة (امرأة ، شباب ، وغيرها) . مع انتهاء منظمة التحرير لم يعد هناك ما يشد الجيل الجديد سياسياً وثقافياً . . . رام الله باتت «سجادة حمراء وحرس شرف» . وزارة الثقافة هي لصرف تذاكر سفر فقط . . . والمدينة لم تنتج ثقافة تذكر . بتنا في محميات كالهندي الأحمر . هنالك مجلة الكترونية ، تصدر في غزة تحت عنوان 28 من خلال التبرعات الفردية . . . . لماذا هناك اغتراب عن الثقافة؟ العديد من الذين لا يعرفون الفيس بوك يسبّون على الفيس بوك والذين كانوا يسبّون على الجوائز الثقافية تحولوا إلى العكس بعد أن نالوا جوائز . . . . . السبب الأساسي للهبّة الشبابية الأخيرة هو الاحتلال ، لكن الأوضاع المعيشية الصعبة لها علاقة . الاعتراف بالهزيمة هو بداية الانتصار . شعار «شعب الجبارين» لا يفيد وغير صحيح ، في العالم نظام جديد . مطلوب تطوير الرواية الفلسطينية للحفاظ على نفسها . ومن الضرورة تطوير مكانة المرأة في المجتمع . . . . حنان الحروب خبلت [جننت] إسرائيل . أهمية وسائل الاتصال الرقمية . . . . سبب الهبّة هو الاحتلال والفساد والبطالة . الشباب يكتبون بدون تورية وتجميل ، كتبوا عن الاحتلال كما هو ، وعن العلاقة بين الرجل والمرأة كما هي ، مضامين إنسانية ، رواية حقيقية . الحراك يجب أن يتم باتجاه التغيير . الشباب ليس لهم حاضنة . والقيادات تخشى التغيير . . . . يجب الاقتداء بالمعلمين ، التجمع بالآلاف لإسقاط النظام . . النظام الفلسطيني هو تكرار للنظام العربي . الاحتلال قائم في رام الله ونابلس لكن غير مرئي . . ما زال الاتجاه السائد هو التحرك باتجاه بيت إيل وليس المقاطعة . . . .»

ما يرِد على لسان أحد المتحدثين بشأن استخدام وسائل الاتصال الاجتماعي في ورقة رشا الحلوة عن شباب الأراضي المحتلة عام 1948 يستحق التفكير من حيث التنبيه إلى حقيقة أن وسيلة التعبير المستخدمة ذات مدلولات وتبعات سياسية ؛ فكون وسائل الاتصال الاجتماعي (الفيس بوك وتويتر على سبيل المثال) لا سلطة عليها سوى الفرد المستخدم لها وبالتالي لا مسؤولية عليه كونها تمارس في حيز خاص (وإن كانت تجري محاولات جزئية تهدف إلى وضع بعض ما يصدر فيها موضع محاسبة) ، يجعلها تفترق عن التداول الذي يجري الحيز العام (الجريدة ، الراديو التلفزيون) .

كلمة أخيرة

ما يريده الشباب الفلسطيني (والشعب الفلسطيني) هو امتلاك مستقبل آمن ، أي ضمان عمل منصف ومكان مؤهل للسكن ، وأن يتاح له/لها إمكانية تكوين أسرة بدون أن يترتب على ذلك ديون أو إرهاق . بتعبير آخر ، يريد الشاب والشابة امتلاك شبابهما ، وأن يتابعا اهتماماتها وهواياتهما وتطوير شخصيتهما بحرية بعيداً عن الاستبداد والقمع بمختلف أشكالهما (العائلية ، والدينية والاقتصادية والسياسية والاستعمارية) . هذا يعني في الشرط الفلسطيني ، من جملة ما يعني ، أولاً ، التحرر من الاحتلال والاستعمار الاستيطاني ومن أيديولوجيته العنصرية ، والتحرر ثانياً من التمييز والقمع بأشكاله المتعددة ، وثالثاً العيش في مجتمعات تؤمن له/ها المساواة التامة بغض النظر عن الجنس أو الدين أو الطائفة أو الأصل القومي أو الإثني وغير ذلك . لذا الربط ضروري بين النضال التحرري الوطني والنضال من أجل الحرية والمساواة والعدالة الاجتماعية في كل تجمع من تجمعات الشعب الفلسطيني .

شكّل ما جرى منذ بدايات العقد الأخير من القرن الماضي تحولاً نوعياً في الحقل السياسي الوطني قاد إلى تفككه التدريجي إلى مكوناته الجغرافية ، أي إلى حيزات محلية لكل منها ديناميكيته وخصائصه السياسية والاجتماعية–الاقتصادية . وبات هناك خشية من انجرار كل تجمع نحو البحث عن خلاصه ومتابعة مصالحه المحلية (كما تراها نخبه السياسية والاقتصادية والاجتماعية) بمعزل عن خلاص ومصالح وحقوق التجمعات الأُخرى . وهذا الوضع يلقي على الحركة السياسية الفلسطينية ، ومن ضمن مكوناتها الجيل الجديد ، العمل على بناء حقل وطني جديد على أسس ديمقراطية تمثيلية لكل مكونات الشعب الفلسطيني . استمرار الوضع الراهن يعني إقصاء الشعب الفلسطيني (بشبابه وشيّابه) عن السياسة ، وعن الفعل الجمعي التكاتفي المقاوم لاحتلال استعماري استيطاني عنصري وضد كل أشكال التمييز والاستثناء والتهميش في الشتات .

الاغتراب السياسي والاجتماعي لا يخص فقط العلاقة بين التجمعات الفلسطينية التي تعيش في منعزلات ، بل يطال العلاقة بين طبقة سياسية متشكلة من نخبة تتكون من قيادة السلطة والحكومة (في كل الضفة والقطاع) وقادة الأجهزة الأمنية وكبار جهاز القضاء وقادة التنظيمات ، وبخاصة من التنظيمين الكبيرين ، وكبار أصحاب رؤوس الأموال ، ومن يحتلون المواقع القيادية في المنظمات غير الحكومية والاتحادات والنقابات ؛ وبين الجزء الباقي (الأكبر) من الشعب .

الإضرابات والاعتصامات التي شهدها النصف الأول من العام الحالي (2016) جاءت حول قضايا مطلبية ، ولم تطالب بإسقاط النخبة السياسية كما حصل في الانتفاضات الشعبية العربية . لكن أغلبية كبيرة من الشعب تريد من النخبة السياسة أن تغيّر موقفها من إسرائيل كدولة مستعمرة ، وأن تلتفت إلى قضايا الشعب الاجتماعية والاقتصادية والثقافية بجدية أكبر . لعل هذا ما أراد قوله مقال رئيسة تحرير شبكة نوى الذي جاء فيه :

«رسائل السائقين والباعة المتجولين وبائعات الأعشاب في حسبة رام الله وأسواق غزة الشعبية لا تصل ، حتى وإن تم التعبير عنها في استطلاعات الرأي التي تظهر الهوّة الكبيرة بين القيادة والجمهور ، ومدى انعدام الثقة . أتفهم أن يخاف شعب من قيادته ولا أقبله– الخوف فقط يكون من الأنظمة الديكتاتورية والدول البوليسية ، ولكن أن يكره الشعب قيادته ولا يثق بها ولا يعوّل

عليها ، فهذه المصيبة والكارثة التي تتعامى عنها قيادة تعتقد أنها قدر لهذا الشعب . أن نكره الاحتلال أمر محمود ، فالكره مرحلة أولى للرفض والمقاومة ، ولكن ماذا عن كره القيادة؟ هل سيتحول إلى فعل حقيقي قادر على إزاحتها طالما أنها لا تعبر عن أدنى طموحاته وآماله؟»[47] .

ويرد في مقال آخر :

«وحين انطلق شباب انتفاضة السكاكين ، توقع البعض أن تتدحرج كرة الثلج ، لتشعل النار الكامنة تحت الرماد ، لكن مع مرور الوقت احتوت إسرائيل الموقف ، وبات تحت السيطرة ، وما زال الاحتلال قائماً وما زال الانقسام قائماً ، وما زالت قيادات «حماس» و«فتح» تجلس على مقاعد القيادة والسلطة ، رغم أنها فشلت في تحقيق أي شيء يذكر منذ عقود لجمهورها الذي يشكل أكثر من ثلثي الشعب الفلسطيني! هذا لا يعني أن قواعد وكوادر الحركتين التي تعتبر بمثابة خطوط التواصل مع الشعب ، راضية أو قابلة إلى الأبد بهذا الوضع ، الذي يبدو أنه يحقق مصلحة مثلث المعاناة – الاحتلال ، الانقسام ، والترهل البيروقراطي . العشرات إن لم يكن المئات من عناصر وكوادر «حماس» غادروها باتجاه قوى سياسية أخرى ، من الجهاد لـ «داعش» ، فيما ذهب المئات كل في حال سبيله ، إن لتركيا أو قطر ، أو إيران! أما «فتح» ، فان الحالة الداخلية تبدو أكثر صخباً ، بحكم طبيعة الحركة وتاريخها ، وحيث أن قيادتها قد عجزت للحظة عن وضع حد للانقسام ولا بأي شكل ، كذلك أخفقت في تحقيق نتائج في ملف المفاوضات ، وحتى أنها فشلت حتى اللحظة في وضع حد لحالة محمد دحلان ، فان حالة الغليان الداخلي مع مرور الوقت ومع الخوف من رهن مصير الحركة بشخص رئيسها ، وهكذا وصل الغليان الداخلي للمجلس الثوري ، الذي أخرج للعيان وثيقة الـ47 التي تطالب بعقد المؤتمر السابع الذي كان مقررا العام الماضي ، خلال ثلاثة أشهر.»[48]

ويضيف مقال آخر آخر :

«وتبلغ دراما الفصائل ذروتها التراجيدية ، حين تتحدث بلغة الأجيال وتعاقبها ، فالجيل الثالث من أبناء النكبة الذي شارف على الأربعينيات من عمره ، يكاد لا يكون ممثلاً في أطر المنظمة ومؤسساته وهيئات الفصائل وقياداتها . . . أما الجيل الرابع ، الذي يشق طريقه للحياة ، فيكاد لا يسمع عن الفصائل والمنظمة ، سوى قصص وحكايات يرويها الأهل بين حين وآخر .لكن عبقرية الشعب الفلسطيني الجمعية ، وارتباطه الوثيق بواحدة من أنبل القضايا وأكثرها عدالة ، تدفع بأجياله المتعاقبة إلى عدم التوقف عند هذه الهياكل والأطر الضيقة على أبنائه وبناته ، فتراهم يستنبطون وسائل كفاحهم ، من لغة العصر وروحه ، وكلٌ بطريقته ، في تحدٍ رائع للاستعمار الاستيطاني الاقتلاعي من جهة ، وفي تمرد صريح على تآكل أطر العمل الوطني الفلسطيني من جهة ثانية ، وبصورة تحمل معها بكل تأكيد ، فرص انبثاق موجة وطنية - ثورية فلسطينية جديدة ، لا نعرف كيف ستنطلق أو من أين ، وما الذي ستكون عليه أطروحتها الرئيسة ، بيد

47 وفاء عبد الرحمن ، «قيادة تعرف ولكنها لا ترى ولا تحس . .» ، شبكة نوى ، 10/3/2016 . http://nawa.ps/arabic/?Action=Details&ID=26560

48 رجب أبو سرية ، «عن داخل «فتح» الذي يغلي» ، الأيام ، 7/6/2016 .

أننا على يقين من أن بوصلتها ستظل تتجه نحو فلسطين بكل تأكيد.»[49]

تشير أوراق البحث الميداني الواردة في هذا الكتاب إلى أن أغلبية الشباب (ومعظم الجمهور الفلسطيني) في الضفة والقطاع باتت مقتنعة بأن «الطبقة السياسية» الفلسطينية ومريديها (رجالات السلطة ، وقادة التنظيمات السياسية ، ومسؤولي المنظمات الأهلية الكبيرة والمتوسطة وكبار المولين والمتنفذين في القطاع الخاص) فشلت تماماً في إنجاز المشروع الوطني ، ولم يعد بحوزتها رؤية أو إستراتيجية لوقف السيطرة الاستعمارية الاستيطانية الصهيونية ، فضلاً عن حيازة رؤية للخروج من المأزق الوطني وهزيمة المشروع الصهيوني . عامة الشعب لم تعد تثق بالنخب في الضفة الغربية كما في قطاع غزة . لقد تكون شرخ يتسع يومياً بين نخبة تقرر في شؤون الحكم الذاتي الإداري وبين عامة الناس المثقلة بهمومها الحياتية ، وهي لم تعد تصغي للنخبة ولا تثق بها ولا تتوقع خيراً منها . ففي حين تستثنى عامة الناس من عمليات اتخاذ القرار (السياسي والأمني والاقتصادي والاجتماعي والثقافي) كونه من احتكار نخبة الطبقة السياسية ، فإنها (أي عامة الناس) تبقى الأكثر عرضة لتغوّل وتوحش وعنصرية دولة الاحتلال الاستعماري ومستوطنيها . عامة الناس وليس أفراد النخبة هم الأكثر انكشافاً للبطالة والفقر والاستدانة من البنوك والإذلال على الحواجز ولهدم البيوت واقتحامها ليلاً ، وللاعتقال الإداري ، وللاستشهاد في الطرقات والتفكير في الهجرة[50] .

قد يكون صحيحاً إلى حد بعيد القول إن الأحزاب والتنظيمات السياسية الفلسطينية كما ومنظمات المجتمع المدني (وتحديداً الاتحادات والنقابات) لم تولِ الشباب (ذكوراً وإناثاً) العناية الضرورية ، لكن الصحيح تماماً هو أنها لم تولِ العناية الكافية للحركة الوطنية الفلسطينية بما يضمن تطويرها بحيث تواكب حقوق ومصالح شعبها بمكوناته المتعددة وأوضاعه المتنوعة ، وتخاطب العالم كما يجب أن يخاطب باعتبار أن القضية الفلسطينية هي قضية تحرر وطني وقضية إنسانية وقضية عدالة وحقوق تاريخية .

49 عريب الرنتاوي ،«الحركة الفلسطينية إذ تفيض عن الفصائل» ، الدستور- التاريخ : 10/6/ 2016 /http://oraib.alqudscenter.org arabic/article/9746#).

50 راجع : جميل هلال ، «تفكك الحقل السياسي الفلسطيني» ، مجلة الدراسات الفلسطينية ، العدد 107 ، صيف 2016 .

ملحق رقم 1

قائمة باللقاءات التي أجريتها ما بين شباط/فبراير 2016 و منتصف أيار/مايو 2016 (مع حفظ الألقاب)

اللقاء الأول ، مع مجموعة من خمسة شباب وشابات (ثلاثة شابات وشابين في العشرينيات من العمر) عاملين في مؤسسة الدراسات الفلسطينية في مدينة رام الله .

اللقاء الثاني ، مع رازي نابلسي (باحث في مؤسسة بحثية غير ربحية) .

اللقاء الثالث ، مع شابتين تعملان في مؤسسات خيرية أوروبية ومحلية ، وهما من خريجات جامعة بيرزيت .

اللفاء الرابع ، مع أوليفيا عودة (خريجة جامعة بيرزيت تعمل في مؤسسة نسوية غير ربحية في القدس وتسكن كفر عقب) بتاريخ 2016/2/28 .

اللقاء الخامس ، لقاء مع رشا الحسن (مركز الأبحاث الفلسطيني خريجة جامعة بيرزيت) .

اللقاء السادس ، لقاء مع شابيّن (في مقهى جفرا) المقهى يرتاده شباب وشابات أغلبهم من خريجي جامعة بيرزيت ، المقابلة جرت في تاريخ 2016/2/29 . الأول محمد وهبي (يعمل في مؤسسة دراسات مستقلة) ، والآخر يعمل في إحدى مؤسسات السلطة وفضل عدم ذكر اسمه (س . ط) .

اللقاء السابع ، مع س .ط (في اليوم والمكان نفسيهما وبحضور صديقه محمد وهبي) . تنقل بين عدة وظائف في السلطة والقطاع الخاص والمنظمات غير الحكومية . وهو خريج جامعة بير زيت وتلقى دورات في أوروبا .

اللقاء الثامن ، مع بترا زيادة (تعمل في منظمة غير حكومية ، وتدرس لدرجة الماجستير (علوم سياسية) في جامعة أبو ديس وهي من سكان بير زيت .

اللقاء التاسع ، لقاء مع نائلة خليل (صحافية) وعزة السميري (عملت سابقاً في منظمات غير حكومية في إدارة مشاريع) .

اللقاء العاشر ، لقاء مع راية زيادة (خريجة من جامعة جنين الأمريكية ، من بريطانيا ، عملت في منظمة سويسرية في القدس . كانت عاطلة عن العمل عند اللقاء معها) .

اللقاء الحادي عشر ، مع هدا العريان (مدرسة جامعية- بير زيت) .

اللقاء الثاني عشر ، مع حازم أبو هلال (يعمل في مركز الفن الشعبي ، وناشط بين الشباب) .

اللقاء الثالث عشر ، حضر اللقاء : عبد الغني سلامة (باحث وموظف في وزارة الاقتصاد) ، وتحسين يقين (باحث) ، وسائد كرزون (ناشط شبابي ، مهتم بالإعلام الإلكتروني) ، ومحمد السمهوري

(فنان تشكيلي) ، وطارق عيساوي (قانوني) .

اللقاء الرابع عشر ، لقاء مع يزن الخليلي (يعمل في المجال الفني وعضو في الهيئة المشرفة على مركز السكاكيني) .

اللقاء الخامس عشر ، لقاء مع محمد موقدي (محاسب في شركة خاصة في رام الله) .

اللقاء السادس عشر ، مع مجموعة من قيادات شبابية (جرى في مركز الأرض بتاريخ 2016/3/30) ، وشمل اللقاء : عمار جمهور (الحياة الجديدة) ، ووليد عطاطرة (جمعية الطاقة الشمسية المتجددة) ، وحسان جدة (شركة كونسبت) ، وبرهان دويكات (عاطل عن العمل) ، ومحمد دلة (مستشار تربوي) ، وأشرف عكة (ملتقى الحريات-فلسطين) ، وأحمد اغواني (جامعة بيرزيت) ، وقسام برغوثي (فلسطين الغد) ، وإياد زيتاوي (موظف في سلطة النقد) ، وعوف عوض الله (موظف في التعاون) ، ولينا قادري (فنانة تشكيلية ، ماجستير من بيرزيت) .

اللقاء السابع عشر ، مع طالبتين في جامعة بيرزيت (جميلة عويص وهبة شبيطة) .

اللقاء الثامن عشر ، مع عبيدة صلاح (موظفة في مؤسسة حكومية ، وناشطة في المجال الثقافي الشبابي) .

اللقاء التاسع عشر ، مع زيد جمال هلال (شاب ناشط مع مجموعة فنية موسيقية) .

اللقاءِ العشرون ، مع عبد الرازق فراج (2016/4/12) ، (سجين سابق عدة مرات ، أمضى 15 عاما ، و راهنا يعمل في اتحاد لجان العمل الزراعي) .

اللقاء الواحد والعشرون ، مع شاب خريج يعمل مع مجموعة من الشباب في مقهى ثقافي في رام الله .

اللقاء الثاني والعشرون ، مع س . هـ ، (طالب جامعي شارك وجرح في المواجهات مع قوات الاحتلال في بيت إيل) .

اللقاء الثالث والعشرون ، مع قيادية شبابية في تنظيم يساري .

الجزء الثاني

تقارير الأبحاث الميدانية

1. «الشباب في قطاع غزة ؛ أزمات مركّبة ومستقبل ضبابي . .!»/ أكرم عطا الله : كاتب مقيم في غزة .
2. «مدلولات «الهبّة الشبابية» سياسياً واجتماعياً جنوب الضفة الغربية (بيت لحم والخليل)»/ أحمد عز الدين أسعد : باحث وخريج جامعة بيرزيت .
3. «الهبّة الشبابية ومدلولاتها السياسية والاجتماعية ؛ بحث ميداني في منطقة رام الله»/ عايدة الحجار : باحثة ، خريجة جامعة بيرزيت .
4. «الاهتمامات الثقافية وتجديد الحركة السياسية ؛ لقاءات مع شباب في محافظة رام الله»/ عبد الغني سلامة :كاتب وخريج جامعة بغداد .
5. «آراء شبابيّة من الأراضي الفلسطينيّة المحتلّة عام 1948»/ رشا حلوة : كاتبة وصحافية ، خريجة جامعة حيفا ، مقيمة في عكا .
6. «الهبّة الشبابية الأخيرة (شمال الضفة) ؛ حديث مع : أسر الشهداء والكتل الطلابية وأسرى سابقين وشباب من مخيم بلاطة»/علي موسى : باحث ، يحمل شهادة ماجستير من جامعة بيرزيت .

تقديم

لعل أهمية اللقاءات التي أجراها الباحثون (من الشباب والشابات) والتي ترد في هذا الجزء من الكتاب (وهي مرّتبة بحسب تاريخ إنجازها) ، تكمن في أن همها كان الإصغاء إلى صوت فئات شبابية مباشرة وبدون إدعاء استعراضي بالحيادية (والحيادية لا تعني الموضوعية بل هي تجنب أخذ موقف) ولا بمحاكاة خطاب أكاديمي (الذي في كثير من الأحيان ينتحل مقعد الموضوعية دون أن يعي ما يترتب على ذلك) يولّد حاجزا يحول دون التواصل مع الآخر الذي يسعى البحث للاستماع لرأيه والتعرف إلى رؤيته . لذا ، يرد ، وبطلب مني كمشرف على البحث ، إيراد ما يطلب من أحاديث الشباب بلغتهم المحكية ، الأقرب عن التعبير عن المشاغل والأحاسيس اليومية وليس باللغة الفصحى غير المتداولة في الحياة اليومية . هذا لا يقلل من قيمتها البحثية ، بل يزيد من هذه القيمة لأنه ينقل صوت الشاب والشابة بشكل مباشر ودون تدخلات اللغة الفصحى (اللغة التي يكتب بها الباحث) ، ومن هنا جاءت معظم الاقتباسات بلغة المتكلم المحكية (اليومية) . وفي الواقع أظهر الشباب من الجنسين جرأة عالية في طرح آرائهم وتصوراتهم ، وهو أمر يدعو للتفاؤل .

نتائج الأبحاث الميدانية يجب أن تقرأ على خلفية زمانها ومكانها . جميع اللقاءات التي اعتمدت عليها المقالات–التقارير التالية تمت في ربيع العام 2016 أي على خلفية زمن فلسطيني انشغل في الاشتباكات اليومية تقريبا بين شباب وشابات (بعضهم أقل من الثامنة عشرة) معظمها جرى في الضفة الغربية على ضوء تزايد توحش المستوطنين والجنود الإسرائيليين في القدس والخليل وفي الاعتداء على المقدسات وفي تواصل حملات الاعتقال والتوغل في مناطق «أ» ، والإذلال على الحواجز . وترافق مع إغلاق الأفق تماما أمام حل سياسي يجسد الحقوق الوطنية ، واستمرار الانقسام الفلسطيني بين حركتي «فتح» و «حماس» واتضاح فشل الطرفين في إحداث نقلة نوعية للحركة السياسية الفلسطينية بعد أن اختزل حضورهما في شكل سلطتين (لحكم ذاتي إداري محدود الصلاحيات) متصارعتين على إقليمين يخضعان لسيطرة دولة استعمارية استيطانية تمارس التمييز العنصري وتحتجز الفلسطينيين في «غيتوات» في حين يزداد يوميا إحكام قبضة الدولة الاستعمارية على الأرض الفلسطينية وشعبها . وخفوت صوت وحضور اليسار الفلسطيني . هذا لا يعني أن الشباب في حالة نفور من الأحزاب السياسية ، بما هي أحزاب سياسية ، بل نفور ما حالة التنظيمات السياسية الفلسطينية الراهنة في مواجهة الأوضاع والتحديات المحيطة بتجمعات الشعب الفلسطيني وقضيته الوطنية .

بتعبير آخر فقد الشعب الفلسطيني حركة تحرره بعد أن همشت مؤسسات منظمة التحرير التمثيلية الجامعة وبقي بدون دولة وطنية مستقلة ولا يبدو أنها قابلة للتحقق في الأفق المرئي بعد أن اتضح أن اتفاق أوسلو لن يقود إلى دولة وأن أقصى ما هو مطروح لا يخرج عن سلطة حكم ذاتي على بانتوتستانات و«غيتوات» . لقد تصدّع الحقل السياسي الفلسطيني (الوطني) ثم تفكك إلى حقول سياسية محلية وفق مكوناته الجغرافية ، وبات ينشط في كل منها قوى سياسية تتمايز عن غيرها ولكل حقل محلي ظروفه الاقتصادية والاجتماعية والأمنية والقانونية المتميزة .

لعل الأجدى قراءة الأبحاث–التقارير الستة التالية باعتبارها مداخلات في تداعيات تفكك الحقل السياسي الفلسطيني إلى مكوناته الجغرافية . كان بالإمكان أن تشمل المداخلات مكونات أُخرى

(الأردن ، لبنان وسوريا ، الخليج ، أوروبا وأمريكا . .) ، لكن الإمكانات التي توفرت للبحث كانت محدودة بحيث اقتصر البحث على المكونات الواردة هنا . ولأن الهاجس الرئيسي ، في الوعي العام ، هو تفكك الحقل الوطني إلى حقول أو ساحات محلية نجد هيمنة موضوعات لها علاقة جوهرية بهذا التفكك ؛ منها موضوعة التمثيل الوطني (لا أحد يمثلنا ، غياب أو ضعف الثقة بالقيادات السياسية والحزبية ، حالة الاغتراب بين الطبقة السياسية وبقية الناس ، غياب أو ضعف الثقة بالسلطة الفلسطينية وبسلطة حركة حماس ، وافتقاد دور لليسار ، والبحث عما يوّلد الثقة بالذات وتحديدا في المجال الثقافي والفكري . . .) ، وغياب الرؤية السياسية الموحدة . ونجدة في النقاش حول دور وسائل التواصل الاجتماعي في توفير مساحات تعبير للشباب (وغير الشباب) تقع خارج الحيز العام . كما نجده في ملاحظة بروز النزعة الفردية (بما في ذلك في الهبة الشبابية التي طغى عليها العمل الفردي ، وافتقاد دور التنظيمات السياسية) والظواهر الاستهلاكية واتساع أشكال عدم المساواة في توزيع الثروة والسلطة والمعرفة والوصول للخدمات العامة ، في سياق سيطرة إسرائيل على الأرض ومواصة استيطانها . لذا نجد من اعتبر أن العمليات الفدائية كانت رسائل إلى جنود الاحتلال ومستوطنيه أن عليهم الرحيل عاجلا أم آجلا ، كما تضمنت رسائل للطبقة السياسية الفلسطينية بأنها باتت عاجزة وعليها أأن تخلي الموقع لغيرها . كما نجد إصرارا ملفتا للانتباه من قبل معظم الشباب والشابات على التمسك بفلسطين بحدودها التاريخية وأن لا تنازل عن الحقوق التاريخية وتحديدا حق العودة ، وأن لا بديل عن إعادة بناء مؤسسات الحركة الوطنية الفلسطينية كحركة تحرر .

لكن الأبحاث–التقارير تبرز أيضا قضايا خاصة بالشباب (وللناس) في كل تجمع ، يظهر هذا في أحاديث الشباب (ذكورا وإناثا) في غزة تحت الحصار الخانق وبعد ثلاثة حروب إسرائيلية مدمرة عليها منذ العام 2008 ، وسيطرة نظام حكم قامع للحريات الفردية والجماعية مع معدلات بطالة وفقر عالية جدا بشكل عام و بين الشباب والخريجين بشكل خاص ، و يمنة ، بالتالي ، قضية الهجرة بين الشباب . هذه تبرز أيضا في مناطق الضفة الغربية وإن بشكل أقل حدة لأن الوضع في الضفة أقل اختناقا (هناك منفذ الجسر للأردن) ونسب البطالة رغم أنها مرتفعة جدا بين الشباب والخريجين تحديدا لكنها أقل حدة مما هي في غزة . لكن في الضفة الغربية ما زال الاحتلال الاستيطاني المباشر قائما والإنسان الفلسطيني هناك معرّض لأشكال مختلفة من التنكيل والاعتداء ، بما فيها الاغتيال لمجرد الشك بأن الشخص (وتحديدا الشاب أو الشابة) بأنه يحمل سكينا ، وبما فيها الإذلال اليومي على الحواجز ، والاعتداءات الهمجية من المستوطنين ، ومن التطهير العرقي البطيء (نسبيا) في القدس والخليل والأغوار . كل هذا يبرز في مداخلات الشباب من الجنسّين .

في الأرض المحتلة عام 1948 تهيمن قضايا التمييز العنصري ضد الفلسطينيين من سكان الأرض الأصليين, و قضايا الهوية العربية الفلسطينية و الحقوق القومية و المشاركة أو عدمها في مؤسسات الدولة المستعمِرة (بما في ذلك في الكنيست) . كما و العلاقة مع التجمعات الفلسطينية الأخرى، و السخط من اتفاق أوسلو كونه استثنى الفلسطينيون في الأرض المحتلة عام 48 من المشاركة في تقرير مصير الشعب الفلسطيني . و لا تبرز قضايا البطالة و الهجرة بين قضايا الشباب هناك ، بل الأكثر بروزاً هي قضية الانتماء الوطني و محاربة ظاهرة «الأسرلة» بين الشباب و التوحد في مواجهة الدولة المستعمِرة .

الشباب في قطاع غزة ؛ أزمات مركّبة ومستقبل ضبابي . .!

أكرم عطا الله

غزة تلك المدينة التي تنام على الشاطئ لكنها لا تعرف النوم . . الموج المتلاطم يجعل منها صاحبة الحركة التي لا تتوقف . . المدينة الساحلية التي شاء قدرها أن تعيد بعث الحركة الوطنية بعد أن احتلت إسرائيل مدن الشريط الساحلي ولم يبق من مدنه سوى تلك التي في أقصى الجنوب . . مسكونة بهاجس الوطن بالرغم من أنها بدت على هامش الوطن في أعوامها الأخيرة ، لكن ظلت روحها التي انغرست فيها حية رغم ما لحق بها من حصار ودمار . هكذا هي تعبر عن نفسها باندفاع حد المغامرة من دون سؤال الثمن ومن دون حسابات . . .هي غزة التي لم تتغير مع الزمن .

هكذا قال شبانها الذين اندفعوا نحو الشرق وعادوا محملين بالشهداء . . قال صديق ذات مرة : «كنا في الانتفاضة الأولى نسمع أن إسرائيل فرضت منع التجول على مخيم الأمعري كان عمرنا خمسة عشر عاماً ، فور الخبر كنا نندفع إلى الشارع نغلقه بالمتاريس ونشعل الإطارات ونفتح معركة ، ولم نعرف الأمعري إلا حين بلغنا الثلاثين .» هكذا هي بريئة مقاتلة لا تسأل عن الخسارة لكنها تعيش هاجس الوطن مدنه وقراه وشوارعه وأزقته . . تخجل حين يدفع غيرها ثمناً أكبر كأنها تحتكر الدم والبطولة في قصة طويلة امتدت منذ عقود .

غزة التي كانت تعيش في أربعينيات القرن الماضي تعرضت لأكبر عملية تغير اجتماعي واقتصادي ما زالت تداعياته حتى اللحظة . كانت مدينة منعزلة يقطنها نحو 80 ألف من السكان وتعتمد في اقتصادها على الحمضيات وصناعة الفخار . كان ذلك الاقتصاد البسيط يشكل اكتفاء ذاتياً لمجموع السكان . ولكن نكبة ال48 وهجرة الفلسطينيين أرغمها على استقبال 200 ألف من اللاجئين فبدأت أزمتها منذ ذلك التاريخ ، فلا الاقتصاد قادر على تحمل كل هذه الكتلة البشرية دفعة واحدة ولا حتى على دفعات ، فقد تلقى الاقتصاد الغزي والمجتمع الغزي برمته صدمة هائلة لم يتعافَ منها ، لكن الأهم أن غزة بذلك الانزياح الهائل أخذت تفقد طابعها المديني بفعل أغلبية اللاجئين فانتشرت فيها مخيمات اللاجئين وزاد الفقر وتداخلت القرية بالمدينة بالمخيم ، وتحولت إلى ما يشبه مخيم لاجئين كبير بكل تفصيلاتها ، وهذا ربما ما شكل ضمانة لاستمرار دافع الكفاح حيث الفقر واللجوء والحاجة إلى الخلاص وضمان الاندفاع العفوي على وقع خبر في الإذاعات .

خلال العقدين الأولين من 48-67 كانت غزة تشهد انفتاحاً على القاهرة ، ومع صعود التيار القومي في تلك العقود الذي تمكن من الأخذ بيدها قليلاً ، حاولت إعادة توازنها الذي اهتز مع النكبة ، فكان لا بد وأن تحتضن ولادة النظام السياسي الجديد ليملأ فراغاً أحدثه التشتت ، نظاماً أنشأته القاهرة ليعبر من جديد عن الهوية الوطنية التي تناثرت لتأخذ غزة دوراً كان لا بد لها ، فهي المطلة على القومية العربية الحاضنة للهوية الفلسطينية .

ما إن بدأت بالوقوف على أقدامها كانت حرب حزيران / يونيو ونتائجها الكارثية تضع غزة على سكة القدر الجديد ، حيث وقف الإسرائيلي حائلاً بينها وبين امتدادها العربي وتحولت إلى «غيتو» كبير بفعل إغلاق استمر عقوداً ، لكنه إغلاق مثقل بالكتلة البشرية الخانقة لهذه البقعة

الصغيرة والتي لم تستطع غزة حملها ومع التداخل الفوضوي بين المخيم والمدينة أصبحت غزة مكاناً مغلقاً لمجموعات من المهاجرين ليس لديهم أي أمل إلا بالتحرير والعودة والاستقلال ، فقد انغلقت كل الخيارات .

من هنا يمكن تفسير علاقة غزة بالكفاح والتضحية كخيار لا بد منه ، فأصبحت تلك ثقافتها اليومية تتوارثها الأجيال إلى الحد الذي يفيض عن حدود القطاع الصغير فتجد نفسها تسجل حضورها بالدم على وقع صبرا وشاتيلا وعلى صوت مكبر الصوت الذي يحاصر مخيم الأمعري .

هنا أيضاً يمكن تفسير الدور المبادر لغزة في الانتفاضتين الأولى والثانية وفي الهبّة الأخيرة ، حين اندفعت مجموعات من الشباب بتلقائية شديدة من دون حسابات أيضاً ، بالرغم من عدم وجود الجيش الإسرائيلي وتحصيناته الهائلة إلى الدرجة التي لا يمكن رؤيتهم «خوفاً من القنص» ، اندفعوا وهم يعرفون أنهم لن يروا ذلك الجيش ، لكنهم هبّوا بتلقائية وطنية هي جزء من سمات غزة كما أجاب كثير من الذين التقيت بهم على سؤال : لماذا ذهب الشبان شرقاً نحو الحدود وأخذوا يرجمون الحجارة على كتل اسمنتية بعيدة؟ لأن غزة لا تسجل نفسها في دفتر الغياب في المعارك الوطنية هكذا اعتادت .

إن غزة التي انغلقت منذ سنة 1967 حتى الآن ، أي ما يقرب من نصف قرن كمخيم لاجئين كبير ومغلق ، حيث شددت إسرائيل منذ احتلالها على سكان القطاع حركتهم ووضعت قيوداً على السفر ، ولم تخفّ تلك الأزمة الطويلة سوى مع قدوم السلطة سنة 1995 ثم أعيدت الأزمة مع الانتفاضة الثانية وتنفست غزة أول مرة صعداء الانفتاح على العالم سنة 2004 عندما انسحبت إسرائيل من معبر رفح ، ولكن ما لبثت أن عادت البوابة الوحيدة للإغلاق بفعل الانقسام .

الإغلاق يؤدي إلى التخلف وقصور الرؤية ، هذا يضاف إلى عملية اللجوء التي أدت منذ سنة 48 بفعل تدمير المجتمع الفلسطيني إلى عملية تشوه اجتماعي واقتصادي ونفسي أثر ذلك في خيارات الغزيين ، وجعل من الارتباك والتناقض أحياناً هو السائد في كثير من الخيارات والاندفاع والاستعجال بعيداً عن الحسابات الهادئة ، وربما اتضح ذلك في هذا البحث والعينات التي التقينا والورش التي جرت ، والإجابات التي قدمت بما تحمله من حالة من ضبابية الرؤية والتشوش في بعض الأحيان حد التناقض .

لم يعد الشبان يثقون بالنظام القائم . «النظام السياسي بكل مكوناته فقد دوره الوظيفي» . . «لم يعد يمثلنا» . . «لا يمكن لما هو قائم أن يستطيع أن يقدم أفضل مما قدم» . . «النظام السياسي القائم هو نظام قديم ولم يعد قادراً على تلبية مصالحنا الشخصية والوطنية» . . «النظام السياسي القائم قد شاخ» . . هذه بعض العبارات التي وردت من الشباب في إجابة على أسئلة الثقة بما هو قائم من هياكل ومؤسسات وسلطات ونقابات ، ولكن الحلول لم تكن لتخرج عن النظام نفسه . . «أن يجدد نفسه» . . «أن يقبل الشباب» . .«أن ندمج الشباب في الأحزاب القائمة» . . «لا أن تشكل أحزاب جديدة» كيف يمكن فهم ذلك؟ مع ملاحظة أن مصطلح النظام السياسي الذي ستكرر في هذه الدراسة يقصد به البناء السياسي القائم من منظمة التحرير وسلطتين في الضفة وغزة والقوى والأحزاب السياسية .

ربما إن تلك تعكس قدراً من اليأس ، ويتضح ذلك من خلال الشعور باللاجدوى من كل شيء من الأحزاب والقوى والهياكل القائمة . . من إمكان تشكيل شيء جديد أو أحزاب جديدة . . اليأس من أن تحقق الانتفاضة أي شيء واليأس من استمرار الانتفاضة ، لا جدوى من استمرارها وهناك خوف من توقفها . . اليأس من تغيير الأحزاب واليأس من وجودها . . اليأس من إنهاء الانقسام . . اليأس من فتح المعبر . . اليأس من إنجاز الاستقلال . . يأس من كل شيء . الحقيقة أنهم لم يعودوا يرون أي نافذة للأمل ولا أي سبل للخروج من عنق الزجاجة ، لكن الأهم من ذلك هو الشعور بفقدان الإرادة حيث تكرر استخدام «على الفصائل . . «على الشباب» . . «على السلطة» . . «على كذا» . . أي أن ما يجب تحقيقه يقع على عاتق الآخر . . من هو الآخر؟ المهم أنه لا يظهر أن أمامهم خططاً واضحة أو رؤية يمكن الاستناد عليها .

وهذا ربما يحتمل مسألتين : الأولى ، أن الشباب لديهم رغبة في الخروج من المأزق الراهن ولكنهم عاجزون عن المبادرة ، أي بانتظار مبادرة من طرف ما بإمكانه الأخذ بيد هذا الجيل ، وفي مجتمع فتي نحن نتحدث عن الفئة الأكبر ؛ والثانية ، أنهم لم يعودوا يأبهون ويتركون الأمور لأقدارها ، وفي اعتقادي أن الأولى هي الأكثر ترجيحاً أو الأدق ، لأن الثانية نشأت في ظل غياب الأولى .

ما جرى تقديمه في هذه الورقة هو نتاج ثلاثة لقاءات جماعية جرت بالتعاون مع مؤسسة المستقبل الشبابي وهي المؤسسة الأبرز التي تعمل في قطاع الشباب في قطاع غزة ، بالإضافة إلى لقاءين منفصلين الأول مع منسق ائتلاف شباب الانتفاضة فادي الشيخ يوسف ، والثاني مع شاب كان أحد الشباب الأكثر اندفاعاً منذ بداية الأحداث ثم فترت همته ولم يعد يشارك وهو الشاب «محمد التلولي» .

الورش الثلاث التي ضمت 32 شاباً وشابة جرى تقسيمها بما يضمن الحرية في الحديث للوصول إلى أفضل النتائج ، حيث ضمت الورشة الأولى 13 شاباً وشابة (كانت الورشة مخصصة للشباب الذكور فقط ، لكن بالخطأ وصلت شابتان هما رغدة وبيان ، وأحد عشر شباباً) ؛ أما الورشة الثانية فضمت سبع شابات ؛ أما الثالثة فقد ضمت اثني عشر شاباً من النشطاء الشباب والقيادات الشبابية ، هؤلاء ينشطون منذ أعوام ، بعضهم كان من أبرز نشطاء الخامس عشر من آذار / مارس وتمكنوا من تحريك قوة جماهيرية كبيرة إلى الشارع آنذاك قبل أن تفشل الحركة في تحقيق أهدافها لأسباب كثيرة .

وربما أن الفشل المتكرر في تحقيق أي شيء من قبل الشباب على امتداد الأعوام الماضية ، لا حركة في الشارع ، ولا حزب سياسي أو شبابي ، ولا إنهاء للانقسام ولا رفع حصار ، وكل النتائج بدت صفرية ، كل ذلك ترك تأثيره على إرادة الشباب للفعل هنا في القطاع ، بل وجعل خياراتهم تبدو في لحظة من اللحظات تسودها حالة من التشوش والارتباك ربما نتاج يأس التجربة والأعوام الماضية .

ما بين بداية الهبّة وإجراء البحث ومقابلة العينات كان هناك تغير عكسي في مشاركة الشباب وإرادتهم ورؤيتهم للهبّة ، ففي البداية تميزت باندفاع هائل وصل في أكثر من حادثة إلى اقتلاع الأسلاك الحدودية والبوابات والدخول نحو أراضي ال48 غير آبهين بالموت وصولاً إلى إعادة تشكيل رأي بات يرفض المشاركة في الهبّة لأسباب كثيرة ، وربما يعود السبب الأبرز إلى غياب التأطير والتنظيم ، ولكن قراءة أخرى ربما تجيب عن السؤال تنبع من أن المشاركة هي عبارة عن اندفاع عاطفي تضامني مع الهبّة بالضفة ، وهذا النوع من الفعل لا يستمر طويلاً فالعاطفة

تخفت مع الزمن ويتراجع تأثيرها . لكن عدة ملاحظات يجب هنا التذكير بها :

الأولى ، أن رؤية الشابات للهبّة تختلف عن رؤية الشباب ، إذ إن الشباب كانوا مشاركين فيها ، بينما ظلت أحكام الفتيات نظرية بعيدة عن واقع الاشتباكات التي جرت ؛

والثانية ، أن الواقع المعيش في قطاع غزة عصياً أكثر على التفسير ، حيث الانغلاق التام لتسعة أعوام وما خلّفه من مآس إنسانية جعلت الإنساني إلى حد ما طاغياً على الوطني ، إذ يشكل أولوية يومية وسبباً للضغط اللحظي في حياة جيل الشباب ، وفي هذا ربما تختلف نتائج قراءة العينة بين الضفة وغزة أو حتى مناطق ال48 حيث الأولوية في الضفة هي أولوية وطنية ، لأن الضغط اليومي ناتج عن الاستيطان والمعابر والاحتلال المباشر .

الثالثة ، أن الانقسام الفلسطيني جعل الأولوية لدى الشباب في قطاع غزة هي إنهاء هذه الحالة الشاذة باعتبار أن الأزمات الإنسانية بدأت منذ لحظة الانقسام 2007/6/14 ، بينما قد لا يكون ذلك أولوية في الضفة باعتباره لم يؤثر على حياة المواطن اليومية وقضاياه الإنسانية .

لقد كانت اللقاءات الجماعية والفردية (أي المجموعات الثلاث واللقاءين مع منسق ائتلاف شباب الانتفاضة وأحد النشطاء الشباب كأبرز المشاركين في بدايات الهبّة) على شكل أسئلة وأجوبة محددة لمحاولة فهم ما يدور بأذهان الشباب وواقعهم وأزماتهم وكيف ينظرون إلى واقع القوى والأحزاب والنظام السياسي وهياكله القائمة وآلية الخروج أي فهمهم للمستقبل وكيفية علاج الأزمات ، الإجابات التي قدمت ربما كانت كافية لفهم الوضع الاجتماعي الاقتصادي النفسي الذي يمر به هذا الجيل الذي بدا متروكاً على رصيف المجتمع والسياسة وبدأ بالبحث متلمساً الطريق ، لكنه كمن أصيب بالعمى لا يعرف كيف يبدأ أو من أين .

قبل خمسة أعوام نشأت في غزة مجموعة شبابية أخذت على عاتقها النزول إلى الشارع لإنهاء الانقسام مأخوذة بنموذج ربيع عربي كانت تندفع فيه الجماهير العربية إلى الميادين تجرف في طريقها نظماً سياسية قديمة ، وقد فعل الشباب هنا في غزة ذلك ونجحوا في حشد كم كبير جداً قبل أن تنهي قوات حركة حماس العسكرية التجمع الكبير بعد أن حل المساء وبدأ الظلام لتباغتهم الجيبات العسكرية هجوماً بأنوارها القوية كأنها تقتحم ساحة معركة تفرق الشباب ، وجرى الاعتداء على من بقي وبعد ذلك بدأ الأمن يستفرد بقيادة الظاهرة ، منهم من غادر غزة إلى غير رجعة ومنهم من اعتكف العمل الشبابي تماماً ومنهم من بقي يحاول ، ولكن بإحباط أو بحدود ما يسمح به الأمن في غزة .

ماذا يقول الشباب اليوم؟

اتضح في اللقاءات الجماعية والفردية أن معظم الأزمات التي يعاني منها الشباب في غزة ناتجة عن فقدان الدور ، حيث لا عمل ولا وظيفة ولا إكمال تعليم ولا سفر ولا مشاركة سياسية ، أي عدم الشعور بالقيمة والأهمية ، وعليه الشعور باللاجدوى . يقول الشاب محمد التلولي الذي أطلق هاشتاج «مستمرة» في بداية الهبّة وكان أبرز المشاركين في نشاطاتها في بداياتها ، يقول بأسى : «لا أتوقع أن يكون هناك حراك ، أغلبية الشباب أرادت الهروب من الواقع من خلال المخدرات . فقدنا الإرادة لن نغير شيئاً لو دعونا وخرجنا نصف مليون لن نغير شيئاً . قد تأتي حماس تداهمنا ، وإذا لم تفعل ستأتي الفصائل تخطب وتجيّر الهبّة لمصلحتها .»

لكن فادي الشيخ يوسف ، منسق ائتلاف شباب الانتفاضة ، يؤكد الأزمة نفسها وغياب الدور معللاً جزءاً من أسباب الاندفاع نحو الحدود والمشاركة في الهبّة قائلاً : «أعوام الانقسام بين غزة والضفة صنعت فجوة بين جيلين ، جيل الشباب وجدوا تهميش كامل معندوش [ليس عنده] وظيفة ، الشاب يصحو صباحاً لا يعرف ماذا يفعل ، لا دور له لا مجتمعي أو سياسي إطلاقاً ، وإذا أراد الاحتجاج والتصعيد ضد النظام القائم ممكن أن يصاب بضرر ما وينجم عنه حالة وفاة نتيجة خلاف داخلي . . لذا جيش الاحتلال هو كيس الملاكمة الوحيد .»

يعتبر فادي أن هذا السبب (أي تفريغ) هو الذي دفع الشباب إلى المشاركة في الهبّة ، ويتفق معه كثير من الشباب في اللقاءات ، مثل مصطفى الفار الذي قال : «الشباب خرجوا للبحث عن دور ، «أنا موجود» حالة التهميش التي يعيشونها . . أي البحث عن الذات معتبراً أن لا أحد من أبناء العائلات الميسورة شارك في الهبّة . وفي سؤال عن سبب مشاركة الشباب في الهبّة أجاب المشاركين في ورشة النشطاء والقيادات الشبابية إجابات على نمط : كبت ثوري ومحاولة لتغيير واقع غزة ، كبت عند الشباب ، قلة وعي ، إحباط وانعدام أفق ، فرد عضلات ، هروب من الواقع ، تفريغ للكبت ، مطلبي .

من الواضح أن الأسئلة العامة قد تعطي إجابات عامة فعندما جرى طرح سؤال عن الهبّة ومفهومها ولماذا شارك الشباب كانت الإجابات : بسبب الدوافع الوطنية ، والتضامن مع الضفة الغربية ، ورسالة مساندة لأهلنا في الضفة ؛ ولكن عند التخصيص والحديث بصراحة أكثر وأسئلة مستفزة أكثر تكون الإجابات انفعالية أكثر ربما حقيقية أكثر ، ولكن في السؤال عن علاقة الهبّة بالنظام السياسي القائم أو بالحكم القائم سواء السلطة في الضفة الغربية أو حركة «حماس» بقطاع غزة ، هل هي مساندة أم تعبير عن الاحتجاج على الحكم في المنطقتين؟ جاءت معظم الإجابات بما يشبه الإجماع أن الهبّة وحركة الشباب الاحتجاجية هي عبارة عن حركة احتجاج على السلطتين وأجهزتهما في الضفة وغزة ، وقد عبّر أحد المشاركين بصراحة أكثر قائلاً : «مجاكرة في حركة حماس بالقطاع» ، فيما قال آخر : «تمرد على الواقع الذي يعيشه الناس» ، وأجاب ثالث : «نريد أن نقدم أي شيء بدل أن تكون المقاومة حكراً على ناس محددين ، نحن نريد أن نكون أيضاً» . أي انتزاع الدور المقاوم .

بات من الواضح أن السلطة في الضفة وحركة «حماس» في قطاع غزة لم تستطيعا تحقيق إنجازات تذكر على المستوى الوطني ؛ أما على الصعيد الاقتصادي والاجتماعي فقد تبدّى عجزهما عن بناء مؤسسات حقيقية وبات شعور الشباب بأن تلك المؤسسات لا تمثل سوى الأحزاب المشكّلة للسلطتين أي سلطة «فتح» وسلطة «حماس» ، ولكن في ظل إمكانات السلطتين البسيطة بفعل تحكم الاحتلال بالاقتصاد والسيطرة في الضفة وغزة ، كان لا بد وأن ينكشف عجزهما في ظل مجتمع فتي تتدافع فيه الأجيال الباحثة عن فرص عمل ووظائف وأدوار اجتماعية وسياسية ، وهو ما ولّد ازدحاماً لأن إشارة المرور ليست قادرة على تنظيم حركة المجتمع ، فبتنا أمام جيل لم يعد يجد نفسه في ظل تمكن الجيل القديم من كل ممكنات السلطة والمواقع . ومع انسداد الأفق أمام جيل الشباب وانعدام إمكان الحصول على دور سياسي أو غيره في ظل الأطر القائمة ، كان لا بد وأن يحدث نوع من الصدام . إنه صدام خافت بسبب وجود الاحتلال لكنه على ما يبدو وجدها فرصة مميزة لإثبات الذات من خلال التصعيد ضد الاحتلال ، وهذا أولاً يحقق نوعاً من

حضور الشباب وثانياً يساهم في انكشاف السلطة الحاكمة أمام الشارع المراقب وهو نوع من النيل مما هو قائم بشكل غير مباشر .

الجيل الجديد غاضب من الأحزاب ومن «النظام السياسي»

بالرغم من أن كثيراً من المشاركين في اللقاءات هم من الشباب المؤيدين لبعض القوى والأحزاب وأن كثيراً منهم معروف بانتمائه إلى أحد الفصائل الفلسطينية ، إلا إن انتقاد الفصائل اللاذع في النقاشات يظهر أن هناك أزمة تهميش يعانيها الشباب حتى المنتمين إلى الأحزاب ، وتبدي النقاشات أن خوف معظم الشباب من استثمار الأحزاب للهبّة أحد الأسباب التي دعتهم إلى التوقف عن المشاركة ليس فقط بسبب محاولة الأحزاب مصادرة دورهم وكفاحهم ، بل لأنهم لا يريدون أي جهد يرفع من أسهم الأحزاب ، كأن هناك تنافساً حقيقياً بينهم . وهذا ظهر من خلال بعض منشورات كتبها بعض الشهداء على صفحته على الفيس بوك .

منسق شباب الانتفاضة أورد قصة ربما الأكثر تعبيراً عما يشبه الطلاق بين الشباب والأحزاب القائمة ، عندما استشهد أحد شباب ائتلاف الانتفاضة ، قال : «رفضنا أن يتبنى أي من الأحزاب العزاء ، نحن ساخطون على الأحزاب ، أنا لا أقبل أن تعترف بي وأنا ميت ، هذه إهانة لنا» ، ويسرد قائلاً : «أخوه معنا ، عملنا له حفل تأبين باسم الائتلاف ، لم نرفع غير علم فلسطين ، وحتى أبوه مع أنه فتحاوي عندما تكاثفنا عليه بالرأي قال أنا معكم .»

ولكن لماذا هم ساخطون إلى هذا الحد؟

«أطالب بأن ينسفوا غزة ، غزة ماتت من جميع الجهات» ، هكذا أجابت إحدى المشاركات عندما سئلت ماذا تريدون (كشباب)؟ وبات من الواضح أن حالة اليأس وصلت إلى حد النقمة على كل ما هو قائم من بُنى سياسية وإدارية عجزت عن أن تقدم إجابات إلى جيل يتدفق نحو المجهول ، قالت أخرى : «من كثر المشاكل لم نعد نعرف ماذا نريد .» لا يوجد إجابة تعكس انسداد الأفق أمام هذا الجيل أبلغ تعبيراً من تلك الإجابة ولكن هذه هي نتيجة دفعت إليها أسباب وأزمات متعددة أُجيب عنها من خلال محاولة فهم واقع الشباب الاجتماعي والاقتصادي والنفسي ، حين سئلوا عن الأزمات والمشكلات التي تعصف بهم وتشغل تفكيرهم الراهن . أفاد نحو نصف الشباب المشاركين أن البطالة هي الهم الرئيسي الذي يشغلهم . ولنا أن نستدل على مجموع الأزمات التي تستنسخها البطالة ومنها غياب الشعور بالقيمة والدافعية والدور الاجتماعي ، وعدم القدرة على الزواج ، وعدم وجود تغطية مالية للحياة اليومية . إحدى الإجابات المعبرة من أحد الشباب كانت : «شيء طبيعي عندما يصل عمر الشاب 30 سنة لا عمل ولا معبر ولا وظائف في المؤسسات الحكومية ، لا إسمنت للبناء ، لا زواج هذا كله سيدفعه لخيارين إما الانتحار أو الهجرة .» وبعض الإجابات تنوعت بين الانقسام باعتباره أحد أبرز أسباب الأزمات التي يعانيها الشباب ، وكذلك الحرمان من الحقوق سواء الحق في المشاركة السياسية أو الحق في السفر للتعليم . لكن القضية الثانية التي شكّلت هاجساً للشباب في قطاع غزة هي أزمة الكهرباء ، التي بات الشباب يسلمون أن بالإمكان حلها ، لكن عدم القدرة على إيجاد حل لها ربما يعكس عجز النظام السياسي بطرفيه المتصارعين عن إيجاد مستقبل لهذا الجيل .

لـم يُفتح معبر رفح سوى ثمانية عشر يوماً في سنة 2015 ، وهذه الأزمة التي لـم تقل عن أزمة البطالة ، حيث الشعور بالسجن في هذه المنطقة الصغيرة والأهم في قضية المعبر ، هو إكمال إغلاق كل الآفاق أمامهم ، فحين يعجز النظام السياسي عن إيجاد حلول للناس ، قد تذهب الناس إلى خيار السفر والبحث عن ذاتها خارج أوطانها ، ولكن الانقسام الحاصل والفشل في إنهائه تسبب في حشرهم بلا أفق هنا في القطاع ، وعليه هم يشعرون بأن هذا الصراع بين الفصائل أعدم كل بدائل الحياة بالنسبة إليهم .

هوّة كبيرة بين الشباب و«النظام السياسي»

مثل كل الشعوب في العالم ، وخصوصاً فئة الشباب ، ذات التطلعات الأكبر والتي تبحث عن مستقبلها وتفكر أكثر في واقعها وتختلف مقاييسها عن مقاييس الأجيال الأُخرى وعادة ما كانت تلك الفئة هي الأكثر تحريكاً للشارع حين يقع عليها الظلم أو تنغلق الآفاق أمامها ، هكذا كان في كل الميادين العربية ، فالصور التي التقطتها الكاميرات على امتداد الميادين في الأعوام الماضية تظهر ذلك جلياً ، هذا ما يجعل من مصلحة أي نظام سياسي أن يقيس مستوى استقرار حكمه من خلال رضا تلك الفئة وباعتبار المجتمع هو مجتمع شاب فإن للأمر مدلولاً آخر .

النتيجة أن الشباب في قطاع غزة يشعرون بحالة من البؤس والإحباط بسبب تراكم الأزمات التي ذكرت سابقاً ولكن من المسؤول عن تلك الأزمات؟ كانت إجابة السؤال لا تعكس فقط الهوّة بين الشباب والقوى والأحزاب والسلطات القائمة فحسب ، بل تعكس أيضاً مدى غضب هذا الجيل الذي لم يعد له متسع في المشاركة السياسية ويجد نفسه خارج أولويات النظام الحاكم فلسطينياً ، والمقصود هنا سلطة حركة فتح في الضفة الغربية وسلطة حركة حماس في قطاع غزة .

الغريب أن غضب الشباب بلغ حداً كبيراً حين يحمّلون سلطتي «فتح» و«حماس» المسؤولية الأكبر لما وصلت إليه الأوضاع الحياتية والوطنية ، فيما تظهر النتائج أن الاحتلال يتحمل مسؤولية أقل ولنتأمل الجدول التالي في الإجابة عن سؤال : من هو المسؤول عن كل هذه المشكلات؟

الاحتلال	سلطة «فتح»	سلطة «حماس»	الشعب	آخرون
%10	%30	%30	%30	
%0	%0	%0	%100	
%0	%0	%100	%0	
%10	%20	%20	%50	
%0	%20	%70	%10	
%40	%30	%30	%0	
%30	%35	%35	%0	
%40	%20	%20	%0	20% الدول العربية
%10	%10	%10	%70	686
%40	%0	%0	%10	50% العرب
%10	%35	%35	%10	10% مصر
%10	%40	%40	%0	10% العرب

الملاحظ هنا أن معظم الشباب في قطاع غزة حمّلوا سلطتي «فتح» و«حماس» المسؤولية الأكبر عن كل مشكلاتهم ، لكن ظهور نسبة لا بأس بها من العينة تحمّل الشعب نفسه أو الشباب أنفسهم تلك المسؤولية ، ربما يعكس ذلك وعياً معيناً تجاه دورهم المفقود .

في الأعوام الأخيرة اعتدنا سماع الشباب يوجهون ملاحظات نقدية عالية تجاه القوى والأحزاب والفصائل الفلسطينية وفي المقابل تشير الاستطلاعات بين فترة وأُخرى إلى تراجع تأييد الفصائل لدى الشباب ، منها استطلاع مركز العالم العربي للبحوث والتنمية الذي نشر في 29 مارس / آذار 2016 والذي أظهر«عدم اكتراث الشباب بالأحزاب السياسية في الضفة والقطاع ولاسيما حركتي «فتح» و«حماس» ، جاء فيه أن 55% فقط من شباب الضفة و65% من الشباب في غزة ملتزمون بالتصويت للحزب الذي يؤيدونه» . وبات واضحاً في نظر الشباب أن تلك الفصائل عجزت عن تحقيق إنجازات على الصعيد الوطني وأيضاً عجزت عن تحقيق مطالبهم على الصعيد الإنساني . هذا ما يظهر بوضوح أكثر في قطاع غزة ، حيث لوحظ طغيان المطالب الإنسانية والمشكلات ذات الطابع الشخصي فيما يتعلق بواقع الشباب وآمالهم وأحلامهم وواقعهم ومستقبلهم .

لقد أظهر الانقسام الذي ظهرت انعكاساته السياسية على قطاع غزة ربما أكثر من الضفة الغربية ، قدراً من الاستهتار لدى الفصائل في معالجتها للشراكة الوطنية وفي لامبالاتها بالأزمات المتفاقمة في قطاع غزة . كان أداء الفصائل وخصوصاً الفصيلَين الكبيرين في حوارات التقارب خلال الأعوام الماضية يطرح تساؤلات من نوع مختلف على نمط : إذا لم يكن بإمكانهم تشكيل حكومة وحدة والتغلب على الانقسام ، هل هم مؤهلون لإدارة مجتمع والتغلب على الاحتلال؟ لقد تفاقمت أزمة الثقة بالفصيلين الكبيرين وإن بقيا مسيطرين على الساحة الفلسطينية لأن كل المحاولات باءت بالفشل بالرغم من كل الوعود التي لم تنفذ . ويعكس تراجع اهتمام الشباب بمتابعة التصريحات التي تصدر عنهم تراجع الثقة بهم .

الثقة بمنظمة التحرير الفلسطينية

من بين ثلاثين شاباً من الذكور 9 فقط أعطوا نسبة ثقة بالمنظمة من 50% فأكثر ، بينما 21 منهم كانت ثقتهم بالمنظمة أقل من 50% ، وقال 7 منهم إنهم لا يثقون مطلقاً بمنظمة التحرير وأعطوها نسبة صفرية . لكن المسألة تختلف عن الشابات في الورشة الخاصة بهن ، حيث إن 4 شابات من بين 6 مشاركات أعطين نسبة تفوق 50% ، واثنتين فقط أقل من 50% .

الثقة بالأحزاب الفلسطينية

أظهرت النتائج انخفاضاً كبيراً في نسبة الثقة بالأحزاب الفلسطينية ، حيث ظهر ذلك خلال ورشتين : واحدة ضمت 11 شاباً وشابتين والثانية 7 شابات . فقد كانت الإجابات تعكس انعدام الثقة إلى حد كبير ، إذ إن واحداً فقط ، من بين الشباب والشابات في الورشتين أعطى نسبة 90% ثقته بالأحزاب . وهنا لم يلمس ملاحظة فارقة بين نظرة وثقة الشباب من الجنسين ، إذ أعطت الأغلبية 18 من بين 19 نسبة متدنية للثقة بالأحزاب ، 12 منهم أعطوا نتيجة صفر ، بينما أعطى الستة الباقون نتائج متدنية تراوحت بين 40% إلى 50% .

ربما تعود نسبة الثقة الأعلى بمنظمة التحرير مقارنة بالثقة بالأحزاب ، إلى مكانة المنظمة الاعتبارية ولتاريخها الطويل وهي بعيدة عن الخدمات اليومية والحياتية ، بينما غرقت الأحزاب في السلطة وفي تفصيلات هموم الناس ، وعجزت عن تحقيق إنجازات ، وهو ما جعلها في دائرة الاتهام والتقصير بالنسبة إلى الجيل الشاب .

الثقة بالسلطة في غزة والضفة

إن الشباب في قطاع غزة أكثر ثقة بالسلطة في الضفة الغربية من السلطة القائمة في قطاع غزة التي تديرها حركة «حماس» ، وهذا يعود إلى سببين :

الأول ، أن السلطة في الضفة الغربية بعيدة عن كل همومهم ومشكلاتهم ، ويرون أنها تقدم خدمات وفرص عمل واقتصاد ؛

الثاني ، أن السلطة التي أمامهم في غزة هي سلطة «حماس» ومع الحصار وانحسار الخدمات وفرص العمل يحملونها مسؤولية كل الأزمات .

لكن اللافت هنا أن الشباب عندما يقدمون هذه الإجابات من الطبيعي أن تكشف اختلاف الأولويات وتعكس الأولوية الحياتية الإنسانية على الأولوية الوطنية ، وهذا تكشفه أيضاً معظم النقاشات التي دارت خلال ورش العمل وخلال المقابلات ، لكن فادي الشيخ يوسف ، منسق ائتلاف شباب الانتفاضة ، يقدم إجابة أكثر موضوعية حين يقول : «نحن لسنا راضين عن أداء السلطتين في غزة والضفة» ويضيف «بالنسبة لسكان غزة حكومة غزة [يقصد حكومة حركة حماس] أسوأ» ، ويضيف : «نحن نتواصل مع بعض شباب الضفة الغربية يقولون لنا أن حكومة رام الله أسوأ . . .» .

ربما أن الناشط محمد التلولي يوضح أكثر لماذا الثقة بحكومة الضفة أكبر قياساً بحكم «حماس» كما في إجابات الشباب في المجموعات ، قائلاً : «السلطة ما زالت ملتزمة بواجباتها تجاه غزة رغم أنه لا نفوذ لها» ، أما عن سلطة «حماس» فيقول : «إنها جاءت بانتخابات ، انتخبوها على أساس التغيير والإصلاح وسرعان ما تبدد هذا الشعار أمام مصالح الحركة وبقائها على مستوى الحكم ، أما أداؤها فهو أداء ضريبي أثقل المواطن الغزي بالمعاناة والألم والفقر والضرائب والحصار الذي تسببت به حركة جعلتنا طبقتي . ؛ حماس ليست متضررة من الحصار وما زالت تعيش أفضل من الشعب وتعاني ابتعاد القيادة عن الشارع .»

لكن الأداء الفلسطيني في الحكم بنظر الشباب هو أقل من المطلوب بكثير ، وتلك ليست أحكام نظرية مرتبطة بمعايير الأداء بقدر ما هي مرتبطة بالتأثيرات السلبية لنظامَي الحكم في غزة والضفة على واقع الشباب اليومي بالمعنى الوطني ، وبالمعنى الحياتي والإنساني أيضاً ، إذ يقول فادي الشيخ يوسف : «النظام السياسي لا يوصلنا للتحرير ، ما بيمثلنا ولا بيمثل طموحاتنا» ، لكن الشاب باسل يتحدث عن نظام الحكم ممثلاً بالسلطتين في غزة والضفة وعن دور الاحتلال في إضعاف أدائهما ، فيقول : «الاحتلال أقنع السلطة و«حماس» بأنهما غير مجديين ، لم يعط السلطة شيء ولا «حماس» شيء ، ذلك أثر علينا في الوضع الاقتصادي فبتنا بلا عمل» .

إن هناك حالة اغتراب بين جيل شاب وسلطة ونظام سياسي بدا جامداً أمام كل هذه الحركة الهائلة .

يشعر الشباب بأن النظام السياسي مغلق أمامهم بكل مؤسساته سلطة وأحزاب ونقابات ومنظمة التحرير كما يعبر عنها منسق شباب الانتفاضة بقوله : «سنوات الانقسام التي أثرت على الضفة وغزة صنعت فجوة بين جيلين . جيل الشباب وجد تهميشاً كاملاً ، لا دور له مجتمعي أو سياسي إطلاقاً» . أو من جانب آخر فإن غياب الحيوية في النظام السياسي حال دون تمكين الشباب من التمثيل وأداء الدور داخل أي من مؤسساته ، وبالتالي باتوا يشعرون بأن ما هو قائم من مؤسسات لا تمثلهم ، بل وإلى حد ما يشعر هؤلاء الشباب بأن الفصائل تستخدمهم كوقود من أجل مصالحها ، بل وفي أحيان أخرى يشعر بعضهم بأن هذه الفصائل تحاول الحد من مبادراتهم إذا ما فكروا في أخذ هذا الدور ، إما عن طريق الاحتواء وركوب الموجة ، كما يقولون ، وإما عن طريق استخدام ما لديها من نفوذ لتحجيمهم مستذكرين مثال الخامس عشر من آذار / مارس 2011 ، حين تمكن الشباب من إيجاد حالة تمكنت من تحريك الشباب والرأي العام وإخراجهم إلى الشارع قائلين : «كنا قادرون على البناء على حركة 15 آذار ، لكن ما حدث أن تدخلت مصالح قوى وأحزاب ، واليوم هناك بذور مشابهة إذا ما استطعنا تشكيل شيء جديد» . أي يعتقدون أن مصالح الأحزاب ستبتلع أي نشاط يمكن أن يقوموا به .

«نعم الأحزاب معيقة» هكذا يجيب الشباب عن دور الأحزاب قائلين : «الأحزاب قصرت في دورها من عشر سنوات تمر بمرحلة محورية في القضية إما أن تخرج بمولود أو تفقد دورها» .

الحل : اندماج بالأحزاب أم تشكيل جديد؟

إن حصيلة ما يعبر عنه الشباب حجم الاغتراب مع النظام السياسي المشكل من مجموعة القوى والأحزاب الفلسطينية والتي تؤكدها استطلاعات متكررة تعكس هذا التباعد ، إذ يتراجع بصورة ثابتة تأييد الشباب لهذه القوى . وقد يكون ذلك مرتبطاً بعده أسباب أهمها حالة الجمود التي تمر بها هذه القوى حالت دون إحداث التداول الطبيعي للأجيال في الحكم والحضور وإشغال المواقع ، حيث بقيت الهياكل على حالها ليحد ذلك من دخول أجيال جديدة . فقد انتظر جيل الشباب أن تتغير الإشارة الحمراء لتصبح خضراء تسمح بحركة المرور لكنها بقيت وطال أمدها فازدحمت الطريق وأصبح طابور المنتظرين طويلاً ليتحول مع الزمن إلى حالة من الغضب تعبر عن نفسها بحدية عالية . وقد أحدث التدافع فعله في تلك الحالة ، كأن محيطاً آخر يتبلور خلف الإشارة فيما نشره الشباب الذين حملوا الهبّة في الضفة وغزة على وسائل التواصل الاجتماعي من رفض للفصائل ولراياتها وتبنيها لهم حتى بعد استشهادهم ، يعكس بجدية الصراع الهادئ والذي عبر عن نفسه بالاشتباك مع المحتل كأحد مظاهر الصراع الخفي بين جيلين مختلفين . هكذا عبّر منسق شباب الانتفاضة ، عندما قال «الشباب وجدوا تهميشاً كاملاً . . وجيش الاحتلال هو كيس الملاكمة الوحيد» .

لكن هذا الاغتراب الذي يعكس أزمة وصراع جيلين . كيف يمكن أن يحل وماذا يفكر هذا الجيل وكيف سيتمكن من التعبير عن نفسه سياسياً واجتماعياً ، تساؤلات لا بد من الإجابة عنها . هل من خلال الاندماج في هذه الأحزاب أم الذهاب نحو تشكيل جديد بعيد عنهم؟

لا يمكن القول إن هناك إجماعاً بين الشباب على رأي محدد ، فالانقسام بين الخيارين بدا واضحاً بل ويعبّر عن حالة إحباط من القدرة على تنفيذ أي منهما ؛ إذ تمثل الخيار الأول في الاندماج في الفصائل وإيجاد فرص للشباب في مؤسساتها القيادية ومراكز صنع القرار ؛ بينما تمثل الخيار الثاني الذي بات يدرك أن إمكان الخيار الأول ليس وارداً ، ارتباطاً بالتجربة القائمة وما آلت إليه الحركة الوطنية وخصوصاً

بعد تشكيل السلطة وارتباط الموقع القيادي بامتيازات جديدة ، فما قبل السلطة يختلف عما بعدها ، إذ شهدت العقود الأولى للثورة الفلسطينية جيلاً من الشباب تحملوا مسؤولية قيادة هذه الثورة ، وارتبط ذلك بالفراغ السياسي في بداية ستينيات القرن الماضي واستعداد هؤلاء الشباب للتضحية وتحمل المغامرة . لكن اللحظة الحالية لا تشهد فراغاً في هياكل المؤسسات ، إنما تشهد تمسكاً كبيراً بتلك المواقع هذا التمسك الذي تسبب في وقف تدافع الأجيال .

لكن اللافت في هذا الجيل من العينات التي جرى لقاؤها والنقاش معها أن الشابات لم يبدين رأياً في هذا الموضوع ولم يشكل موضوع الجدل الدائر بشأن الاندماج في الأحزاب أو البحث عن بدائل أولوية لديهن ، ربما ذلك بسبب ما تتعرض له المرأة من إقصاء وتهميش زائدين ، فباتت تدرك أنه حتى لو اندمج الشباب في تلك الأحزاب فإن فرص دمج النساء تكاد تكون منعدمة لانعدام ثقافة مشاركة المرأة سياسياً ، وما ينطبق على الفصائل القائمة سينطبق على التشكيلات الجديدة ، إن وجدت فستكون تشكيلات ذكورية كما قبلها ، وتلك قصة أُخرى لكن ربما أن ذلك هو السبب في عزوف الشابات عن البحث عن أزمة المشاركة الشبابية .

لكن آراء الشباب تباينت كما ذكر سابقاً . قال أحدهم : «محتاجين حركة تصحيحية داخل الفصائل من خلال تيارات إصلاحية داخل الأحزاب . . .» . يؤكد سراج إبراهيم أن الحل هو بتعزيز الشباب في النقابات والمؤسسات والهياكل القائمة ويعتبر محمد النخالة أن الحل هو بدمج الشباب في الأحزاب ، لماذا؟ يجيب أحد الشباب قائلاً : «لأن الثورة والتغيير من الداخل أسهل من تشكيل حزب جديد» . هذه بعض الآراء التي دعمت باتجاه الاندماج بما هو قائم ، لكن آخرين كانوا يرون أن خيار حزب جديد هو الحل الأمثل للأزمة . وبشأن إقصاء الشباب عن المشاركة السياسية يقول فادي : «لنا موقف حاد من الفصائل» ، وكان قد ذكر أنهم رفضوا تبني أي فصيل لشهيد الائتلاف . ويواصل حديثه : «محاولاتنا في التعاون معهم فشلت . . بهذه السياسات والممارسات مستحيل أن تكون جزءاً من هذه الفصائل إلا إذا كان جزء من الشباب هدفه مصلحة مادية بالالتحاق بالحزب» .

ما قاله فادي يؤكده الناشط محمد التلولي (بالمناسبة هو من الشباب الناشطين في حزب يساري) إذ قال : «إننا مع تشكيل حزب جديد يمثل الشباب . . إنني أمام سياسة حزبية تمثل حزبها أكثر مما تمثل التطلعات الوطنية ، أصبحت فلسطين طريق والحزب هو الغاية» . وفي الورش الجماعية كانت الآراء تدفع بمعظمها نحو تشكيل مختلف عما هو قائم كالقول مثلا : «يجب إنهاء الانقسام وبروز تيار جديد يحكم الشارع» ، كما قال أحدهم . واعتبر آخر أن الحل يكون في «تشكيل حالة شبابية قيادية أكثر قدرة على التأثير» ، لكن محمد نتيل يعبر بغضب قائلا : «ما هو قائم تهالك يجب الإطاحة بما هو قائم وتشكيل شيء جديد» .

الانقسام بين الشباب حول ذلك ، وإن كانت الفئة التي تدعم الحركة باتجاه الجديد تبدو أغلبية ، لكن ذلك الانقسام يعبر عن أزمة الخيارات لدى الشباب أنفسهم ، ويعكس إلى حد ما ارتباك تلك الخيارات وتشوشها . فمثلاً الشاب فادي الشيخ يوسف الذي يقوم بدور قيادي منذ أعوام ، في اللحظة التي يعترف فيها أن جيلهم يفتقد إلى دور في صنع القرار ، معتبراً أن «صناع القرار الحاليين ليسوا معاصرين وأن أدواتهم بدائية . . . إنهم جيل ما زال يستخدم الأدوات القديمة حتى في الترويج للقضية» ، معبراً بذلك عن توقه إلى استيلاد ما هو جديد من خلال قيادته لائتلاف شباب الانتفاضة كجسم مستقل عن الفصائل ، بل ويعبر عن استحالة أن يكون الائتلاف جزءاً من هذه الفصائل كما قال ،

لكنه في الوقت نفسه : «لا يتخيل أن يكون من الممكن تشكيل إطار منفصل ضاغط» لمعرفته بتأثر الأحزاب وبنائها بالمحيط المحلي والدولي .

هروب نحو الثقافة

ما يلفت انتباه الباحث في واقع شباب قطاع غزة أن تجربة الأعوام التسع السابقة من الانقسام وانعدام الفرص ، وإغلاق كل نوافذها أمامهم وانكسار محاولات هذه الأعوام في الخروج بشيء ما أو بنتائج ، وخصوصاً فيما يتعلق بتشكيل كتلة شبابية ، وملاحقة الأمن لهم وإدراكهم ألا عمل ممكن إلا في سياق ما يسمح لهم به الأمن . وكما ذكر سابقاً ، بعضهم هاجر إلى الخارج وبعض ظل يحاول بخجل وبعض آخر ترك العمل الشبابي نهائياً . لكن ما يلفت هو ذهاب بعضهم باحثاً عن ذاته في حقل آخر .

القسم الرابع من هؤلاء ، الذي شعر أن لديه ما يمكن أن يعبر به عن ذاته في إطار الثقافة مبتعداً عن التماس والاحتكاك بالسلطة القائمة وأجهزتها الأمنية . فقد تبدت في الأعوام والآونة الأخيرة بعض الأنشطة الثقافية التي يقف خلفها ويقودها شبان من هذا الجيل الذي لم يجد له متسعاً ليعبر عن حضوره السياسي أو حتى الثقافي في إطار ما هو قائم من تشكيلات . إنه نزوع إلى الثقافة لدى شباب بعضهم تمكن من النجاح لكن ذلك أبقاه خارج النظام الرسمي ، وبعضهم لديه ما يقوله ، لكن أحداً لم يأبه وآخر يعبر عن كيانه السياسي والثقافي بعيداً عن الاصطدام بالمؤسسة الرسمية والأمنية .

أتيح للباحث حضور واحدة من أنشطة «مجموعة قرطبة» الثقافية ، التي تضم نخبة من الشباب تجتمع في الثلاثاء الأول من كل شهر . هذه النخبة الصاعدة تؤكد حضورها بما لديها من شعر وقصة قصيرة ، مجموعة من المثقفين الجدد منهم من يقرأ شعراً كتبه ومنهم من يقرأ قصة ومنهم من يقرأ كتاباً فلسفياً يعرضه للنقاش ومنهم من يعزف على العود . نقاش وتعليق . . . هكذا إذ يقول أحد مؤسسي مجموعة «قرطبة» ، يسري الغول : «اجتمعنا في مطعم قرطبة لنرسم خطوطاً لحكاية جديدة تجمعنا بعيداً عن حالة التناحر والانفصام السياسي فالحالة الضبابية التي تعيشها المنطقة وتحديداً الأراضي الفلسطينية تدفع بالحريص على الوطن والإنسانية تبني دور تنويري نحو توحيد الصف في محاولة لطيّ العتمة بنور الوعي وقتل التطرف بروح الفهم والإدراك وممارسة الحوار وتبني الرأي والرأي الآخر . وفي لقائنا صفر حددنا البوصلة فكان للأدب والموسيقى والفكر نصيب كبير» . نلاحظ هنا أن الهدف سياسي لممارسة الحوار بعيداً عن حالة التناحر . . . ، لكن شكل الهدف السياسي يأخذ طابعاً ثقافياً .

مجموعة أُخرى من الجيل الشباب ذات الإبداعات الثقافية تتمحور حول «مجلة 28» ، يقول الشاب محمود الشاعر ، الذي قام بتأسيس المجلة مع مجموعة من الشباب ، إنها لتكون حاضنة للشباب ولتكون نافذة لهم ولخلق تواصل مع المجتمع . صدر منها أربعة أعداد (حتى ربيع 2016) ، بالإضافة إلى العدد صفر الذي صدر في أيلول / سبتمبر 2013 والمجلة ليست منتظمة بسبب نقص التمويل إذ يعتمد كل عدد على تمويل من منظمات المجتمع المدني .

يقول مؤسس المجلة : «لم يقتصر عملنا على المجلة فقد نفذت المجموعة 35 فعالية بغزة تنوعت بين أمسيات أدبية وموسيقية» . لكنه في مقابلة معه يشير إلى أزمة الأمن التي تفرض قيوداً لا حصر لها على تلك الفعاليات ، أي أن النشاط مقيد بما يسمح به الأمن وأزمة الحصول على ترخيص لتنظيم فعاليته . حيث إن الأمن يطلب برنامج الحفل وأسماء المشاركين والفئة المستهدفة ، وما إذا كانت

الفعاليـة سياسـية أم ثقافيـة ، وتتعـدد الجهـات المصـدرة للتراخيـص حيـث يشـير إلـى أن هنـاك 12 جهـة يُحتـاج إلـى موافقتهـا لإقامـة فعاليـة .

أي أن النظـام القائـم ليـس فقـط يتنكـر للشـباب ولا يقـوم بـأي جهـد لمسـاعدتهم ، بـل يقـف عائقـاً أمـام مبادراتهـم حتـى لـو كانـت ثقافيـة ، فمـا بالـك حـين يتعلـق الأمـر بعمـل سياسـي . ولعـل تجربـة شـباب «مجلـة 28» تعكـس الحالـة القائمـة في قطـاع غـزة وتعقيـدات العمـل الشـبابي وهـي تختصـر أسـباب حالـة الإحبـاط السـائدة .

الاستنتاج

مـا بـين الثـورة والسـلطة طـرأت تغيـرات علـى بنيـة النظـام السياسـي الفلسـطيني وعلـى علاقـة الفـرد بالحـزب أو التنظيـم . كان هنـاك مؤتمـرات ولـو سـرية تسـمح بتـداول أجيـال إلـى حـد مـا ، وكانـت اللحظـة وأوضاعهـا تسـتدعي اسـتمرار عمليـة تأطيـر وحشـد الشـباب باعتبارهـم وقـود الثـورة ورافعتهـا الأولـى . كانـت تلـك الأوضـاع تسـمح لبعـض الشـباب الذيـن يبـدون كفـاءة مـا عسـكرية أو سياسـية أو «كاريزميـة» بالاندمـاج أو التسـلل لمواقـع في التنظيـم . لـم يكـن الشـباب مهمشـين كمـا اليـوم ، إذ كانـت تحـال إليهـم أغلبيـة المهمـات وهـم مشـغولون علـى مـدار اللحظـة بتنفيذهـا .

لكـن بعـد نشـوء السـلطة تحـول الـدور الوظيفـي وتحولـت طبيعـة الأوضـاع ، وإلـى حـد مـا لـم تعـد الخسـارة واردة ، والصـراع في الأحـزاب علـى الوصـول إلـى سـلم القيـادة . فقيـادة الحـزب تعنـي موقعـاً في السـلطة بمـا يعطيـه ذلـك الموقـع مـن امتيـازات وصلاحيـات وجـودة حيـاة . ولـم يعـد العمـل طوعيـاً يضـع خيـار المغـادرة كخيـار قائـم ، بـل أصبـح الموقـع بالسـلطة يرتبـط بقانـون خدمـة مدنيـة أدى ذلـك إلـى اختـلال العلاقـة بـين جيـل القيـادة وجيـل الشـباب ، إذ أصبحـت القيـادة تعتمـد في شـكل إدارة السـلطة علـى طبقـة مـن الموظفـين دون غيرهـم بغـض النظـر عـن وجـود أو عـدم وجـود الشـباب .

لكـن الاسـتنتاج الأبـرز هـو حالـة اليـأس التـي يمـر بهـا الشـباب وعـادة مـا تدفـع تلـك الحالـة إلـى إرادة الخـروج منهـا مـن خـلال فهـم واضـح أو خريطـة طريـق ، لكـن الشـباب ليـس لديهـم خريطـة واضحـة ، إذ ارتبكـت الخيـارات مـا بـين الاندمـاج المسـتحيل وبـين الجديـد الـذي يبـدو كحلـم مسـتحيل أيضـاً ؛ الاسـتنتاج الآخـر هـو ظهـور حالـة عجـز الإرادة لـدى الشـباب ، إذ هـم دائمـو المطالبـة بـأن يقـوم غيرهـم بفعـل مـا يريـدون «يريـدون مـن الفصائـل أن تقـوم باسـتيعابهم» باسـتخدام مصطلـح «علـى الفصائـل» وحـين يجـري الحديـث عـن تشـكيل جديـد يتكـرر الشـيء نفسـه ، بمطالبـة مـا بتشـكيل جديـد ، وهنـا يمكـن ملاحظـة اسـتخدام مصطلحـات «يجـب وينبغـي» مـن دون أن يتلمـس المتابـع بينهـم ، حاليـاً ، رغبـة أو قـدرة علـى المبـادرة . باتـوا كمـن ينتظـر المخلـص ، مـن دون ثقـة واضحـة بقدراتهـم . لـذا لا أرى مؤشـرات علـى أن مبـادرة جديـدة سـيتبلور مـن مجمـوع الأزمـات التـي يمـر بهـا الشـباب ، بـل يمكـن توصيفهـم بأنهـم مـادة خـام جاهـزة ولكنهـا لا تشـكل مبـادرة ولـم يكـن الانـدفـاع في الهبّـة سـوى تعبيـر عـن ذلـك .

مدلولات «الهبّة الشبابية» سياسياً واجتماعياً جنوب الضفة الغربية (في بيت لحم والخليل)

أحمد عز الدين أسعد

مقدمة

تطـرح هـذه الدراسـة السـياق السياسـي والاجتماعـي والجغـرافي للهبّـة الشـبابية التـي اندلعـت مطلـع تشـرين الأول / أكتوبـر 2015 موضـع البحـث والتسـاؤل ، لاستكشـاف أبعادهـا ومدلولاتهـا علـى مسـتقبل الحركـة الوطنيـة الفلسـطينية . تمثـل هـذه الدراسـة ، محاولـة أوليـة استكشـافية لهـذه الهبّـة في جنـوب الضفـة الغربيـة (محافظتـي : بيـت لحـم ، والخليـل) ، وقـد تطرقـت إلـى القضايـا التاليـة : محـرك العمـل الانتفاضـي الشـبابي ؛ وثقـة الشـباب بالمؤسسـات الرسـمية والشـعبية التقليديـة ؛ وسـمات الهبّـة وماهيتهـا ؛ نظـرة الشـباب إلـى المؤسسـات الفلسـطينية جميعهـا ؛ وتأثيـر انعـدام المسـاواة وانعـدام العدالـة الاجتماعيـة علـى الشـباب ؛ وطبيعـة العلاقـة بـين الهبّـة والأطـر الرسـمية وغيـر الرسـمية الفلسـطينية ؛ ومفهـوم الشـباب للتحـرر ؛ والمسـافة بـين فئـة الشـباب والمؤسسـات الرسـمية وغيـر الرسـمية التقليديـة ؛ ومسـتقبل الشـباب الفلسـطيني ؛ وتأثيـر ظاهـرة الاسـتهلاك الاسـتعراضي والفجـوة الطبقيـة علـى الشـباب ؛ ودور وسـائل التواصـل الاجتماعـي في الهبّـة ؛ وتعبيـرات الشـباب حـول الحيـز العـام والخـاص ؛ ورؤيـة الشـباب للتغييـر والخـروج مـن الوضـع القائـم .

نفـذت هـذه الدراسـة في جنـوب الضفـة الغربيـة تحديـداً في محافظتـي بيـت لحـم والخليـل خـلال الفتـرة مـن الأول مـن آذار / مـارس حتـى منتصـف أيـار / مايـو 2016 ، وشـملت إحـدى عشـر مقابلـة معمقـة ، أُنجـزت سـت مقابـلات منهـا في محافظـة الخليـل توزعـت علـى النحـو التالـي : (مدينـة الخليـل ، وبلـدة دورا «قريـة الطبقـة ، وقريـة الكـوم» ، وبلـدة سـعير ، وبلـدة حلحـول ، ومخيـم العـروب) . وأُنجـزت خمـس مقابـلات في محافظـة بيـت لحـم علـى النحـو التالـي : (مخيـم عايـدة ، ومخيـم الدهيشـة «ثـلاث مقابـلات» ، ومدينـة بيـت جـالا) . شـملت الدراسـة أيضـاً مجموعتـين حواريتـين : الأولـى في جامعـة بيـت لحـم بتاريـخ 2016/4/23 ضمـت ثـلاث طالبـات جامعيـات مـن (مخيـم العـزة ، قريـة حوسـان في ريـف غـرب بيـت لحـم ، وقريـة مـن ريـف شـرق بيـت لحـم) ، وثلاثـة طـلاب مـن (الدوحـة ، بيـت جـالا ، مخيـم عايـدة) ؛ أمـا المجموعـة الثانيـة فكانـت مـن محافظـة الخليـل ، في مقـر اللجنـة الشـعبية في مخيـم العـروب ، ضمـت ثـلاث طالبـات جامعيـات مـن مدينـة الخليـل ، وأربعـة شـباب مـن مخيـم العـروب (اثنـان منهـم طـلاب مدرسـة في المرحلـة الثانويـة ، وشـابان عاطـلان عـن العمـل) .

لمدينـة بيـت لحـم خصوصيـة التعدديـة الثقافيـة والدينيـة (تعايـش الإسـلام والمسـيحية) . وقـد تغيـرت ديموغرافيـة المدينـة بسـبب حركـة الهجـرة الداخليـة إليهـا جـراء نكبـة سـنة 1948 وحـرب حزيـران / يونيـو 1967 . وللمدينـة أهميـة علـى المسـتويين المحلـي والعالمـي كونهـا مهـد المسـيح عيسـى ، وفيهـا كنسـية المهـد . وتختلـف مدينـة الخليـل عـن بيـت لحـم نوعـاً مـا مـن حيـث الأغلبيـة العظمـى مـن سـكانها مـن المسـلمين إلـى جانـب وجـود الحـرم الإبراهيمـي في قلـب مدينـة الخليـل وهـو ثانـي أهـم مركـز دينـي للمسـلمين في فلسـطين ، وتسـجل محافظـة الخليـل أكبـر عـدد مـن المسـاجد (595 مسـجداً) علـى مسـتوى محافظـات الضفـة الغربيـة وقطـاع غـزة ، وبفـارق كبيـر عـن ثانـي وثالـث المحافظـات ، وهمـا غـزة وخانيونـس .

وتتميّز محافظة الخليل عن باقي المحافظات الفلسطينية ، إذ تقع المخيمات خارج حدود مدينة الخليل ، وفي المحافظة مخيمان هما : مخيم الفوار ومخيم العروب ، بينما في بيت لحم تقع المخيمات الثلاث في مناطق قريبة من مركز مدينة بيت لحم ، وهي مخيم العزة ومخيم عايدة ، ومخيم الدهيشة . يعود أمر ابتعاد مخيمات الخليل عن مدينة الخليل إلى رفض أهل المدينة في إبان النكبة سنة 1948 استقبال اللاجئين في المدينة ، في مقابل السماح لهم بالإقامة على تخومها البعيدة .

تختلف الثقافة المجتمعية لكلتا المدينتين ؛ حيث تسود ثقافة مُحافِظة نوعاً ما في مدينة الخليل ؛ وتجنب سكانها الاختلاط مع اللاجئين وحتى مع أهل القرى والبلدات القابعة ضمن الحدود الإدارية للمحافظة ، بينما حدث العكس في مدينة بيت لحم ومحافظتها حيث تمازج السكان ثقافياً واجتماعياً على المستوى المحلي وعلى المستوى العالمي ، من خلال المدارس التبشيرية التي أُقيمت في المدينة بيت لحم وأنتجت نخبة ثقافية متعلمة ، ومن خلال حركة السياحة النشطة في المدينة ، إضافة إلى أن عدداً كبيراً من سكان محافظة بيت لحم هاجروا إلى أوروبا وأمريكا الشمالية والجنوبية ، منهم من عاد بثقافة ونمط حياة ومعيشة جديدين أثّرا في ثقافة المدينة ، أما المغتربون فقد أسهموا في تطوير المدينة من خلال تحويلاتهم المالية للأقارب ومن خلال تبرعاتهم لبلداتهم ومدينتهم .

بلغ عدد المؤسسات الثقافية في محافظة بيت لحم 88 مؤسسة تشمل 81 مركزاً ثقافياً و7 متاحف ، بينما بلغ عدد المؤسسات الثقافية في محافظة الخليل 86 مؤسسة تشمل 83 مركزاً ثقافياً و3 متاحف ، هذا يعني أن نصيب محافظة بيت لحم من المؤسسات الثقافية أكبر من نصيب محافظة الخليل التي يشكل عدد سكانها أكثر بثلاث أضعاف عدد سكان محافظة بيت لحم . لكن يلاحظ غياب للمسارح ودور السينما في المحافظتين مقارنة بمدينة رام الله–البيرة التي تحتضن أغلبية المؤسسات والمراكز الثقافية والفنية والمؤسسات والمنظمات المحلية والدولية بعد قيام السلطة الفلسطينية سنة 1994 . ففي رام الله–البيرة حركة ثقافية ملموسة مقارنة بمحافظة الخليل النشطة على الصعيد الاقتصادي والتجاري والصناعي المحلي ؛ أما محافظة بيت لحم فتنشط في المجال السياحي والخدمي وبعض الصناعات التحويلية مثل صناعة الحجر والخشب والخزف .

يبرز البعد العائلي والحمائلي في البنية الاجتماعية لمدينة الخليل والقرى والبلدات المشمولة في محافظتها ، فلكل عائلة في الخليل المدينة ديوان ، مثل ديوان آل النتشة ، ديوان آل الرجبي وغيرها من عائلات الخليل ، ويشكل هذا الديوان ملتقى عائلياً في المناسبات الاجتماعية ، ويتعارف أبناء الحمولة (العشيرة) الواحدة على بعضهم بعضاً كون بعض العائلات تضم أعداداً كبيرة ، وعدد كبير من أهل الخليل المدينة يسكن في مدينة القدس وضواحيها وهم حملة للهوية المقدسية . و تجدر الإشارة هنا إلى أن بعض العائلات مثل النتشة لديها صندوق عائلة وهو صندوق مدخرات وتبرعات واشتراكات مالية ، يسهم هذا الصندوق في منح تعليمية لطلبة العائلة ، وحفلات تكريم وتخريج ، إلى جانب مساعدات للزواج . وما زال أهل الصلح العشائري وبعض المخاتير والوجهاء أي النخبة التقليدية تشكل فاعلاً مجتمعياً وسياسياً في محافظة الخليل . يغيب هذا البعد عن البنية الاجتماعية في محافظة بيت لحم وإن حضر بصورة واضحة في ريف شرق مدينة بيت لحم ، لدى عشائر التعامرة .

لعل مدينة الخليل ذات الثقافة المحافظة ، هو ما جعلها مركزاً لأحزاب سياسية إسلامية مثل حركة المقاومة الإسلامية (حماس) وحزب التحرير ، وانعكس هذا بفوز حركة «حماس»

في انتخابات المجلس التشريعي سنة 2006 بجميع مقاعد المحافظة . ثم إن جميع الاحتفالات والمهرجانات المركزية لحزب التحرير تقام في الخليل ؛ أما في مدينة بيت لحم تتعايش توجهات اجتماعية وسياسية وفكرية متعددة . ويوجد في مدينة الخليل وخصوصاً في البلدة القديمة أي بالقرب من الحرم الإبراهيمي ، حضور سكاني كثيف للمستعمرين الإسرائيليين ، كذلك في منطقة شارع الشهداء وتل الرميدة ومواقع أخرى ، ما يجعل الاحتكاك المباشر بين المستعمِر والمستعمَر أمراً لا مفر له ، وفيها عدد من نقاط التقاطع والتماس المباشر مع المستوطنين ؛ في حين إن في مدينة بيت لحم لا مجال لاحتكاك مباشر مع المستوطنين جغرافياً وديمغرافياً ، لكن يوجد تداخل وتواصل تجاري واقتصادي بين الفلسطينيين والإسرائيليين في بعض قرى ريف غرب بيت لحم من دون أن تسجل عمليات بسبب ذلك التداخل . في المقابل يوجد نقطة التقاء بالقرب من دوار عصيون ومثلث بلدة بيت فجار بين المستوطنين والفلسطينيين ، حيث سجلت عدة حالات من الاحتكاك المباشر بين الفلسطينيين والإسرائيليين . وهناك نقاط تماس حيوية للاشتباك مع قوات الاحتلال في بيت لحم مثل المدخل الشمالي للمدينة أو ما يعرف بمنطقة قبة راحيل أو مسجد بلال بن رباح ، وبالقرب من مفتاح العودة شمال مخيم عايدة للاجئين .

المحركات السياسية والاجتماعية لهبّة الشباب ، ممارسات الاحتلال الاستيطاني والإعلام

تعددت دوافع انتفاض الشباب الفلسطيني ومحركاته ، لكنها بقيت في إطار ممارسات الاحتلال وانتهاكاته وسياساته مع إشارة من البعض إلى دور ما للفعل الإعلامي .

يقول أحد طلبة جامعة بيت لحم ، صالح أبو شرار ، وهو من سكان مخيم العروب : «إن كل العمليات ردة فعل نتيجة ضغوطات الاحتلال . . . . المحرك (للانتفاض) هو استفزاز الاحتلال» . ويؤكد أيمن عبد ربه (ناشط من مخيم الدهيشة ومن أصدقاء أحد الشهداء) ، بأن دافع الشباب «دافع وطني وعاطفي مع زيادة انتهاكات المسجد الأقصى ، والمعاملة الهمجية اللاإنسانية للمواطنين الفلسطينيين . . . الإعلام القوي كان محركاً أساسياً لاندفاع الشباب . . .» . وشدد حمدان زواهرة من مخيم الدهيشة (وهو شقيق الشهيد معتز زواهرة) على أن المحرك هو «ضغط الاحتلال وأعماله التي يقوم بها يوم يوم [يومياً] من هدم بيوت وقتل أطفال . . . (خلال) أحداث حرب غزة الجميع كان مضغوط من هاي الحرب وشافوا المجازر إللي [التي] قام فيها الاحتلال . . . كمان يوم الاحتلال موجود (يعني دخول الاحتلال) بنشوف شو بذل [يذل] الناس . . .واعتقالات الناس في ساعات الليل المتأخرة وإطلاق النار والغاز . . .» . ورأى الشاب محمد يوسف ، الناشط من مخيم عايدة ، أن الدافع يعود إلى «ترهل الوضع السياسي ووصول السياسة إلى طريق مسدود ، كمان إحنا الشباب لا نؤمن بالمفاوضات وبعد 20 سنة لا وجود لأفق سياسي والبطالة الموجودة خلّت [جعلت] الشباب مش عارفين وين بدهم يروحوا» . ورأت الطالبة الجامعية دالية لهاليه من بلدة سعير أن دافع الهبّة يعود «إلى انتهاكات الاحتلال المستمرة للمسجد الأقصى خصوصاً المرابطات إللي تم الاعتداء عليهن» ولكون «الشباب الفلسطيني وصل إلى مرحلة عجز ويأس من المفاوضات اللي ما جابت أي نتيجة إيجابية أدت إلى أن الشباب يطلق شرارة الهبّة الشعبية الحالية» .

كما أكدت خريجة دراسات عليا من مدينة الخليل (وهي موظفة حكومية) أن المحرك يكمن «في التهويد والقمع ومصادرة الأراضي وهدم البيوت» ، بينما رأت مروى عساف طالبة جامعية من بيت جالا : «بصراحة . . . الشباب زهقوا لهون وبس [لهذا الحد وفقط] بدهم يتمردوا ضد الأشياء اللي بتمس مصالحهم ، مش شايفين حد يأخذ إلهم حقوقهم ، . . . . شافوا أرضهم ومقدساتهم بتنتهك مش رح يظلوا ساكتين» . الشاب إبراهيم أبو لبن من مخيم الدهيشة ، رأى أن «الوضع السياسي في فلسطين كان المشجع الأول وسوء الحالة الاقتصادية في المجتمع الفلسطيني ، ومثال على هذا . . . صار إضرابات للنقابات بشكل مستمر ، إضراب المعلمين والموظفين في الجامعات ومجالس الطلبة ، وهذا دليل على عدم استقرار الحالة الاقتصادية للشعب الفلسطيني وعدم رضا الشعب الفلسطيني عن القيادات السياسية الحالية ، إللي ما بتأدي مسؤولياتها . . . ومثال على ذلك استمرار المفاوضات العبثية التي لم تؤد إلى أي حل سياسي ، بل استمرت الاعتداءات الإسرائيلية . . . . . » . واعتبر أحد أصدقاء الشهيد حسن البو (من بلدة حلحول) أن هناك «استهتار بعقول الشباب من قبل أشخاص يريدون المصلحة الشخصية على حساب المصلحة العامة ، وأكبر دليل على ذلك إذاعة الأقصى (الأقصى) التي تبث من غزة ، حيث تقوم بتحميس الشباب زيادة عن اللازم على الانتفاض علماً أنها تعلم أن الشباب الفلسطيني لا يملك السلاح الكافي للمواجهة الاحتلال .»

وهذا ما أشارت إليه موظفة حكومية بقولها هناك «دوافع إلها علاقة بالتحريض الإعلامي من قبل قناة الأقصى وغيرها هم بشحنوا [يعبّئون] الشخص والمشكلة أن صغار السن هم اندفاعيين» . في السياق ذاته المرتبط بالتحريض الإعلامي ، ألقى الموظف في شركة خاصة (دورا الخليل) ، مسؤولية على «الفيس بوك» «لأن المواد الإعلانية والمنشورة على الفيس بوك ما في حد راقب هذا الإشي المنشور . . . الكل عنده الفيس بوك . . . بنشوف الفيديوهات مثلاً عن عمليات الطعن الاقتحامات للمسجد الأقصى وضرب المرابطات . . .» . طالبة جامعية (قضاء دورا) استذكرت حديثاً عائلياً لأحد أفراد أجهزة الأمن من أقاربها الذي أشار إلى اختلاف الدوافع بين الشباب الذكور والشابات ، ذاكراً أن «البنات أكثر مكان بقدروا يتوجهوا إله [إليه] في الخليل هو الحرم الإبراهيمي ، والبنات بتتجه نحو الانتحار الناتج عن ضغوطات أسرية ومجتمعية ، وهناك عمليات بتنتج عن قرارات سريعة ما بتكون ناتجة عن تخطيط مسبق ، كمان في صراعات ناتجة عن العطالة عن العمل . هذا الإشي بعطي مساحة للمشاكل النفسية والاجتماعية في الزيادة .»

أشارت موظفة حكومية إلى أن الضغط الاجتماعي على الشابات ، قد يكون من أحد الاعتبارات ، تقول : «مثلاً البنات بتعرضوا لضغط اجتماعي داخل يبوتهم بروحوا يعملوا عمليات ، وهذا التفسير يعتبر غير مقبول في النقاش الفلسطيني ، بنظروا إلك أنك بتنتقص من قدر الشهيد» . وقالت الطالبة في جامعة بيت لحم (خلال المجموعة الحوارية الأولى) : «عندنا من البلد . . . مرة [إمرأة] عملت عملية استشهادية مش عشان الوطن عشان كان في خلافات مع أهلها وزوجها ، بدها تترك حياتها ما بدها حدا يحكي إنها انتحرت وبدها تستشهد ، في ناس دوافعهم وطنية عشان إحنا مستعمَرين والحكومة وقعتنا بظلم أوسلو .» ورأى شاب من مخيم العروب وهو طالب ثانوي (خلال المجموعة البؤرية 2) أن الثأر هو المحرك : «قد يثأر الشاب إلى زميله مثل مهند الحلبي مفجر هذه الانتفاضة إللي ثأر لضياء التلاحمة صديقه في الجامعة . . .

من الدوافع الانتقام وهو دافع أساسي ، والدوافع الأُخرى هي المحافظة على الأرض ، وانتهاكات المستوطنين والاحتلال .»

أغلبية لا تثق بالمؤسسات

أغلبية الشباب الذين قابلتهم قالوا بأنهم فقدوا الثقة بالمؤسسات الرسمية وغير الرسمية ، والمقصود بالمؤسسات الرسمية مؤسسات السلطة الفلسطينية ومنظمة التحرير ، والمؤسسات غير الرسمية كالنقابات والاتحادات والأحزاب والحركات الاجتماعية . يقول الطالب الجامعي صالح أبو شرار (مخيم العروب) : «بالتأكيد فقد الشباب الثقة بالمؤسسات ، كونهم بشفوش (لا يرون) إشي ملموس ، الوضع بتراجع ، وضع الفلسطينيين بتراجع من كل النواحي السياسية والاقتصادية ، اكتشف الشباب عدم وجود أمل من تلك المؤسسات . . . . لا توجد لدى الشباب مؤسسات تهتم بهم وترعاهم ، لا توجد مؤسسات خاصة بالشباب . . . فئات كثيرة عاطلة عن العمل» .

الطالب الجامعي أيمن عبد ربه (مخيم الدهيشة) يؤكد ما سبق ، إذ يقول : «تم فقد الثقة لأن دور السلطة الفلسطينية كان واضحاً في عدم النضال وهي ضد العمليات الفردية ، وهي مستمرة في عدم الاستماع إلى الشعب والاستمرار في المفاوضات العبثية غير المنتجة ، ولم يكن (هناك) أي جهة رسمية داعمة للانتفاضة بشكل حقيقي ، كل الأحزاب السياسية الفلسطينية لم تدعم بالشكل الحقيقي والكافي خطاب الشعب نحو مواجهة العدو .»

تقول الطالبة الجامعية دالية لهاليه (سعير) : «فُقدت الثقة بدرجة عالية والدليل على ذلك ما في ولا عملية تم تنفيذها كانت تحت إطار رسمي أو غير رسمي ، المسيرات إللي بتطلع هي ضد السلطة ، في احتكاك بين السلطة والشباب ، والشباب (هم) المحرك للانتفاضة خصوصاً ما في دعم من الجهات الرسمية وغير الرسمية عشان ما تتحول الهبّة إلى انتفاضة على مستوى كامل ، على مستوى الشهداء بعضهم رفضوا أن يتم تبنيهم من قبل أي حزب سياسي وهذا مؤشر على فقدان الثقة بالأحزاب السياسية» . في السياق ذاته يقول الطالب الجامعي إبراهيم ابو لبن (مخيم الدهيشة) : «فئة الشباب فقدت الثقة بالقيادات والمؤسسات الرسمية وغير الرسمية والدليل على هذا الإشي أن الهبّة الشعبية كانت مستقلة عن المؤسسات من خلال العلميات الفردية التي لا تنتمِي للمؤسسات الرسمية وغير الرسمية .»

أعاد طالب جامعي (من حلحول) سبب فقدان الشباب الثقة بالمؤسسات إلى «قلة فرص العمل وقلة الدخل المادي وقلة الوعي من قبل الأفراد المسؤولين الذين يجب عليهم القيام بحملات توعوية (تثقيفية) للشباب الفلسطيني .»

أما الطالبة في جامعة بيرزيت (من قضاء دورا) فأكدت : «نعم فقد الشباب الثقة بأغلب المؤسسات الرسمية والشعبية وعلى رأسها الأحزاب السياسية إللي داخل منظمة التحرير اللي فقدت دورها ، والأحزاب اللي خارج المنظمة . . . . التعامل مع أبناء الجهاد الإسلامي مختلف عن «فتح» . . . بهاء عليان لما وضع وصيته طالب عدم تبنيه من قبل الأحزاب . . . كمان في شباب لّما [عندما] نفذوا عمليات أكدوا أنهم غير منتمين للمؤسسات الرسمية والشعبية ، كمان المؤسسة الرسمية تعارض استخدام السكين . أبو مازن في مقابلته الأخيرة مع التلفزيون الإسرائيلي

أكد ذلك ، كمان الأمن الفلسطيني كان ينزل على الشارع عند الحرم الإبراهيمي لمتابعة الشباب والفتيات وهذا يؤكد التنسيق الأمني .»

طالب جامعي من بلدة الدوحة (مجموعة بؤرية 1) اعتبر أنه «منذ بداية الهبّة ما في دور للأحزاب والمؤسسات من الحلبي إلى أبو سرور هي عمليات فردية ، كان الشب أو الصبية هم من ذاتهم يعملوا العملية والفرد هو المسؤول عن العملية ، أما إذا كان له انتماء فكانت الأحزاب تتبناه ، وما في ثقة في المؤسسات ولو في ثقة لكانت العمليات منظمة وبتكون تحت إطار الحزب أو الجهة المنفذة ، والعمليات الفردية هي تأكيد لعدم الثقة في الأحزاب والمؤسسات .» لكن الشاب محمد يوسف (من مخيم عايدة) ، أوضح «أنا كناشط أنتمي لحملة المقاطعة BDS وأكون ناشط وداعم للحملة ، لما أستقبل وفد أجنبي وأتحدث عن المقاطعة والتضامن في بلده هذا إشي كويس ، الحكومة ما في بإيدها إشي ، الحكومة أكثر إشي بتقدر تعمله ، هو الحكي مع المؤسسات الدولية ، ما عندها سيادة وما في ميزان قوى حكومة ضد حكومة إسرائيل . إحنا مش قدهم . الشارع فقد الثقة ومواقفه ضد الحكومة ، إضراب المعلمين كان عار في جبين الحكومة .» وتقول موظفة حكومية من مدينة الخليل : «مش [ليس] كلهم [تقصد الناس] فقدوا الثقة ، جزء فقد الثقة وجزء لا ، الجيل الجديد نسبياً فقد الثقة ، أما الجيل اللي عاش في الانتفاضة الأولى فهو ما فقد الثقة» . موظف في شركة خاصة (من دورا) ، يرى أن «اللي بعملوا العمليات هم فاقدين الثقة في كل المؤسسات ، هم بشكل قاطع فاقدين الثقة ، أما الشباب المنتفضين اللي بضربوا حجارة أو مولوتوف وبيشاركوا في المسيرات والمظاهرات هم غير فاقدين الثقة بشكل قاطع . . . .بالنسبة إلهم عليهم واجب إنهم يعملوا إشي في هاي المرحلة الانتفاضة وهم غير ملزمين بالاستمرار وإنهم يكملوا فيها .»

العفوية والفردية من سمات الهبّة الشبابية

أغلبية الشباب تتفق على وصف الهبّة بالعفوية والفردية وعدم التنظيم وكونها شبابية . هذا ما ذكره صالح أبو شرار من مخيم العروب ، وكذلك أيمن عبد ربه من مخيم الدهيشة الذي اعتبر أن «الشباب تتحرك من دافع ذاتي دون الاستماع أو الانجرار وراء سياسات رسمية مانعة للانتفاضة» . ووصفت مروى عساف من بيت جالا ، الهبّة بأنها «انتفاضة حرة غير منظمة ، مش مدعومة من حد . . . كلهم فئة الشباب حتى الصغار بطلعوا فيها . . . حتى الصبايا شاركوا في الهبّة .» وقال حمدان زواهرة من مخيم الدهيشة : «في الوقت الحالي الهبّة خفّت بشكل كبير ، تقريباً انتهت ووقفت . . .» . بينما وصفتها طالبة في جامعة البولتكنيك من مدينة الخليل (مجموعة بؤرية 2) : «بنظري هاي الهبّة مثل أسد كان نايم وصحي ، الشعب الفلسطيني أسد كان نايم وفاق وعاود نام . صحي لأنه حقه مهدور .»

الشاب إبراهيم أبو لبن من مخيم الدهيشة أكد السمة الفردية للهبّة وأنها «هبّة نقية . . .بدأت من الشعب ورح تستمر من الشعب للحفاظ على الأسس الوطنية الفلسطينية» . وهو ما كرره الشاب محمد يوسف من مخيم عايدة ، إذ اعتبرها هبّة «شعبية بحته ، لا يوجد للتنظيمات خير أو فضل على هذه الهبّة من يمينها إلى يسارها ، همّهم الكرسي والمصاري والسلطة والجاه والتنفذ في البلد .» وفصلت سماتها الطالبة دالية لهاليه كالتالي : « . . . عمر أكثر حد عمل عملية 24 سنة والعمر المتوسط كان بين 19 و22 عاماً . الأدوات المستخدمة في الهبّة فقيرة مثل الحجارة

والسكاكين والعمليات المسلحة كانت قليلة ومحدودة . امتازت هذه الهبّة بأنها كانت تخطيط بين اثنين أصدقاء أو أقارب . . . بتلاقي كثير من المناطق أخذت حصة أو دور أكثر من غيرها خصوصاً منطقة الخليل في بداية الهبّة ، وقرية سعير التي قدمت 12 شهيداً ، إجمالاً العمليات التي كانت تقع انتقام ، انتقام لحد استشهد قريب أو صديق . . . ، أما العمليات المزدوجة كانت تكون مع أقارب أو أخوة وأصدقاء . . . وجود منطقة عصيون بيكون فيها احتكاك بين عرب ومستوطنين بيكون في سهولة لتنفيذ عمليات دهس ، أما دوار بيت عنون ففي منطقة سكنية قريبة من الحاجز العسكري هاي أقرب منطقة وأسهل لوصول الشباب لتنفيذ عمليات طعن ، خصوصاً بعد استشهاد رائد جردات هو أول شهيد من سعير في هذه الهبّة .»

رأت الطالبة في جامعة بيرزيت من الجنوب ، أن «استخدام مصطلح الهبّة أفضل من انتفاضة ، الهبّة بطبيعتها تأتي بشكل سريع متناثر ، أما الثورة فبتكون منظمة ، الهبّة بتكون عبارة عن غضب بشكل عفوي ، وهي طريقة صغار السن ، الشباب الصغار . . . والهبّة بتلائم الفئة الصغيرة من ناحية فيسيولوجية . . . الهبّة ما بتاخذ مكان محدد . . .الضفة القدس قطاع غزة . بالنسبة إلي الهبّة غير ناضجة لأنه ما في وعي متكامل ، لأنه تم فقد الثقة مع المستويات الرسمية والشعبية . . . . . وجود الهبّة في الضفة ضمن منحى أقل وطنية مما هي عليه في القدس ؛ وذلك يعود إلى غياب السلطة ومؤسسات NGOs في القدس كمان ما في احتكاك مباشر مع أجهزة الأمن الفلسطينية .» الموظفة الحكومية من مدينة الخليل قالت : «في الخليل المظاهرات بتجاه رأس الجورة كانت بدعوة من «حماس» من مسجد الحسين إلى رأس الجورة وهي غالباً يوم الجمعة بعد الصلاة ، أما المظاهرات بتجاه دوار ابن رشد والبلدية كانت تنظمها «فتح» ، وفي تحركات . . . . كانت من قبل محافظ محافظة الخليل مثل دعوة إلى استرداد جثامين الشهداء . . . . . ميزات الهبّة [أن] ولا حزب قادر يحتويها ، وهي جاءت بمبادرات فردية ومرات الفصائل بتستغل الوضع ، بتستغل العمل الفردي ، الناس مش قادرين تسميها انتفاضة ، هبّة ، أو إيش هي» . الموظف في الشركة الخاصة من دورا فقال : «ما في حدا دعمها مادياً وبسلاح ، أغلب الأسلحة بدائية وفي متناول الجميع زي السكاكين . . . مش عارف إنها رح تستمر ولاّ محدودة . . . حتى اليهود مش عارفين إنها رح تستمر ، من تاريخنا ومن السيناريو اللي مرينا فيه ، بتبين أنها محدودة لفترة ورح تخلص إلا إذا لقيت دعم غير الدعم الإعلامي . مثلاً دعم «حماس» للهبّة هو دعم إعلامي بحت فقط .» وهو رأي طالبة في جامعة بيت لحم (مجموعة بؤرية 1) رأت أنها هبّة «غير منظمة ، في تضامن في الجنازات والمظاهرات ، فيها بعد انتحاري أكثر عند الإناث ، وانحراف بوصلة العلميات حيث أصبحت أسباب العمليات اجتماعية .»

نظرة سلبية إلى المؤسسات العامة والخاصة والأهلية ، وتقييم إيجابي لحملة المقاطعة

أغلبية الشباب قيّمت المؤسسات الرسمية وغير الرسمية تقييماً سلبياً على ضوء الهبّة الشبابية . يعود ذلك إلى أن هذه المؤسسات لم تدعم الهبّة . أيمن عبد ربه من مخيم الدهيشة قال : «الحزب الحاكم هو حركة «فتح» وهي الممثلة الرسمية للسلطة الفلسطينية ومنظمة التحرير ، ومعظم المؤسسات أو كل المؤسسات تابعة لحركة «فتح» ، وسياسة حركة «فتح» انبطاحية . . . المؤسسات لا تعمل لصالح الشعب ، وهي لازم تكون أقرب وتلامس قضايا الشعب . . . . .» بينما اعتبر الطالب من مخيم الدهيشة أن «المؤسسة الحكومية الموجودة مؤسسة للنهب والسرقة فقط لا غير ، بالنسبة للتنظيمات حسب ما بعرف إنها مع الهبّة الجماهيرية بس فش أي فصيل

قدر يحرك الهبّة بالشكل الصحيح عشان تستمر . وهذا سبب أن الهبّة الجماهيرية في خمول ، الاتحادات والنقابات ومؤسسات المجتمع المدني ما سمعت إنهم عملوا أي موضوع بخصوص الهبّة أو إنهم يساعدوا بإشي .» وهذا أيضاً ما أشار إليه شاب من أصول مقدسية يسكن ويدرس في بيت لحم (مجموعة بؤرية 1) : «NGOs ملك البلد ، عبّد شارع واشتري وطن! المؤسسات الرسمية عاجزة عن تأدية دورها ، ومؤسسات NGOs في إلها خطة واستراتيجيات وأجندات وبده يطبقه .» ورأى محمد يوسف من مخيم عايدة «أن مؤسسات السلطة والأحزاب تخلوا عن دورهم ويجب إعادتهم إلى الطريق السليم ، بدون هذه المؤسسات لن يتغير شيء ، الكل يجب أن يكون في الميدان ، بدون هذه الفواعل لا يمكن التحرير .» الطالبة دالية لهاليه ترى أن «وجود أو عدم وجود المؤسسات الرسمية وغير الرسمية صار واحد . . في كثير من الأحيان بتشكل عائق على استمرار الهبّة . . .» وتمنى حمدان زواهرة من مخيم الدهيشة «أن المؤسسات الرسمية وغير الرسمية ما تتبنى الهبّة الشعبية . . . . . حتى تستمر وتحقيق المطالب المرجوة .»

طالب جامعي رأى أن «الأحزاب الإسلامية تدعو إلى الهبّة الجماهيرية من منظور كسب عاطفة شعب كامل . . . وذلك من أجل مصلحتهم الحزبية عند خوض الانتخابات . أما بالنسبة لحركة «فتح» كسياسيين وأصحاب نفوذ لديهم وعي عال لأبعاد الهبّة الجماهيرية وكثيراً نادوا بإيقاف الهبّة من أجل المصلحة العامة ولأنهم يعلمون مدى قدرات الشعب الفلسطيني ، أما منظمات المجتمع المدني فأسمي أهدافها كسب عاطفة الشعب الفلسطيني . . . .» الطالبة في جامعة بيرزيت رأت أن «السلطة عبرت عن موقفها التخاذلي رسمياً خصوصاً ما جرى في لقاء أبو مازن الأخير مع التلفاز الإسرائيلي ، خطابات الأخير أثارت الشارع الفلسطيني ولو قيلت في مكان ثاني أو وقت ثاني وما في هبّة كان يمكن أطاحت في السلطة .»

وأشارت الموظفة الحكومية من مدينة الخليل إلى كون «جزء من مؤسسات السلطة بحاول يضبط الشارع عشان ما يروح لمرحلة المواجهة الشاملة مثل الانتفاضة الثانية ، كمان السلطة بتتعامل مع مجلس السلم الأهلي والغرف التجارية لضبط الشارع ، والفصائل غير معنية بالتصعيد عشان عندها مصالحها مثلاً «حماس» في الخليل بتحسها مؤسسة رأسمالية إلها استثمارات بالخليل ما بتقدر تضحي فيها وتسكر (وتغلق) وتمنع التجول على تجاراتها .» الموظف في شركة خاصة من منطقة دورا له رأي مختلف إذ يعتبر «أن مؤسسات السلطة تستخدم القانون الموجود وصلاحياتها وما هو مسموح لها باستخدامه ، عشان تعمل واجباتها القانونية ، مثلاً اللي استشهد في الخليل واللي صوروه ، استخدمت السلطة القانون الدولي والإعلام من أجل توثيق التجربة فقط ، عملوا المطلوب منهم وما زاد ، أو ينظموا عزاء تضامن فقط .» طالبة جامعية من مخيم العزة (مجموعة بؤرية 1) اعتبرت أن «مؤسسات السلطة لاشك أنها فاشلة ، دورها مغيّب بشكل كامل في الهبّة ، بتحمل رؤية الجهات الداعمة والمانحة وهاي الجهات ضد الهبّة ومع «عملية السلام» ، ونظام المؤسسات الحكومية تسلطي . الأحزاب دورها واضح غير فاعل أبداً ، أما BDS كانت ناجحة وأثرت على الاقتصاد الإسرائيلي .» وأشارت

طالبة (جامعة البولتكنيك) من مدينة الخليل (مجموعة بؤرية 2) قالت : «أنا مع وجودهم [المؤسسات] وضد آراءهم ، أنا مع وجودهم كمؤسسات لأنه إشي طبيعي يكونوا موجودين بس لو

أراؤهم إيجابية وصحيحة كان بقدموا للمجتمع إشي منيح ، مثلاً «فتح» و«حماس» كل واحد اتجاهه الفكري مختلف مما أثر على أفراد المجتمع وعمل انقسام ، لو ما في انقسام بتكون الهبّة قوية .»

انعدام العدالة والمساواة تأثيرهما جزئي على الشباب ؛ شباب الطبقة الوسطى والمهمشة هم المشاركين في الهبّة

رأى بعض من الشباب أن انعدام العدالة والمساواة الاجتماعية قد يحفز الشباب إلى القيام بعمل انتفاضي ضد الاحتلال ، وذلك ناجم عن حالة الإحباط واليأس والبطالة وانعدام الفرص ، بينما رأى قسم آخر من الشباب عكس ذلك .

وجد صالح أبو شرار (من مخيم العروب) ، أن«هناك دوافع وطنية لا علاقة لها بالمساواة والعدالة تدفع الشباب للقيام بعمل انتفاضي ، لو مش لاقي شغل أو مش عايش منيح يتم ربطه بانعدام العدالة والمساواة .» ورأت طالبة في جامعة بيرزيت أن «المتعارف عليه . . . أن الراغبين في الانتفاض هم الفئة المسيّسة من فئة الطلاب والفلاحين والعمال ، انعدام المساواة في المجتمع ككل هو بخلّي [يجعل] الأفراد يعملوا عمليات . . . كمان الوعي الثوري له دور . فمثلاً انعدام المساواة في المخيمات والوعي خلّى المخيمات مشاركة في الهبّة أكثر .» واعتبرت طالبة في البولتكنيك من مدينة الخليل (مجموعة بؤرية 2) أن «الطبقات الوسطى والدنيا هي اللي بتشارك في الهبّة ، الطبقات الوسطى مش كلها يعني أجزاء منها اللي بشاركوا . يعني اللي بتقاضى راتب من مؤسسات حكومية أو غير حكومية ما بشارك في الهبّة ، انعدام العدالة بأثر على الشباب كثير . شباب كان ينزل انتحار طافش من الحياة . هذا شفته على مواقع التواصل الاجتماعي ، يمكن يكون انعدام العدالة والمساواة حافز لتنفيذ عملية .»

وبحسب رأي حمدان زواهرة من مخيم الدهيشة أنه «إللي سبّب هاي الشغلة مشاكل كثيرة في المجتمع اللي هي السلطة ، والسلطة هي «فتح» ، السلطة هي اللي بتوظف . ما في مساواة وعدل بس بكون حكي على التلفزة عشان رفع المعنويات . . . لما الواحد يوصل مرحلة اليأس بعمر 25 ومش عامل إشي بحياته بخليه يعمل إشي وما يسأل عن النتيجة بروح يموت .» وفي رأي محمد يوسف من مخيم عايدة فإن «الهبّة أثبتت أنه لا يوجد عدالة أو مساواة ، البرجوازيين احتلوا البلد ، المصري [منيب المصري] يحتل 35% من الاقتصاد الوطني ، لا سلطة بتقدر تحكي معه ولا الفصائل ، لأنه آلاف العاملين رح يصفوا في الشارع ، لأن ما في اقتصاد محترم . عندما لا يكون عندي عمل ومتزوج وابن فلان قبل التخرج بكون وظيفته جاهزة مع إني بكون أكفأ منه هذا الحكي ينعكس على الشارع .»

الطالبة مروى عساف (جامعة بيت لحم) ، ترى غير ذلك ، تقول : «بالنسبة إلي المساواة مش دافع إنهم يطلعوا في الانتفاضة . . . الدافع الأساسي الدفاع عن الأرض والعرض والمقدسات ، بينما المساواة والعدالة الاجتماعية ما بطلع عشان هدول لو بدي أطلع بطلع ضد السلطة مش ضد الاحتلال . . . الانتفاضة تراكم لعدد من الأشياء : وضع اقتصادي سيئ ، حرمان الدخول إلى الأقصى ، ومصادرة الأرض .» ويؤكد الفكرة ذاتها الطالب الجامعي إبراهيم أبو لبن (مخيم الدهيشة) إذ يقول : «بالنسبة إلي ما كانت العدالة الاجتماعية والمساواة من مسببات الهبّة ،

والحكومة الفلسطينية هي متحملة مسؤولية المؤسسات الاجتماعية إلى حد ما . . . أغلب المشاركين في الهبّة الشعبية هم أبناء المخيمات . . . وهم من الطبقة الوسطى ، والطبقة الفقيرة هي المتبنية الهبّة . وظيفة متخذي القرار (يجب أن تتوجه نحو) أنهم يخلّوا هاي الهبّة الشعبية تضم كل فئات الشعب وكل طبقاته وتكون لكل الفئات الفقيرة والمتوسطة ورؤوس الأموال .» ويضيف الموظف في شركة خاصة من منطقة دورا أن «الطبقة الغنية البرجوازية أصلاً ما بتابع الأحداث وبيكون ما بدها يصير خلل عشان ما تضرر مصالحها ، والانتفاضة رح تدمر الاقتصاد وهم ما بقدروا يوقفوها لكن ما بشاركوا فيها ، اللي بشارك في الهبّة بعمل لقناعته أنو المخلّي [من الذي يتيح] البرجوازيين مهيمنين على البلد هو الاحتلال ، بالإضافة إلى إنو الشغلة دينية والوضع الاقتصادي زفت ، أغلب المشاركين هم أولاد تحت 22 عام . اللي ما بشاركوا في الانتفاضة هم المعلمين وأصحاب الوظائف الحكومية والعمال في إسرائيل ، المشاركين هم طلاب من المدارس ومن السنافر [طلاب الجامعات الجدد] ، أما الخريجين الجامعيين فنسبتهم قليلة وهم العاطلين عن العمل .» وتضيف الموظفة الحكومية (مدينة الخليل) : « . . . كثير شباب عملوا عمليات كانوا من عائلات مرتاحة مادياً وضعهم اجتماعياً كثير منيح مثل ماهر الهشلمون ، في شهداء ومقاومين مش مهمشين لكنهم عملوا عمليات ، هم شايفين هاي طريقتهم لمقاومة الاحتلال . شباب سعير قال التقرير الإسرائيلي إنهم عاطلين عن العمل لذلك عملوا عمليات ، لكن ما بعرف شو الحقيقة .»

بعض الشباب رأى أن ظاهرة الاستهلاك الاستعراضي والفجوة الطبقية لا تؤثر على سلوك الشباب إزاء المشاركة في الهبّة ، بينما رأى بعض آخر أنها تؤثر من حيث إنها تحدد الفئات المشاركة . الطالبة في جامعة بيت لحم (مجموعة بؤرية 1) رأت أن الحالة الطبقية «ما إلها علاقة . في كثير شباب راحوا وعملوا عمليات ووضعهم الاقتصادي منيح [جيد] ، وفي كثير ناس وضعهم بسيط عملوا عمليات عشان الوطن ، شباب الطبقة الوسطى الدنيا هم اللي منخرطين في الهبّة ، وطلاب الجامعات والمدارس ، وشباب وعمال ، ومن المخيمات والقرى .» ويرأى أيمن عبد ربه (مخيم الدهيشة) أن محرك الانتفاضة هم «الفقراء والغلابة ، أما الأغنياء اللي بيهمهم المصاري وهم أبعد عن هموم الشعب وطموح الشعب نحو التحرر .» ويقول محمد يوسف (مخيم عايدة) : «أعطيني ابن الطبقات البرجوازية اللي بيروح يضرب حجر ، الفقراء والطبقة الوسطى هم الموجودين في الهبّة ، وهؤلاء (الأغنياء) أولادهم بشموا الهوى كل فترة في تركيا وأوروبا .» هذا الرأي لقي تأييداً من دالية لهاليه التي لاحظت أن المشاركة في الهبّة اقتصرت «على أبناء المخيمات والطبقات المتوسطة والفقيرة لأن الطبقات الغنية إلها مصالحها مع دولة الاحتلال . . . في مدينة الخليل التجار الخلايلة اجتمعوا مع قائد المنطقة الإسرائيلي لإيجاد حل للمشكلة وفق تسميتهم في باب الزاوية لأنها منطقة تجارية .»

ورأى حمدان زواهرة أن الاستهلاك الاستعراضي «بخلّيهم [أي : الناس] يلتهوا بشغلات بعيدة عن وضع الاحتلال ووضع السلطة ، ببطل يفكر في التحرير ، بيصير يفكر كيف يجيب سيارة ويفكر بشغلات ما إلها داعي . . .» الطالبة في جامعة بيرزيت تقول إن التأثير السلبي يقتصر على بعض الشباب : «لما يكون (الشاب) واعي ما بتأثر بهاي المفاهيم والسلوك وبقدر يتجاوز الاستعراض الاستهلاكي والفجوة الطبقية ، ولكن إذ كان الوعي قليل بأثر بالموضوع وبتساءل الشب ليش إحنا كفقراء وطبقات بسيطة وعمالية بنروح نخسر حياتنا؟ وعشان مين!» ورأت موظفة حكومية أنه

« . . .في ناس بتزداد فقر وناس بتزداد غنى ، فمثلاً الضرائب بتنشال [تؤخذ] عن الشركات الكبرى وعلى الموظف في ضريبة ، هذه الأمور بتزيد الفجوة الطبقية . . . الشباب بيحاولوا يقلصوا الفجوة ويكونوا من المجتمع الاستهلاكي . . . ولذلك يمكن أتوجه إلى إسرائيل وبصير معي مصاري . . .»

الشباب في واد والمؤسسات في واد آخر

اعتبر أغلبية الشباب الذين التقيت بهم أن الشباب في اتجاه والمؤسسات في اتجاه مناقض أو مخالف ، وشدد آخرون على غياب وجود علاقة . وبرز شبه إجماع على انعدام العلاقة بين الأطر الرسمية وغير الرسمية والهبّة الشبابية .

الطالب صالح أبو شرار (مخيم العروب) قال : «لا توجد علاقة ، لو أن هناك علاقة كان بكونوا الشباب منظمين ، وبما أنهم بشكل منفرد ولا يوجد من يتبناهم . . .الشباب غير منتمين للأحزاب ، وما بشتغلوا بمؤسسات عامة ، الأحزاب غير متحركين (من الانتماء لحركة) .» ورأى أيمن عبد ربه (مخيم الدهيشة) بوجود «علاقة متناقضة لأن أهداف الشباب تتناقض مع أهداف تلك المؤسسات .» واعتبر الطالب الثانوي من مخيم العروب (مجموعة بؤرية 2) أن «لا يوجد علاقة بين المؤسسات والشعب ، الأحزاب موقفها مقتصر على تبني الشهداء . اللجنة الشعبية إلها دور في الهبّة مثل تنظيم الفعاليات ودعم الشباب ، وما في مؤسسات ثانية في المخيم (العروب) . في النادي الشبابي بس دوره في كرة القدم ، الجامعة (جامعة الخليل) ما إلها دور فقط بتعلم الطلاب وخلص .»

حمدان زواهرة (مخيم الدهيشة) اعتبر أنه «لا يوجد علاقة ؛ جميع الشباب في الهبّة الجماهيرية ضد إنه حد يتدخل أو يوجه خصوصاً السلطة ، السلطة تمنعني أروح أضرب أو أطخ ، بالنسبة للتنظيمات كانت تدعو لمسيرات وحشودات جماهيرية للاشتباك مع العدو على خطوط التماس ، كان إلهم دور بس ما استكملوه . وقّف هذا الدور ، كل إشي إذ بدك تربطه بتربطه بالسلطة هي من يمنع أو يسمح ما بهمها الشعب شو بده .» ورأى محمد يوسف (مخيم عايدة) أن «العلاقة معدومة ، من يقول أنه يحكم الشارع هو كاذب ، خمسة أولاد بطلعوا على قبة راحيل أتحدى أي مسؤول يرجعهم أو يمون عليهم ، وذلك بسبب انعدام الثقة بين الشعب والأطر الرسمية وغير الرسمية» . تقول دالية لهاليه (من سعير) : «من ناحية الشباب ما في أي علاقة ، أما من طرف الأحزاب بتتجلى هذه الحالة في تبني الشهداء ، والمؤسسات الرسمية مثل السلطة في خلاف مع الشباب القائم على الهبة تعمل أحياناً إلى حد الاشتباك معهم ، المجتمع المدني والمؤسسات الأخرى ما إلها أي علاقة ، ويمكن تضغط على السلطة من اجل وقف الانتفاضة وقمع الشباب المنتفض .»

ورأت طالبة جامعية من مخيم العزة (مجموعة بؤرية 1) بأن «ما في علاقة بين الشباب والمؤسسات ، والحراك الماشي فيه الشعب عكس الحراك لي ماشيه فيه المؤسسات ، المؤسسات بتبحث عن المفاوضات والدولة .»

ورأت طالبة في جامعة بيرزت من الجنوب أن هناك خلافاً على الهبّة : «مختلفين على الهبّة ، وإن كان في توافق برجع للشعب ، ولو متفقين كان السلطة دعمت الهبّة ، الجهاد الإسلامي متضامن مع الهبّة من خلال إعلامه . . . «فتح» غير راغبة بوجود الهبّة لأنه برر لحركة «حماس» موقفها ، و«حماس» مش مشاركة في الهبّة الشعبية ، حماس فعلياً مش مع الهبّة وما خسرت إشي فيها ، فتح داعمة للهبّة لكن غير قادرة على إعلان ذلك .» وبحسب رأي

موظفة حكومية من مدينة الخليل فإن «المؤسسة الرسمية بتحاول تحتوي جزء من مظاهر الهبّة . مثلاً السلطة كانت أول الهبّة توجه الشباب إلى بيت إيل ، الأطر غير الرسمية غير معنيين أن تتطور الأحداث بما يشكل تهديد إلهم ، هم بشاركوا في تشييع الشهداء واسترداد جثامين الشهداء ، بس غير مستعدين إلى تسكير [إغلاق] البلد ، بحاولوا يكونوا جزء من الحالة لكن دون دفع ثمن الحالة .»

الإحساس السائد بين الشباب هو أن الفجوة الفاصلة بين الشباب والمؤسسات الرسمية وغير الرسمية مسافة كبيرة وكبيرة جداً . فقد لاحظ الطالب الجامعي صالح أبو شرار من مخيم العروب وجود اغتراب متبادل بين الشباب والمؤسسات ، فقال : «فئة الشباب ما بتحس بالانتماء للمؤسسات ، هناك اغتراب متبادل . . .» وقال أيمن عبد ربه من مخيم الدهيشة : «توجد فجوة بين الشباب والحكومة ومؤسساتها كونها لا تمس قضايا الشعب ، وتلك المؤسسات تهمش دور الشباب وأراءهم .» الشاب محمد يوسف من مخيم عايدة ، وضح : «أنا قريب من الأطر الرسمية ، من أول الهبّة ما سمعت حد من الفصائل أو من منظمة التحرير عقد جلسة أو ندوة مع الشباب يسألهم عن مطالبهم أو رؤيتهم . طيب وين رايحين؟ ما حدا بعرف .»

الموظفة الحكومية (مدينة الخليل) قالت : «ما بتقدر تحكم ، في شباب منظمين ما بكون بينهم وبين التنظيم مسافة ، لكن يمكن يكون في مسافة بين الشباب وبين قيادات تنظيمهم ، فالبتالي القيادة بتكبح فعل الشباب .»

ورأى الموظف في شركة خاصة أنه من الواضح «أن المؤسسات بدها تقوم بدورها القانوني ، يعني بتقدر تقول المؤسسات في واد والشباب في واد ، في مسافة شايفين بعض لكن ما في تواصل ، وإن كان تواصل بيكون التواصل غير مفهوم لاختلاف الأفكار والمنهج . حراك بده يحررها في يوم وليلة ، أما المؤسسات فهو حراك واعي بده يستخدم طرق قانونية . . . يعني وعي الشباب بفرق عن وعي المؤسسات .» الطالبة الجامعية من مخيم العزة (مجموعة بؤرية 1) عبرت عن رأيها بالقول : «المسافة بين الشباب والمؤسسات هي نفس المسافة ما بين السماء والأرض ، المؤسسات هدفها مادي وربح مالي أما الشباب هدفهم التغيير .»

التحرر : قضايا راهنة وبعيدة المدى . . . والشباب في تيه

ترى أغلبية الشباب من الذين التقيت بهم أن التحرر هو في الأساس التحرر من الاحتلال الإسرائيلي بكل أشكاله ، على أن يشمل تحرير الأسرى ، وعودة اللاجئين ، واستعادة جثامين الشهداء . ولم يغفل بعضهم أن التحرر يمتد ليشمل التحرر الاجتماعي والثقافي والفكري والديني . لكن لاحظ بعض الشباب اختزال التحرير إلى ما هو راهن . الطالب الجامعي صالح أبو شرار رأى أن التحرير سابقاً كان يعني «الرجوع إلى البلاد ، أما التحرير اليوم أنه الشباب ما يتم اعتقالهم ، وما يتعرض الاحتلال إلهم ، أصبح الدخول إلى القدس يعتبر تحرير ، أو إذا طلعتله تصريح يعتبر نفسه محرر .» وأوضح الطالب أيمن عبد ربه (مخيم الدهيشة) أن التحرر يشمل «التحرر الفكري والمجتمعي ، والخروج عن الدائرة الطبقية التي تقيد فئة الشباب وتصرفاتهم وأعمالهم وتحقيق أهدافهم . الشباب يعملون على تحقيق التحرر الآني بعمل هبّات شبابية لتحقيق أهدافهم ولا يستطيعون تحقيقها نهائياً بسبب وجود السلطة الحاكمة غير المتوازية مع أهدافهم .»

محمد يوسف (مخيم عايدة) لاحظ ضبابية أفق التحرر بسبب غياب منظمة التحرير ودور الفصائل فهو يعتقد أن «من يقول إن الشباب بعرف وين رايحين بيكون كذاب ، ولا بنعرف شو التحرر ، بنطلع بدنا نفرغ إللي جوانا إللي بنشوفه ومش عارفين وين رايحين ، لأنه بدون منظمة التحرير والفصائل تكون موجودة وترسم وين رايحين نحن لا شيء ، الاحتلال شاطر بيعرف أيش بعمل . . . . هم بيخلوك تلتهي وتنسى ، إحنا مش ناسيين القدس والعودة ، لأنه ما في أفق سياسي . . . بنطالب بجثامين الشهداء والفعاليات انخفضت وأنا ما بسميها انتفاضة بسميها هبّة .» حمدان زواهرة ميّز بين هدف التحرر الآني وهدف التحرير الوطني الجمعي ، وقال : «التحرر هو التحرر من الاحتلال والعدو وتحرير الأرض ، ثم التحرر الاجتماعي . . . . . المهم الواحد يطالب أنه الجثامين تتسلم ، والإداري يروّح هاي بتساعد على التحرير هي خطوات للتحرير خلال المرحلة .» الطالبة دالية لهاليه رأت أن التحرير هو التحرير الشامل لفلسطين كاملة ، وقالت : «وما في حل ثاني سواء تقسيم الوطن أو التفاوض معهم على أي مقترح ثاني .» الطالب إبراهيم أبو لبن (مخيم الدهيشة) رأى أن التحرير يكون على مراحل ، فبالنسبة إليه التحرير حالياً « . . . هو تحرير فلسطين على حدود 1967 من ناحية واقعية . . أحد سمات الهبّة الشعبية السيطرة الكاملة الفلسطينية على حدود 1967 ثم البدء في العمل على تحرير الأراضي الفلسطينية من الاحتلال على حدود 48 . . . . . ما في قيادة للانتفاضة لتحديد أهدافها .» الموظفة الحكومية (مدينة الخليل) رأت أن «التحرر مفهوم نسبي للناس . . . . والتركيز [يجري] على القضايا الآنية لأنه ما في برنامج واضح وأجندة واضحة ، وإحنا دايماً بنكون ردات فعل مش فعل ما في عنا سياسات واضحة ولا عارفين وين بدنا نروح . . . .»

الموظف في شركة خاصة رأى للتحرير ثلاثة مفاهيم : «مفهوم بدنا نطرد اليهود ونرجع أرضنا وكل إشي كان إلنا ، ومفهوم السلطة مفهوم حل الدولتين ، والثالث دولة واحدة متعددة القوميات ، وأنا بشوف الدولة الواحدة متعددة القوميات هي الحل وبظل علينا نحل مشكلة العنصرية .» بعضهم رأى التحرر (كما في حالة طالبة جامعية من مخيم العزة (مجموعة بؤرية 1) «أن أنتمي للحزب إللي بدي إياه ، وألبس إللي بدي إياه ، وأدرس إللي بدي إياه . . وأن تتحرر فلسطين من النهر إلى البحر ، ويتحرر الأسرى ، وتستعاد جثامين الشهداء ، وعودة اللاجئين مع التعويض ، والتحرر يعني إزالة الجدار .» ورأت الطالبة في جامعة البولتكنيك أن يشمل التحرر «التحرر من التخلف . . . .»

مستقبل الشباب الفلسطيني مجهول وضائع

وصف الشباب مستقبلهم بمفردات عدة شملت : انعدام الأمل ، والمهزوز ، والمضطرب ، والمشوش ، والمزعزع ، والصعب ، والمرتجف ، والمجهول ، والضائع . قال صالح أبو شرار : «لا يوجد أمل في [الحصول على] الوظيفة ، غير متوقع أتوظف ، بيدرس الواحد فقط ليحمل الشهادة ، فلسطين مثل الجنة ما فيها شغل ، مستقبل سيء ، بسبب البطالة ، طالما الاحتلال قائم فهو يؤدي إلى انعدام العدل .» وقال أيمن عبد ربه : «لا أعلم المستقبل ، [الشباب] تايهين بحاولوا يعيشوا مش زابطة معهم .» ورأى محمد يوسف أن «مستقبل الشباب إلى المجهول ، ما في أفق واضح .» وهو رأي طالب من بلدة حلحول الذي قال : «إذا بقي مستقبل الشباب الفلسطيني كما هو الآن فهو مستقبل غير مبشر إلا إذا قامت كافة المؤسسات الحزبية وغير الحزبية العامة وغير العامة في توعية الشباب الفلسطيني وإيجاد فرص عمل له .»

واعتبر الطالب في جامعة بيت لحم (مجموعة بؤرية 1) أن : «مستقبل الشباب مشوش ومزعزع» ، ووصف الطالب الثانوي من مخيم العروب وضعه : «شوفير فرشة بلاقي شغل بس مش إللي بدي إياه ، مالي مستقبل إذا بفكر في مستقبلي بيمنعني الاحتلال من السفر ، أنا مفكر أدرس تمثيل بره أنا مرفوض أمني ، لازم أمثل بره بس مش رح تزبط .» وقال الموظف في شركة خاصة : «إذا استمرت الهبّة وفي ظل الآليات المستخدمة إحنا رح نخسر الشباب ، وإللي قال العشوائية خلاّقة هو غلطان ، الأوضاع القائمة مش رح تؤدي بالشباب إلى أي مكان ما في مستقبل في ظل حرب .» أما حمدان زواهرة فرأى أن «مستقبلنا هو التحرير ، وإذا ما في تحرير ما في مستقبل ، أي هو عايش في ظروف احتلالين موجودين شو بده يكون مستقبله ، أنا انحبست (وهسا) بشتغل وبساعد في أهلي ما بقدر أسافر أو أعمل أي إشي مستقبلنا هو التحرير .» ورأى إبراهيم أبو لبن أن : «مستقبل الشباب رح يكون مشرق ، لحد اليوم الهبّة الشعبية قاعدة بتطور بشكل كبير يصب في مصلحة الشعب الفلسطيني .»

وسائل التواصل الاجتماعي محرّك ومثقّف ولكن . . .

أجمع معظم الشباب على أن وسائل التواصل الاجتماعي كان لها دور مهم في الهبّة الشبابية ، وكان دورها تثقيفياً وتعبوياً وإخبارياً . قال صالح أبو شرار إن وسائل التواصل الاجتماعي : «أصبحت المحرك بدل الأحزاب وتقوم بدور التثقيف ، أصبح الفيس بوك وسيلة تعبئة وتثقيف .» لكن محمد يوسف وصف وسائل التواصل الاجتماعي بأنها سلاح ذو حدين «ممكن ترتب الهبّات الشعبية وأكثر وسيلة مستخدمة الفيس بوك وتويتر ، كذلك بتكون مراقبة من الاحتلال . يمكن تعبر عن غضبك وتفش خلقك في الاحتلال بشكل افتراضي ، كمان الفصائل والناس بتستخدم وسائل التواصل الاجتماعي للتعبير عن نفسها .»

دالية لهاليه رأت أنه «كان لوسائل التواصل الاجتماعي المختلفة دور كبير . . . في نقل أحداث الهبّة ، وكثير كمان من الفيديوهات التي كانت تنتشرع الفيس بوك كانت محفز لاستمرار الهبّة خصوصاً فيديو الطفل أحمد مناصرة ولّد لدى العديد من الشباب المنتفضين حقد ضد الكيان الصهيوني ودفعهم للانتقام منه ، وكانت بديل سريع لنقل الأخبار إلى الناس وإيصالها بطريقة أو بأُخرى . . . وفي كمان شباب في مناطق 48 تعرض الكثير منهم للاعتقال من وراء تعليق أو منشور كتب على مواقع التواصل الاجتماعي المختلفة .» ورأى إبراهيم أبو لبن أن «وسائل التواصل الاجتماعي عملت على زيادة الترابط والتواصل الاجتماعي والوطني . . . وعلى زيادة التماسك الاجتماعي ، وأدى إلى زيادة حدوث العمليات ، ومثال على هذا الإشي فيديو أحمد مناصرة لما طخوه صار بعد بيوم من الحادث 6 عمليات . . . وطلعت مسيرات هذا صار من خلال وسائل التواصل الاجتماعي ، صارت الفيديوهات تأثر على نفسيتك وتحفزك تسوي عملية .» واعتبرت الطالبة في جامعة بيرزيت أن «وسائل التواصل الاجتماعي بتأثر في الشباب بتزيد تكاتف الشعب مع نفسه خصوصاً أنها قليلة التكلفة وملائمة للفراغ الكبير المتواجد وتم استغلال تلك الوسائل بدل المؤسسات والأحزاب ، وفيها جانب من الأمان أنه الواحد هو المستخدم وكمان ما في بديل وهي بتشكل مساحة للحديث عما نريد .»

ورأى طالب جامعي من سكان بيت لحم (مجموعة بؤرية 1) أن «وسائل التواصل الاجتماعي كان إلها تأثير على الهبّة ، وهي بديل عن الإعلام الرسمي والتقليدي ، لأنه في تناقض عند الإعلام ،

مثلاً قناة القدس بتوجه في اتجاه وفلسطين في اتجاه ، ووسائل التواصل الاجتماعي كانت بديل . كمان إلها تأثير على المستوى الخارجي للتعاطف مع القضية الفلسطينية .» لكن الموظفة الحكومية من مدينة الخليل رأت أن وسائل التواصل الاجتماعي «ما حلت محل الأحزاب ، لكن ناس بيشفوها طريقة مريحة للتعبير عن اعتراضهم ، دون الحاجة إلى النزول إلى الشارع ، وهذا أثر على مدى الاحتجاجات الشعبية إللي ممكن الناس تنفذها في الشارع ، يعني صارت الاحتجاجات الشعبية تكون عملية تحشيد عبر «الكي بورد» وما في داعي للمشاركة الميدانية .»

واعتبر الموظف في الشركة الخاصة أن لوسائل التواصل الاجتماعي «دور كبير ، استخدمتها بعض الأحزاب عشان الحشد ، والحشد بشكل غير منظم ، أغلب المشاركين في الهبّة اللي شافوه على وسائل التواصل الاجتماعي حرك مشاعرهم ، وخلاّهم [جعلهم] يطلعوا في مسيرات واحتجاجات من أجل التنفيس عن الغضب اللي بداخلهم ، حسوا أنه ما في حد بيعمل إشي وهم من خلال الوسائل التواصل الاجتماعي صاروا يعرفوا شو بصير من حواليهم ، في جزء من الناس بيعتقد أنه بأدي اللي علّي [أقوم بواجبي] بمجرد استخدام وسائل التواصل والأغلب يمكن هيك .» وقال شاب من مخيم العروب (مجموعة بؤرية 2) إن : «أكثر موقع التواصل الاجتماعي بتأثر هي الفيس بوك وأكثر إشي بأثر الفيديو والصورة أكثر من المنشور الكتابة .»

الهبّة ضد الاحتلال وتمرد على الوضع القائم

اعتبر الشباب أن الهبّة الحالية هي ضد الاحتلال الإسرائيلي وممارساته العنصرية ، وهي تعبير عن حالة اليأس والإحباط من الوضع القائم ومن حالة الركود السياسي وتراجع المشروع الوطني الفلسطيني . وهي بريق الأمل وانفراج الوضع القائم من خلال التمرد عليه والخروج عنه . وصف أيمن عبد ربه ما يجري بأنه «حراك مجموعة من الشباب لمواجهة الاحتلال بشتى الطرق والوسائل ، وتوجه عام نحو الاستمرار في النضال حتى لو كان ضعيف وغير منظم .» ووصف حمدان زواهرة الهبّة بأنها «تفريغ من كل شيء ، من الاحتلال من السلطة من المجتمع الذي نعيش فيه . . . الهبّة كانت موجودة واختفت ، ما في متابعة والسلطة ضد الهبّة الموجودة ، على مستوى الأحزاب لا يوجد متابعة .»

واعتبرها محمد يوسف أنها ناتجة عن «ضغط الاحتلال . . . ووصول المفاوضات إلى طريق مسدود . وأن ما يقوم به الاحتلال في القدس والحواجز والمضايقات والوضع الاقتصادي واللامساواة وانعدام العدالة ، أدى إلى هبّة ، هبّة شعبية فردية فش حد مسؤول عنها . . .» وقالت الشابة دالية لهاليه بأنها ترى الهبّة باعتبارها «أمل ومستقبل جديد للقضية الفلسطينية ، المرحلة التي نعيشها وخصوصاً اللي تربينا عليها والمفاهيم التي استخدمت عززت داخل الجيل الجديد مفاهيم مثل دولة إسرائيل والمفاوضات وقديش طلع الشباب الفلسطيني بيعيشوا في صراع تربوا على هذه المفاهيم لكن القضية الفلسطينية كانت موجودة وعايشة فيهم ، وخصوصاً الشباب اللي بيعيشوا في القدس بيعيشوا تناقض بينهم وبين الواقع اللي بفرض عليهم أن يتعاملوا مع الكيان . مع هيك ، خرجت الكثير من العمليات من منطقة القدس .» واعتبرت الطالبة الجامعية من غرب بيت لحم (مجموعة بؤرية 1) أن «الهبّة تعبير عن ضوء وأفق الأمل عند الشعب الفلسطيني تجاه وطنه وقضيته ، الهبّة أعادت القضية الفلسطينية إلى الصدارة بعد غيابها طويلاً ، الهبّة هدفها هز الوضع القائم ، والخروج والتمرد عليه وعدم الثبات عند

نقطة معينة ، وأكدت الهبّة أن القضية الفلسطينية لا تموت أبداً .» واعتبر إبراهيم أبو لبن أن الهبّة « . . . أدت إلى زيادة التماسك المجتمعي والوطني بين أطياف المجتمع الفلسطيني وأكدت على أهمية الهمّ الوطني والابتعاد عن المفاوضات العبثية وعلى أهمية النضال الشعبي بكافة أشكاله السلمية وغير السلمية .» ورأى الطالب من بلدة حلحول أن «الشباب بيشوفها هبّة نحو التحرر وهبّة القدس وهبّة من أجل الوصول إلى القدس .»

وسائل التغيير : الوحدة الوطنية وإعادة بناء منظمة التحرير والتوافق على برنامج للمقاومة

ركزت رؤى الشباب للخروج من الوضع القائم على الوسائل التالية : الوحدة الوطنية ، وإعادة بناء منظمة التحرير الفلسطينية ، والتوافق على برنامج مقاومة وطني ، ودعم الهبّة الشبابية .

رأى صالح أبو شرار (مخيم العروب) أن «الهبّة هي الحل للتغير ، زيادة عدد العمليات يشكل رفض الاحتلال . . . تفعيل المؤسسات الرسمية وغير الرسمية وأن تتحدد على خطة معينة من أجل التحرير .» واعتبر أيمن عبد ربه أن «الشباب مع . . . الثورة بشكل جذري لمحاربة جميع القطاعات الاجتماعية والاقتصادية والمؤسسات الفاسدة ، . . . و استنهاض الشعب والبناء من جديد .» واعتبر حمدان زواهرة أن «إمكانية التغيير أنه يكون في مصالحة . . . وإعادة بناء منظمة التحرير كما كانت سابقاً . . . ويكون في انتخابات شريفة ونزيهة ، ولما تزول السلطة بتلاقي البديل ، الشعب هو اللي بيقرر ، بدنا منظمة تحرير زي الخلق وما بدنا سلطة .»

طالبة جامعية (مخيم العزة) رأت أن التغير يجري «من خلال الوحدة الوطنية ، وتغيير جذري للنظام المؤسساتي الفلسطيني ، ونشر الوعي الوطني في المجتمع من أجل التحرر .» واعتبر الطالب الثانوي (مخيم العروب) أن «الوحدة الوطنية هي أساس ، وبناء منظمة التحرير ، والقيام بعمليات استشهادية والمقاومة بكل أشكالها ، ومقاطعة البضائع الإسرائيلية ، واحترام الآراء المختلفة ، والابتعاد عن المشاكل الفصائلية ، والمشاكل العائلية .» ورأى محمد يوسف (مخيم عايدة) أن الخروج من الوضع القائم يستدعي التطلع نحو «التحرير وإعادة تأهيل منظمة التحرير على أسس وطنية ، وانخراط كل فصائل العمل الوطني داخل المنظمة التي نعتبرها الممثل الشرعي للشعب الفلسطيني وإعطاء دور للشباب وتمثيلهم داخل أطر المنظمة والفصائل الوطنية .»

ورأت دالية لهاليه أن التغيير يجري من خلال «إعادة بناء وتشكيل الهوية الوطنية لدى الشباب الفلسطيني . . . الشباب تحلم بإعادة تنظيم الأحزاب السياسية أو تشكيل أحزاب سياسية جديدة قادرة على التواؤم والتوافق مع مطالبهم أو شو بيحلموا .» ورأت طالبة من جامعة بيرزيت (من الجنوب) أن الخروج من الوضع الحالي يجري من خلال «إعادة تفعيل منظمة التحرير الفلسطينية وتقوية الأحزاب وحل قضية الانقسام ما بين «فتح» و«حماس» .» واعتبرت الموظفة الحكومية أن الخلاص الوطني يكون عبر اعتماد «برنامج وطني موحد يطرح سياسات واضحة يجمع الفصائل تحت مظلته والشباب أيضاً ، وبنفس الوقت يتم وقف فصل الضفة عن غزة سياسياً .» ورأى الموظف في شركة خاصة أن المدخل يكون عبر إجراء «تنظيم داخلي شامل قبل التفكير في حل القضية الكبرى ، أهم إشي للتحرر وفق وجهة نظري هو الوعي ، بعواقب الأمور ، يعني بدنا نخطط ونتعلم من الأخطاء السابقة . وما نخلي الدول

الخارجية تتدخل فينا . فحركة «حماس» مدخلة قطر عشان الدعم كمان تركيا . و«فتح» مدخلة السعودية ، أي دولة بدها تدعمنا مش عشان زراق عيوننا وإنما لأجنداتها اللي في الغالب متعارضة مع الأجندة الفلسطينية .»

خلاصة واستنتاجات

برز شبه إجماع على أن المحرك الرئيسي للعمل الانتفاضي الشبابي ، ارتبط بالانتهاكات الإسرائيلية للمسجد الأقصى ، ومجمل السياسات الإسرائيلية القمعية والعنصرية . وبعضهم أشار إلى تراكم الغضب الناجم عن إحراق الطفل محمد أبو خضير سنة 2014 وإحراق عائلة دوابشة سنة 2015 . ورأى بعض آخر أن الأوضاع الاقتصادية السيئة وما يرتبط بها من بطالة وفقر هي من محركات الانتفاض ، إلى جانب انغلاق أفق التسوية السياسية . ولم تخلُ الإشارة من بعضهم إلى دوافع ذاتية عند بعض الشباب للقيام بعمل استشهادي .

أغلبية الشباب عبروا عن فقدانهم الثقة بمؤسسات السلطة الفلسطينية وبمنظمة التحرير وبالأحزاب السياسية والاتحادات وغيرها من المؤسسات الاجتماعية . ومنهم من شدد على دور السلطة الفلسطينية وخصوصاً الأجهزة الأمنية في منع الشباب من الاقتراب من خطوط التماس ، ومن غياب الدعم الرسمي للهبّة الشبابية ، وغياب دور للمؤسسات والأطر غير الرسمية . واعتبروا أن دور الأحزاب اقتصر على التسابق على تبني الشهداء وعلى المشاركة في الجنازات والتظاهرات والمسيرات والوقفات التضامنية .

جرى توصيف الهبّة الشبابية بأنها : عفوية ، وفجائية ، وغير منظمة ، وعشوائية ، وفردية ، واستخدامها للأدوات المتاحة مثل السكاكين والمفكات والسيارات . هناك من وصفها بالقوية وهناك من وصف بالضعيفة بسبب غياب الأحزاب السياسية عنها . إحدى أبرز سمات هذه الهبّة اغتراب الأحزاب السياسية عنها ، والتي كانت دوماً تتصدر الانتفاضات الفلسطينية السابقة ، ومن سماتها غياب التنظيم والعفوية وعدم التخطيط ، وهي من عوامل قوة وضعف هذه الهبّة في آن ، وهذا قد يعني أن وتيرتها تشتد وتعود تنخفض ثم تشتد من جديد بصورة مفاجئة .

التقييم العام لدور المؤسسات الرسمية وغير الرسمية تجاه الهبّة الشبابية سلبي ، لأن جميع هذه المؤسسات لم تدعم الهبّة ، وأغلبيتها وقفت موقف المتفرج واللامبالي منها . واعتبرت أنها مؤسسات لا تخدم مصلحة الشعب ، وبعضها محكوم بأجندات وسياسات الممولين ، وأنها بعيدة عن هموم الشعب . أما حركة المقاطعة BDS ، نالت تقييماً إيجابياً من الشباب .

رأى بعض الشباب أن انعدام العدالة والمساواة الاجتماعية قد تدفع الشباب إلى القيام بعمل انتفاضي ضد الاحتلال ، وذلك ناجم عن حالة الإحباط واليأس والبطالة وانعدام الفرص ، كشكل من الخلاص الفردي من الغبن الاجتماعي ؛ لكن بعض آخر رأى أن انعدام العدالة والمساواة لا يدفع الشباب إلى القيام بعمل انتفاضي انطلاقاً من مبدأ : التضحية مِن أجل مَن؟

برزت فجوة واسعة بين الهبّة والمؤسسات ، وبرز التركيز على سمتها الفردية وغير المنظمة والعشوائية جراء غياب المؤسسات الداعمة والحاضنة للهبّة الشبابية .

يتفق أغلبية الشباب أن التحرير يكون بالأساس بالخلاص من الاحتلال الإسرائيلي ، بعضهم رأى أنه تحرير للأراضي التي احتلت سنة 1967 ، وبعض آخر رأى أنه تحرير لكل فلسطين التاريخية ، وآخرون رأوا التحرير عبر قيام حل الدولة الديمقراطية الواحدة على أرض فلسطين لكل مواطنيها . إلى جانب التحرر من الاحتلال جرى التأكيد على أن التحرر يشمل تحرير الأسرى ، وعودة اللاجئين ، واستعادة جثامين الشهداء . ولم يغفل بعضهم عن أن التحرر لا يقتصر على التحرر من الاحتلال وإنما هو يمتد ليشمل التحرر الاجتماعي والثقافي والفكري والديني . المضمون الشامل للتحرر يعكس تعددية المجتمع الفلسطيني ووعيه التنويري .

وصف العديد من الشباب مستقبلهم بالمفردات التالية : انعدام الأمل ، والمهزوز ، والمضطرب ، والمشوش ، والمزعزع ، والصعب ، والمرتجف ، والمجهول ، والضائع . رأى بعض الشباب أن أشكال الاستهلاك الاستعراضي والتمايزات الطبقية ليس لها علاقة مباشرة بالعمل الانتفاضي ، بدليل استشهاد أفراد من أسر ذات أوضاع اجتماعية واقتصادية مريحة ، في حين ركّز بعض آخر على أن معظم المشاركين في الهبّة هم من الطبقة الوسطى الدنيا غير المرتبطين وظائفياً وماليا بمؤسسات رسمية أو غير رسمية ، ومن الطبقات الدنيا والفقيرة والمهمشين . واعتبروا أن همّ الطبقات العليا والبرجوازية الغنية الوحيد مصالحهم الشخصية والاقتصادية .

أجمعت أغلبية الشباب على أن وسائل التواصل الاجتماعي كان لها دور مهم جداً في الهبّة الشبابية ، وكان دورها تثقيفياً وتعبوياً وإخبارياً . ورأى بعضهم أن وسائل التواصل الاجتماعي كانت المحرك للقيام بعمليات انتفاضية . وقد عززت وسائل التواصل الاجتماعي عمليات الحشد والتظاهر والتجمع عند خطوط التماس من قبل الدعوات على مواقع التواصل الاجتماعي ، وقامت وسائل التواصل الاجتماعي بنقل الخبر والصورة بسرعة فائقة من قلب الحدث ، وأصبح أغلبية الشباب تقوم بدور الصحافي الميداني . ثم أتاحت مواقع التواصل الاجتماعي مساحة كافية للنشطاء الشباب للتعبير عن آرائهم وتفريغ احتقانهم . ومن الأدلة على أهمية مواقع التواصل الاجتماعي محاولة أجهزة الأمن الإسرائيلية اختراق العديد من المواقع والصفحات الاجتماعية بأسماء مزورة ، واعتقال عدد من الشباب كونهم نشروا مواد وتصريحات على صفحاتهم . ومن مميزات مواقع التواصل الاجتماعي ، أنها متاحة للجميع وشبه مجانية ويمكن استخدامها من خلال الهاتف الذكي مما يعني ارتباط الشباب بها بصورة كبيرة . لكن تضمنت ملاحظات الشباب إشارات إلى سلبيات الاعتماد الشديد على وسائل التواصل الاجتماعي وإغفال التنظيم والتواصل الفعلي على الأرض .

يفهم الشباب أن هذه الهبّة هي ضد الاحتلال الإسرائيلي وممارساته العنصرية ، وأنها تعبير عن حالة اليأس والإحباط من الوضع القائم ومن حالة الركود السياسي وتراجع المشروع الوطني الفلسطيني . رغم هذا رأى فيها بعضهم بريق الأمل و«تمرداً على الواقع وخروجاً عنه .

عبّر الشباب عن رؤيتهم للخروج من الوضع القائم عبر الأدوات التالية : الوحدة الوطنية ، وإعادة بناء منظمة التحرير الفلسطينية ، والتوافق على برنامج مقاومة وطني ، ودعم الهبّة الشبابية . بعضهم طالب بحل السلطة ، بينما آخرون طالبوا بتعديل البرامج والاستراتيجيات التي تتبناها جميع المؤسسات ومنها السلطة والأحزاب ، والاهتمام بتثقيف وتوعية الشباب .

ملحق رقم (1)

أسئلة المقابلات والمجموعات البؤرية

1. ما هو المحرك أو الشرارة للقيام بعمل انتفاضي شبابي؟
2. هل فقد الشباب والفئات النشطة في الهبّة الشبابية الثقة بالمؤسسات الرسمية والشعبية التقليدية؟ ولماذا؟
3. ما هي طبيعة التحركات الجديدة التي تحدث خارج الأطر الرسمية وغير الرسمية؟ وما هي ماهيتها؟
4. ما هي نظرتكم إلى مؤسسات السلطة ، ومنظمة التحرير الفلسطينية (م .ت .ف) ، والاتحادات الشعبية والنقابات المهنية ، والتنظيمات السياسية؟
5. ما هو أثر انعدام المساواة وانعدام العدالة الاجتماعية على المجتمع الفلسطيني ومكوناته الاجتماعية وخصوصاً الشبابية منها؟
6. ما هي طبيعة العلاقة بين الهبّة الشبابية وفاعليها مع الأطر الرسمية وغير الرسمية الفلسطينية؟
7. ما هو مفهوم الشباب للتحرر الفلسطيني؟ ولماذا يجري التركيز على القضايا الآنية وليس على الأهداف الكبرى للحل النهائي؟
8. ما هي المسافة بين فئة الشباب والمؤسسات الرسمية وغير الرسمية التقليدية؟
9. ما هو مستقبل الشباب الفلسطيني؟ ولماذا هو كذلك؟
10. ما هو أثر ظاهرة الاستهلاك الاستعراضي والفجوة الطبقية على فئة الشباب؟
11. كيف ينظر الشباب إلى وسائل التواصل الاجتماعي؟ وهل هي بديل للتحرك الوطني بدل الأحزاب والاتحادات والنقابات؟ ولماذا؟
12. كيف يفهم الشباب ما يدور حولهم من أحداث؟
13. ما هي رؤية الشباب للتغيير؟ ولماذا هي كذلك؟

ملحق رقم (2)
المقابلات والمجموعات الحوارية

المقابلات

1. صالح أبو شرار ، طالب في جامعة بيت لحم/مخيم العروب ، 19 عاماً . ناشط ورفيق شهيد . تاريخ المقابلة 2016/3/14 .
2. أيمن عبد ربه ، ناشط وصديق شهيد/مخيم الدهيشة ، 20 عاماً . تاريخ المقابلة 2016/3/14 .
3. حمدان زواهرة ، شقيق الشهيد معتز زواهرة/مخيم الدهيشة ، 24 عاماً . تاريخ المقابلة 2016/3/14 .
4. محمد يوسف ، طالب جامعي ، وناشط/مخيم عايدة ، 35 عاماً . تاريخ المقابلة 2016/3/15 .
5. دالية لهاليه ، طالبة خدمة اجتماعية ، وناشطة في الهبّة/بلدة سعير ، 22 عاماً . تاريخ المقابلة 2016/3/18 .
6. مروى عساف ، طالبة في جامعة بيت لحم/بيت جالا ، 20 عاماً . تاريخ المقابلة 201/3/18 .
7. إبراهيم أبو لبن ، ناشط في الهبّة وصديق شهيد وأسير في الهبّة/مخيم الدهيشة ، 22 عاماً . تاريخ المقابلة 2016/3/18 .
8. طالب جامعي ، صديق الشهيد حسن البو/حلحول ، 23 عاماً . (بدون تاريخ)
9. طالبة في جامعة بيرزيت/من دورا قرية الطبقة ، 24 عاماً . تاريخ المقابلة2016/4/12 .
10. موظفة حكومية وخريجة دراسات عليا/ مدينة الخليل ، تاريخ المقابلة 2016/4/13 .
11. خريج جامعي ، يعمل في شركة خاصة من دورا/ الخليل ، 24 عاماً . تاريخ المقابلة 2016/4/14 .

المجموعات الحوارية (البؤرية)

المجموعة الأولى : مكونة من 3 شباب و3 شابات . جرى اللقاء بتاريخ 2016/4/23 في جامعة بيت لحم .

المجموعة الثانية : المجموعة مكونة من 4 شباب و3 شابات . جرى اللقاء بتاريخ 2016/4/21 في مقر اللجنة الشعبية- مخيم العروب/ الخليل .

الهبّة الشبابية ومدلولاتها السياسية والاجتماعية ؛ بحث ميداني في منطقة رام الله

عايدة الحجار

مقدمة

لم يختلف الفلسطينيون من كتّاب ومحللين وأكاديميين في الفترة الأخيرة مثلما اختلفوا على توصيف الوضع القائم والمواجهة الأخيرة مع الاحتلال الإسرائيلي ،والتي بدأت في مطلع تشرين الأول/أكتوبر الماضي بهبّة شبابية . يبدأ الاختلاف بتسميتها مروراً بأسباب الشباب ودوافعهم ، وأهداف هذه المواجهة ، وأخيرًا ، تأثيرها على الحركة السياسية الفلسطينية .

لم تكن الهبّة الشبابية التي انطلقت من مدينة القدس ، ثم امتدت إلى باقي المدن ، وليدة الصدفة ، بل نتاج طبيعي لسلسلة من التراكمات السياسية والممارسات الإسرائيلية التعسفية ، فانسداد الأفق السياسي أمام الفلسطينيين ، والجرائم التي قام بها المستوطنون من حرق لعائلة الدوابشة ، وقبلها حرق الطفل خضير ، واستفزاز مشاعر المواطنين باقتحام ساحات المسجد الأقصى ، دفع بشباب فلسطينيين إلى تصعيد مقاومتهم للاحتلال .

يسعى هذا البحث من خلال العمل الميداني لاستكشاف آراء الشريحة الفاعلة والنشطة في هذه الهبّة الشبابية ، في محاولة لوضعها في سياقها السياسي والاجتماعي والديمغرافي السليم ، والبحث عن دوافع هذه الهبّة الشبابية ومسبباتها ، ليتسنى معرفة تأثيرها وأبعادها على الحركة الوطنية الفلسطينية في مواجهتها لهذا الاحتلال الاستيطاني العنصري الكولونيالي .

تنبع أهمية هذا البحث من خصوصية هذه المواجهة التي تتميز عن سابقتها بسمات خاصة ، سواء بطبيعة هذه المواجهة أو شكلها ، ودرجة حدتها ، أو بأدواتها وفاعليها ، لذلك كان لا بد من عملية مسح ميداني للوقوف على مجريات الأحداث ، ومحاولة فهم محرك الشباب الفلسطيني عن قرب ، وتحديد وجهة نظرهم تجاه المؤسسات الرسمية الفلسطينية ، وموقعها في هذه الهبّة الشبابية ، وتطلعات هؤلاء الشباب ورؤيتهم للتغير والتحرر .

المنهجية

أجرت الباحثة بحثها الميداني باستخدام المقابلات الفردية ، وحلقات نقاش لمجموعات مركزة ، حيث تم إعداد خطة تحتوي على أسئلة معينة ، يتم طرحها على الشباب . الأسئلة وإن كان مضمونها واحداً ، تعددت صياغتها لتتناسب مع كل مبحوث ، مستهدفةً الفئة الشابة ممن تتراوح أعمارهم بين 15 و30 عاماً ، وسعت الباحثة إلى التركيز على الشريحة النشطة والمشاركة في الهبّة الشبابية . خصّت الدراسة منطقة رام الله ، وتحديداً أماكن التّماس والاشتباك الدائم مع الاحتلال الإسرائيلي . وبالإضافة إلى رام الله المدينة ، جرت لقاءات مع شباب في مخيم قلنديا ومخيم الجلزون وسلواد وجامعة بيرزيت .

بلغ عدد الشباب في المقابلات الفردية والمجموعات الحوارية 16 عينة ، تسع مقابلات فردية ، ومجموعتان مركّزتان (حواريتان) . أغلب الشريحة كانت مع الشباب الذكور ، إضافة إلى مقابلة واحدة مع شابة أنثى ، وهذه النسبة المتدنية لمشاركة الفتيات في الدراسة ناتجة عن رفض الأغلبية الكبرى منهنّ – خاصة المشاركات في الهبّة – التحدثَ ، وكانت هذه إحدى الصعوبات التي واجهت الباحثة في عملها الميداني ، لكن هذه النسبة لا تعكس خللاً في نتائج الدراسة كون موضوع البحث لا يتأثر كثيراً بجنس العينة المبحوثة .

يختلف التحصيل العلمي والأكاديمي لدى أفراد العينة الشبابية الذين أجريت المقابلة معهم ، فكان هناك ثلاثة من الطلاب الجامعيين ، وثلاثة من طلبة المدرسة لصف العاشر ، وسبعة ممن لديهم عمل في مهن مختلفة ، وثلاثة عاطلون عن العمل ، واثنان منهم حاصلان على درجة البكالوريوس .

بالإضافة إلى المقابلات قامت الباحثة بإعداد استمارة إلكترونية عبر google drive وتم توزيعها على مجموعة من 8 أشخاص من فئة الشباب المتعلم ، تتراوح أعمارهم بين 22 و28 عاماً ، وكان لهم نشاط على مواقع التواصل الاجتماعي خلال الهبّة الشبابية الحالية ، لم تكن العينة المختارة عشوائية ، بل مقصودة ، فكان من ضمن المشاركين في هذه الاستمارة صحفيون ومحام وشباب متعلمون يعملون في مجالات مختلفة . كان الهدف من العينة الأخيرة رصد وجهات نظر من الممكن أن يعبَّر عنها بطريقة مريحة (للمعنيين) أكثر من خلال الكتابة ، فقد كان هناك صعوبة في المقابلات الفردية ، في أغلب الأحيان ، في بناء الثقة مع المعني .

أُجريت هذه المقابلات خلال ثلاثة أشهر ما بين آذار/مارس ونيسان/أبريل وأيار/مايو 2016 .

في مسببات الهبّة الشبابية وسماتها

يختلف شكل الهبّة الشبابية ، إذ تتصاعد وتيرتها وتهدأ من فترة إلى أُخرى . تعددت المصطلحات التي أُطلقت على هذه المواجهة في بدايتها ، من «انتفاضة» و«هبّة القدس» و«هبّة انتفاضية» وغيرها ، ذلك أن هذه الحالة النضالية التي فجرها جيل الشباب الفلسطيني فاجأت الجميع ، ولم تكن متوقعة . بغض النظر عن أهمية استخدام المصطلح المناسب لتوصيف الوضع القائم وفهم الأحداث ، فإن الأهمية الأكبر تكمن في معرفة ماهية هذه المواجهة وطبيعتها . لكن ما يلفت الانتباه خلال العمل الميداني أن أغلب العينات المبحوثة كانت ترفض تسمية ما يجري على الأرض بأنه «هبّة شبابية» ، بل اعتبرتها انتفاضة .

غضب «ع .ق» (23 عاماً) أحد المشاركين في هذه العينة ، وهو عاطل عن العمل ، عندما سألته عن الهبّة الشبابية الحالية ، وقال «أول إشي انتفاضة مش هبّة جماهيرية ، الهبّة الجماهيرية بتكون شهر أو شهرين ، ما بتستمر ، هاي الانتفاضة مستمرة من بداية شهر أكتوبر ، حتى لو ما في حركة بالشارع ، بس في عمليات فردية بالضفة وبالداخل مستمرة ، وإن اختلفت حدّتها ووتيرتها .» يذهب بعضهم للقول إن تعبير «هبّة» هو محاولة لتقزيم هذا العمل النضالي والبطولي والالتفاف عليه من قبل القيادة السياسية ، فقال «ا .ح» (21 عاماً) طالب هندسة في جامعة بيرزيت ، وكان اعتُقل في بداية الهبّة ، وأمضى خمسة أشهر ونصف داخل السجن ، إن «القيادة

السياسية تحاول تقزيم الانتفاضة ، حيث إنه يتم الترويج لفكرة أنها هبّة وليست انتفاضة على سبيل التقزيم .»

أما «ا .هـ» (24 عاماً) وهو شاب من رام الله فاعتبر أنها «انتفاضة طويلة الأمد ، لأنها خرجت لاستعادة الوطن الفلسطيني في الشخص الفلسطيني نفسه ، لأنه أغلب الشعب نسي وجود الاحتلال ، ما بشوفه [لا يراه] إلا بالجسر وغيره ، حالياً ارجعنا إنه في احتلال وفي مقاومة ، وإنه الجندي الإسرائيلي موجود بكل مكان ، وفي اعتداءات وقتل ومشاهد انتفاضة كما السابق .»

تحدث «ا .ش» (22 عاماً) وهو طالب جامعي يدرس الصحافة والإعلام ، عن أن هناك شيئاً أشبه بالحرب الإعلامية ، كما أسماها ، بين الإعلام التابع للسلطة ، والإعلام التابع لحركة «حماس» على تسمية هذا الحراك الشبابي ، وقال «لاحظي وسائل الإعلام الرسمية التابعة للسلطة تقول هبّة وليس انتفاضة ، بينما وسائل إعلام حماس تستخدم مصطلح انتفاضة ، كل طرف يحاول استغلال الوضع الحالي لمصلحته ، بعيداً عن ما يريده الشارع ؛ مثلاً «حماس» تحاول توسيع القاعدة الجماهيرية لها بالضفة من خلال المباركة والتحريض ، دون أن يكون لها دور على أرض الواقع ، والسلطة ما بدها [لا تريد] هذا الحراك لأنه يؤثر عليها سياسياً ، بالداخل وبالخارج .»

يتحدث بعض الشباب الفلسطيني عن الوضع الحالي بتفكير رغائبي أكثر منه واقعي ، فيما يخص تسمية هذه المواجهة ، فمحاولة تسمية ما يجري على الأرض «انتفاضة» ، يعكس حالة ورغبة شديدة لديهم بتفجير الأوضاع ، لتعمّ كافة مناطق الضفة ومدنها ، إلا أن ما يجري على الأرض ، وليس بدافع التقليل من أهميته أو شأنه ، ينحسر في مناطق محددة وفئة معينة ، ولا يرقى لأن يكون انتفاضة شاملة . تأتي هذه الرغبة في تفجير الأوضاع نتيجة أسباب سياسية واقتصادية واجتماعية متعددة .

في أسباب ودوافع الهبّة الشبابية ؛ الدفاع عن الأرض ، الاحتلال والاستيطان والتهويد ، وغياب الأفق السياسي ، وتردي الأوضاع المعيشية ، وفشل القيادة السياسية

إن اختلف المحللون في تسمية ما يجرى من وقائع منذ بداية أكتوبر 2015 ، فإن هناك شبه إجماع من قبل الشباب على أن هناك ثلاثة أسباب رئيسية لهذه الهبّة الشبابية ؛ أولها : الدفاع عن الأرض والمقدسات ، وثانيها : الأوضاع الاقتصادية المتردية والصعبة ، وأخيراً ، غياب الحل السياسي . لخّص الشاب «ع .ع» (25 عاماً) من مخيم الجلزون الوضعَ الفلسطيني بالقول «شوفي العيشة اللي [التي] احنا عايشينها ، الاحتلال من جهة قتل واعتقالات ، وما في إشي بمنعهم ، وما في شغل ولا مستقبل بهاي البلد ، والمفاوضات فاشلة والسلطة بدها تضل [تبقى] تفاوض ليبيعوا اللي ضل [بقي] من هالأرض ، هاي الشباب بتطلع ليفهم الكل إنه احنا موجودين ، وإلنا حق بالحياة والحرية بدنا نعيش زي [مثل] العالم .»

تنتهج الحكومة الإسرائيلية اليمينية سياسية تعميق الاحتلال والاستيطان والتهويد ، وفرض سياسة الأمر الواقع ، ما يقضي نهائياً على مساعي الشعب الفلسطيني لنيل حقه في تقرير

مصيره والتحرر . إلا أن الشباب الفلسطيني أثبت في هذه المواجهة قدرته على تحريك المياه الراكدة ، وإعادة الاعتبار للوجود الفلسطيني من خلال مقاومته للاحتلال ، حتى لو كان هذا التحرك دون استراتيجية واضحة أو مردود سياسي ،حيث يمكن القول إن هذه الهبّة بقدر ما هي رفض للاحتلال وسياساته ، هي بطريقة غير مباشرة أيضاً غضب واحتجاج على القيادة السياسية الفلسطينية ، وهذا ما سيتبين لاحقاً من خلال آراء الشباب عن دور القيادة الرسمية في هذه الهبّة الشبابية .

الواجب الوطني والدفاع عن الأرض في ظل تصاعد الاعتداءات الإسرائيلية والممارسات التعسفية بحق أبناء الشعب الفلسطيني هي المحرك الأساسي للشباب الفلسطيني ، فاقتحامات المستوطنين المتكررة للمسجد الأقصى ، ومحاولة التقسيم الزماني والمكاني له ، والاعتداء على المرابطات ، وقبلها حرق عائلة الدوابشة في دوما بنابلس ، هي التي دفعت الشباب الفلسطيني للخروج وتصعيد مقاومته الشعبية ضد الاحتلال الإسرائيلي . قال «ا .ح» عن أسباب هذه الهبة : «من عدة سنوات تصاعدت الأحداث في المسجد الأقصى ، والتقسيم الزماني والمكاني والاعتداء على المصلين والمرابطات ، وحادثة حرق عائلة الدوابشة ، كلها تراكمت زي ما بنحكي [يقال] ، طفح الكيل عند الشباب والكل صار بده ينزل يواجه الاحتلال ويطعن ويدعس ، هاي الانتفاضة ما فيأي جهة سياسية بتقودها ، هو الشعب من تلقاء نفسه نزل لساحة المواجهة بدون تنظيم ولا توجيه من فصيل سياسي أو قيادة . أنا نزلت لإنه واجب علينا ندافع عن أرضنا .»

غياب أفق الحل السياسي يعبّر عنه الشباب بأنه سبب لهذه الهبّة ، فبعد فشل المفاوضات وتوقفها ، وبعد الحراك الدولي الذي قامت به القيادة الفلسطينية واستحقاقات أيلول ، والدولة التي تم الترويج لها ، والتي لم تثمر بشيء على أرض الواقع ، وهناك المزيد من الاستيطان والتهويد والمعاناة للشعب الفلسطيني . قال الشاب «م .ع» (28 عاماً) عندما سألته عن أسباب اندلاع هذه الهبة : «أنا كشابّ بشوف إنه غياب الأفق السياسي ، لإنه السلطة بحسب اتفاقية أوسلو كان المفروض بعد عشر سنين من الاتفاقية يكون في حل نهائي ، مشت الأيام والسنين وما صار إشي ، وكله وعود وما في أي شيء واضح ، سيطر الإحباط على الشباب فش إشي ، بطالة ووضع ماكل هوا» . الجدير بالذكر أن هذا الشاب حاصل على شهادة جامعية ، إلا أنه يعمل بائعاً في أحد المحال التجارية بسبب تردي الأوضاع ، وعدم وجود فرصة عمل مناسبة له .

تطرق بلال (22 عاماً) وهو طالب جامعي ، إلى أن ما يجري في قطاع غزة أيضاً كان أحد مسببات هذه الهبّة في الضفة الغربية ، بالقول : «حرب غزة شكلت حالة من الشعور بالعجز للشباب الفلسطيني في الضفة الغربية ، يعني أنا كمواطن في الضفة ما كنت قادر أعمل أي شيء لأهلنا بحرب غزة ، وبشوفهم على التلفزيون ، قتل وقصف وتدمير بيوت وعائلات كاملة بتنمسح عن السجل المدني ، وما كنت قادر أقدم أي شيء . مع إنه احنا جميعنا شعب واحد وتحت احتلال واحد ، فشعرت إنه أهل غزة بتحملوا جزء كبير من المعاناة وأنا قاعد بتفرج . كمان المحيط العربي والثورات اللي صارت بتحفز الشباب الفلسطيني ، لإنه الشباب هي اللي بتغيير ، وهي اللي بتصنع الحريات واحنا الفلسطينيين أكتر شعب مبادر وبناضل من أجل حريته .»

ارتفاع معدلات البطالة ، وتردي الأوضاع المعيشية ، وتزايد الفجوة بين الطبقة الغنية والفقيرة ، وغياب العدالة الاجتماعية والمساواة ، تولّد العديد من المشكلات ، والشعور باليأس والإحباط . قال شاب (عمره 19 عاماً من إحدى قرى رام الله ، وأصيب بقدمه في إحدى المواجهات) : «احنا يا دوب [بالكاد] عارفين نعيش ، وما في شغل ، بتفكري مين اللي [الذي] بطلع في المظاهرات؟ أكيد مش أصحاب السيارات و الشركات . احنا مستقبلنا مجهول .»

اعتبر الشاب «ا .ش» وهو من سكان بيتونيا أن الأوضاع الاقتصادية ، وإن كانت دافعاً لهؤلاء الشباب ، فإن سببها هو وجود الاحتلال نفسه ، بقوله : «كل مصايبنا سببها الاحتلال ، إسألي حالك ليش هاي الشباب ما عندهم شغل؟ ليش مستقبلهم هيك؟ ليش ما عنا أحلام وطموحات؟ ليش مش عايشين زي العالم والناس؟ كله سببه الاحتلال ، ما في حدا بتخلى عن روحه هيك .»

من جهة أُخرى اعتبر «ع .ع» وهو شاب من مخيم الجلزون ، أن السلطة الوطنية هي سببٌ في تردي الأوضاع الاقتصادية أيضاً ، من خلال الفساد الموجود في مؤسساتها ، وقال : «الوضع الاقتصادي السيئ والبطالة وغيرها ساهمت في حالة من اليأس والإحباط في أوساط الشباب الفلسطيني ، وأنا واحد منهم ، ما قدرت أكمل تعليمي وبشتغل يوم ويوم لا ، أكيد هاي الأوضاع هي سبب إنه ينفجر الشعب بالآخر . عدا عن هيك ، هاد الوضع صحيح جزء منه سببه الاحتلال ، لكن السلطة والفساد الموجود كمان هي ساهمت بهالوضع .»

يتضح من خلال الدراسة أن العوامل الاقتصادية سببٌ في تفجر الأوضاع بحسب آراء الشباب ، لكن ما تم ملاحظته أن هناك نسبة كبيرة من الشهداء الذين نفذوا عمليات طعن ودهس ضد قوات الاحتلال الإسرائيلي ليس لديهم مشاكل اقتصادية ووضعهم المادي جيد ، وهذا قد يشير إلى حيوية النضال لدى الشباب ، واعتبار قضية الدفاع عن أرضهم هي من أولياتهم . قال الشاب «ز» وهو أحد جرحى هذه الهبة : «صحيح الوضع الاقتصادي سيء ، بس ما في حدا بتخلى عن روحه عشان شيكل أو شيكلين ، احنا بندافع عن أرضنا ، وهؤلاء الشهداء بتضحي بأرواحها فداء للوطن ودفاعاً عنا . المحرك الأساسي لهاي الانتفاضة هو سبب سياسي وليس مادي .»

في مخيم قلنديا تحدثت الفتاة «د .ا» (22 عاماً) خريجة جامعة بيرزيت وعاطلة عن العمل ، عن شهداء مخيم قلنديا ومن نفذوا عمليات طعن ودهس من فئات عمرية مختلفة ، واعتبرت أن دوافعهم وطنية ، والدفاع عن فلسطين . وأشارت إلى أن أغلبهم كان له تجربة سابقةفي الأسر ، أو أن أحد أفراد عائلته أو أصدقائه من الشهداء أو الأسرى ، وبالتالي هذا يفضي للقول إن هؤلاء الشباب من أسر لها تاريخ نضالي ، خاصة في مخيم قلنديا .

«كلهم لهم أهداف وطنية ، أي حدا بده يتخلص من حياته بقدر يلجأ لطريقة أُخرى ، فاهمة علي ، ما في أسهل من الانتحار ، بس هاد الشاب لما يلاقي طريق خلاصه من الحياة شريف ووطني وعارف إنه اسمه راح يضل وإنه راح يؤثر ، أكيد هاد مش سبب عبثي هاد سبب وطني .» هذا ما قالته الفتاة عن دوافع الشباب من القيام بعمليات استشهادية ضد قوات الاحتلال .

في إحدى المقابلات مع طلاب من الصف العاشر في بلدة سلواد ، سألتهم عن الشبان الثلاثة الذين نفذوا عمليات دهس ، واستشهدوا في هذه الهبّة ، وعن وضعهم الاقتصادي ، فتبين أن وضعهم الاقتصادي جيد . الشهيد أنس حماد (21 عاماً) كان يمتلك محل حلاقة في البلدة ، ووالده لديه تجربة سابقة في الأسر ، وصديقه هو الشهيد محمد عياد الذي كان يعمل في الولايات المتحدة الأمريكية ، وكان موعد زفافه بعد أسبوع من تنفيذه العملية ، وكانت تجمعه بالشهيد أنس صداقة قوية . الشهيد عابد حامد (22 عاماً) كان يعمل مع أشقائه ، ووضعه المادي جيد . وتحدث أحدهم عن شقيق الشهيد غسان ، وهو أسير في سجون الاحتلال ، ونفذ في عام 2004 عملية ضد قوات الاحتلال ومحكوم عليه 17 عاماً .

من ناحية ثانية ، عند التحدث عن مشاركة من هم دون سن الـ15 ، أو الأطفال ، في هذه الهبّة الشبابية ، فهم في أغلبهم فئة متحررة من القيود الاقتصادية والاجتماعية ، ولا تقع على عاتقها مسؤوليات اقتصادية قد تشكل بالنسبة لهم ضغوطات ، أو دوافع لعدم المشاركة في الهبّة .

لاحظت الباحثة بعد الانتهاء من المقابلات مع الطلاب ، وفي أثناء العودة من بلدة سلواد ، أنه في أحد الشوارع ، عدد من الأطفال الذين لا تتجاوز أعمارهم سبعة أعوام ، وكانوا يرددون بصوت عالٍ «يا بلال يا بهاء يا مزلزلين الباص» ، وهي أغنية انتشرت بشكل كبير في الهبّة تدعى «عشاق الطعن» . فسألتهم مين بلال وبهاء؟ فردّ أحدهم أنهم شهداء نفذوا عملية طعن في باص وقتلوا اليهود ، وقال لي ببراءة «ما بتعرفيهم؟» . الجو العام في سلواد يعبر عن حالة وطنية فريدة من نوعها ، تشبه المخيمات بطريقة ما ، لكنها ليست بمخيم .

الجدير بالذكر أن الشباب الذين جرى استطلاع رأيهم في هذه الدراسة ، كانت آراؤهم حول مسببات الهبّة الشبابية الحالية في مجملها تتفق مع ما ذكر أعلاه ، حيث يعدد أحدهم مسببات الهبّة كالتالي : «الظلم والاستبداد ، كثرة المعوقات والضغوطات ، استباحة دماء الشعب وكثرة اعتداءات الجيش الإسرائيلي والمستوطنين .» ويقول آخر إن السبب هو «إفلاس التنظيمات الفلسطينية وانعدام الخيارات أمامها في ظل الوضع العربي الراهن ، وبسبب الانقسام ، وحالة اليأس التي أصيب بها الشارع الفلسطيني من جراء الانقسام ، وفشل خيار التفاوض وخيار المقاومة .»

سمات الهبّة الشبابية ؛ عمليات فردية ، من دون تنظيم وبسلاح بدائي ورؤية واضحة ، المواجهات اكتسبت خصوصية المكان ، تراجعت خلال العام الحالي

هناك إجماع على أن عملية مهند الحلبي شكلت الشرارة التي فجرت هذه الهبّة الشبابية ، مهند ابن التسعة عشر ربيعاً طالبٌ في كلية الحقوق ، نفذ عملية طعن في القدس ، ورغم وجود عمليات سبقت هذه العملية ، إلا أن الأحداث تصاعدت بشكل كبير بعد عملية الحلبي ، وبدأ بعدها الحديث عن انتفاضة على مختلف المستويات . دوافع مهند الحلبي للقيام بهذه العلمية واضحة من خلال ما نشره على صفحته على فيس بوك قبل استشهاده ، وهي الدفاع عن الأرض والمقدسات ، حيث كتب : «حسب ما أرى فإن الانتفاضة الثالثة قد انطلقت ، ما يجري للأقصى هو ما يجري لمقدساتنا ومسرى نبينا ، وما يجري لنساء الأقصى هو ما يجري لأمهاتنا وأخواتنا ،

فلا أظن أنّا شعب يرضى بالذل .» تجدر الإشارة إلى أن ضياء تلاحمة الذي استشهد بعد تنفيذه عملية ضد قوات الاحتلال قبل عملية الحلبي بأشهر ، تربطه بمهند علاقة صداقة قوية .

يصف الطالب بلال الحالة النضالية القائمة بأنها اشتباك مع العدو بأدوات جديدة مختلفة عن المواجهات السابقة ، فتتميز هذه المواجهة بعمليات ذات طابع فردي ، دون تنظيم ، وبالسلاح الأبيض «سكاكين» ، وعمليات دهس لجنود الاحتلال على الحواجز ونقاط التّماس . أهمّ أدوات هذه الهبة هي «مظاهرات ، عمليات طعن ودهس وهي عمليات فردية ، وقفة تضامنية مع الأسرى وغيرهم ، حركة مقاطعة المنتجات الإسرائيلية وغيرها من الأنشطة الشعبية .» في الأشهر الثلاثة الأولى لهذه الهبّة ، كانت المواجهة تتصاعد ، وتشمل مظاهرات شعبية ومواجهات ، إلا أن المواجهة مع بداية العام 2016 انحسرت في مناطق محددة ، وضمن فئة معينة من الشباب ، ولم تشتعل لتشمل كافة المدن والمناطق في الضفة الغربية .

انحسار هذه المواجهة في مناطق محددة قد يكون له أكثر من تفسير ، لكن ما يتحدث عنه الشباب لتفسير اشتعال مناطق بالمواجهات دون غيرها ، هو أن الأمر يعود لزيادة حدة وتيرة الاعتداءات وتصاعدها على هذه المناطق ، بالذات من قبل المستوطنين . وهذا يفسر تفجر الأوضاع بالقدس والخليل بشكل أكبر من مناطق أُخرى . في منطقة رام الله يختلف الأمر قليلاً ، وتتحمل مناطق محددة العبء الأكبر من هذه المواجهة ، وعلى ما يبدو فإن هذه نتيجة ما أفرزته اتفاقية أوسلو من خلال تقسيم المناطق إلى «أ» و«ب» و«ج» . هناك خصوصية لبلدة سلواد مثلاً في هذه المواجهة ، فهي من أكثر نقاط المواجهة اشتعالاً في المنطقة الشرقية لمدينة رام الله ، وهذا يظهر في حديث الشباب ، وإن المواجهة في البلدة تكتسب خصوصية المكان أكثر من كونها جزءاً من المواجهة الكلية لهذه الهبّة الشبابية ، لكنّ وتيرتها تصاعدت ضمن هذه الهبّة . فهذه البلدة تحمل إرثاً نضالياً له تأثير كبير في نفوس هؤلاء الشباب ، فأحد الطلاب الذين قابلتهم تحدث عن شهداء هذه البلدة وعدد الأسرى وبطولاتها ، وكان يتكلم عنها ويقول : «سلواد قلعة الأحرار والثوار» ، وإن سلواد تعتبر في الصف الأول من المواجهة مع الاحتلال .

«س .ا» (23 عاماً) هو أسير محرر من مخيم قلنديا ، تحدث عن مخيم قلنديا كأحد أهم نقاط التّماس مع الاحتلال الإسرائيلي ، وأشار إلى أن المخيم كما عبّر عنه «فالت» ، أي (خارج عن السيطرة) ولا يخضع لقيود السلطة الأمنية ، وإن الاحتلال يحسب حساباً للمخيمات بشكل خاص ، لأنها مخزون للقضية الفلسطينية ، وإنّ قضية عودته كلاجئ إلى أرضه التي هُجّر منها ، تبقى من أولوياته ، ولن يتنازل عنها ، وقال : «المخيم بوز مدفع . . . والإسرائيليين عارفين هالشّي ، وبعرفوا إنه قلنديا بتدافع عن عقيدة وقناعة .»

قد يكون انحسار هذه المواجهة في مناطق محددة ، ما هو إلا نتيجة سياسة تتبعها إسرائيل في احتوائها للمقاومة الفلسطينية ، وفق نظرية يطلق عليها في الأوساط الإسرائيلية العسكرية «نظرية ايزنكوت» ، نسبة لقائد هيئة أركان جيش الاحتلال الإسرائيلي السابق غادي ايزنكوت ، والتي تقوم على العقاب الانتقائي لكل منطقة ، في حين يتم الحفاظ على الهدوء في المناطق التي لا يتم فيها مواجهات ، مع تحسين أوضاعها كمكافأة لها على هدوئها ، وهذا يظهر جلياً في هذه المواجهة . فقد تشهد في منطقة مواجهات وحالات اعتقال واستشهاد ، وبعدها بعدة أمتار تكون

هنـاك حيـاة طبيعيـة لا يعكـر صفوهـا شـيء . ومـن هـذا المنطلـق أيضـاً يمكـن تفسـير عـدم خـروج أصوات مـن الفلسـطينيين في هـذه المرحلـة مـن المواجهـة ، كمـا حـدث في الانتفاضـة الثانيـة ، تقـول إن الشـعب الفلسـطيني غيـر مهيـأ اجتماعيـاً ولا اقتصاديـاً لهـذه المواجهـة .

أهـداف هـذه المواجهـة تتلخـص في دق جـدران الخـزان كمـا عبـر أحـد الشـباب ، والشـباب يدركـون أن هـذه المواجهـة لـن تفضـي إلـى التخلـص مـن الاحتـلال بشـكل كلّـي ، لكنهـا مواجهـة حتميـة لا بـد منهـا ، لوقـف التصعيـد مـن قبـل الاحتـلال الإسـرائيلي . قـال شـقيق أحـد شـهداء مخيـم قلنديـا (25 عامـاً) عـن أهـداف هـذه الهبّـة : «الهـدف مـن هالإشـي نمنـع دخـول المسـتوطنين للمسـجد الأقصـى ، عـدم المسّ بالمرابطـات ، وهـاي اللـي بتدفـع الشـباب يحمـل سـكين أو يدعـس أو يطلـق النـار .» وأجـاب «ا .ش» طالـب الإعـلام ، عـن أهـداف هـذه الهبّـة بالقـول : «علـى الأقـل مـا نضـل [نبقـى] سـاكتين على الوضـع الحالـي .» الشـباب يركـزون في هـذه المواجهـة علـى أهـداف تتعلـق بالوضـع القائـم الحالـي مـن التصـدي لاعتـداءات المسـتوطنين والتضييـق علـى المواطنـين علـى الحواجـز وغيرهـا ، وليـس لديهـم رؤيـة واسـتراتيجية واضحـة . وأضـاف «ا .ش» معقبـاً «احنـا شـباب متحمسـين ومندفعـين ، لكـن الحقيقـة إنـه لا يوجـد رؤيـة واسـتراتيجية لهـاي الانتفاضـة ونحـن مدركـين لذلـك ، لكـن يجـب التحـرك .»

تجمـع الأغلبيـة علـى أن هـذه الهبّـة تأتـي في سـياق تراكمـات العمـل النضالـي والمقاومـة ضـد الاحتـلال الإسـرائيلي ، فقـال «م .ع» : «كل هـاي الأمـور هـي مقدمـة لتحريـر فلسـطين . هـاي الشـباب كل يـوم بتطلـع والسـلطة مـا في إشـي تقدمـوا للنـاس ، وفي يـوم مـن الأيـام سـينفجر كل شـيء ويصيـر تصعيـد شـامل .» ويتوافـق كلام الطالـب بـلال وهـو مـن مخيـم قلنديـا مـع هـذا الشـاب قائـلاً «كل عمـل مقـاوم ضـد الاحتـلال هـو خطـوة للأمـام ، أكيـد هـاي الهبّـة الحاليـة مـا راح تحـرر فلسـطين ، بـس احنـا عايشـين علـى هـاي الأرض في حالـة صـراع دائـم مـع الاحتـلال ، وفي هـاي الهبّـة مـا في مشـاركة واسـعة مـن مختلـف القطاعـات ، بـس أكيـد هـاي الدمـاء والتضحيـات هـي خطـوة علـى طريـق التحـرر وإقامـة الدولـة الفلسـطينية .»

يتضـح أن الفاعلـين في هـذه الهبّـة هـم مـن الشـباب ، خاصـة جيـل التسـعينيات ، بحسـب تعبيـر «ع .ق» مـن إحـدى قـرى رام الله الغربيـة ، عندمـا سـألته عـن القائمـين علـى هـذا العمـل النضالـي ، قـال : «الشـباب وجيـل التسـعينيات ودايمـاً كان خـط المواجهـة الأول هـو المخيمـات . الشـباب اللـي كانـت تطلـع في المواجهـات كان بدهـا توصّـل صـورة للعالـم إنـه احنـا لسـا [لا زلنـا] موجوديـن ولسـا عنـا قضيـة ، وهـاي الشـباب مـا نسـيت المقاومـة وحـق العـودة . الطبقـة الكادحـة هـي اللـي تحركـت طبعـاً .»

تحدثـت الفتـاة «د .ا» مـن مخيـم قلنديـا عـن سـبب مشـاركة الأطفـال في هـذه الانتفاضـة بقولهـا «هـاد الاحتـلال غبـي برأيـي ، لّمـا إنـت تسـتفز طفـل عمـره 11 سـنة علـى الحاجـز أو بتضربـه أو بتمنعـه يـروح علـى مدرسـته ، مـا بتسـأل ليـش هيـك الشـباب طلعـت ، إسـرائيل بدهـا تحكـي عنـا قـدام العالـم إنـه احنـا إرهابيـين وحتـى أطفالنـا إرهابيـين ، وهـم بالأسـاس اللـي دفـع هـاي الأطفـال للقيـام بهـاي الأعمـال . أنـا بحكـي بالـذات عـن الأطفـال ، لإنـه لاحظنـا إنـه الشـريحة الأكبـر مـن هـاي الانتفاضـة هـي مـن الأطفـال .»

هـذه الفئـة النشـطة كمـا يعبـر عنهـا بجيـل مـا بعـد اتفـاق أوسـلو ، هـي متحـررة مـن قيـود أوسـلو الاقتصاديـة والأمنيـة . كمـا أنهـا لـم تعاصـر الانتفاضـة الأولـى والثانيـة ، إلا أنهـا تعايـش الاحتـلال

وممارسـته ، ففجـرت هـذه الهبّـة والمقاومـة التـي تعبـر عـن حالـة مـن الرفـض لهـذا الاحتـلال بالدرجـة الأولـى . هـذه المواجهـة أثبتـت فشـل فكـرة تحويـل العلاقـة مـع الاحتـلال مـن الصـراع إلـى علاقـة تكييـف ، حيـث قـال الفتـاة «د .ا» «احنـا شـباب واعـي ، لمـا حكـوا الإسـرائيليين بكـرا الكبـار بتمـوت والصغـار بتنسـى ، هـاي الانتفاضـة بيّنـت إنـه لأ» .

غيـاب دور القيـادة الرسـمية هـو مـن السـمات البـارزة لهـذه الهبّـة الحاليـة ، ويعتبـر الشـباب أن هـذه المواجهـة جـاءت كاختبـار لهـذه القيادة .اجتمعـت الآراء حـول غيـاب دور رسـمي حقيقـي علـى الأرض ، فقـال «ا .ح» مـن بلـدة سـلواد «هـاي المواجهـة فضحـت القيـادة السياسـية والأحـزاب أيضـاً ، واتضـح إنـه ليـس لهـم دور حقيقـي وفاعـل بمـا يجـري علـى الأرض . الانتفاضـة الأولـى والثانيـة كانـت عمـل شـعبي بامتيـاز في بدايتـه ، لكـن كانـت القيـادة والأحـزاب بعـد ذلـك تتبنـى الانتفاضـة وتحتويهـا وتنظمهـا ، لكـن في هـذه المواجهـة الأخيـرة لـم نـر إلـى الآن أي عمـل حقيقـي لهـذه المؤسسـات الرسـمية .» إلا أن المواقـف تباينـت وتمايـزت حـول دور السـلطة الوطنيـة والأحـزاب ومنظمـة التحريـر ، وهـذا مـا سـتعرضه الدراسـة عنـد مناقشـة دور المؤسسـات الرسـمية في هـذه الهبّـة مـن وجهـة نظـر الشـباب .

دور مواقـع التواصـل الاجتماعـي ؛ تقديـر إيجابـي لدورهـا لكـن قـد تكـون سـلاحاً ذا حديـن . . .

ظهـر في هـذه الهبّـة دور بـارز لمواقـع التواصـل الاجتماعـي ، وخاصـة فيسـبوك ، واتجهـت أغلـب الآراء المشـاركة في هـذه الدراسـة إلـى اعتبـار مواقـع التواصـل الاجتماعـي مصـدراً للأخبـار ، عوضـاً عـن الوسـائل التقليديـة ، وأنهـا سـاعدت في التعبئـة والحشـد لهـذه المواجهـة بطـرق مختلفـة ، مـن خـلال نشـر الصـور ومقاطـع الفيديـو ، كمـا أنهـا سـاهمت في توثيـق جرائـم الاحتـلال ، ونشـرها علـى نطـاق واسـع بالعالـم . قـال «ا .ش» وهـو طالـب إعـلام إن : «مواقـع التواصـل الاجتماعـي هـي المحـرك الأساسـي ، وعملـت بـدور كبيـر علـى تعبئـة الشـباب وتحريضهـم ، مـا في شـب فلسـطيني إلا وبيقضـي أكتـر مـن أربـع سـاعات علـى الفيسـبوك ، والصـور والفيديوهـات اللـي بتـم نشـرها بتحـرك الشـباب للقيـام بعمـل مقـاوم ، والاحتـلال يـدرك هـذا الـدور ، والدليـل الاعتقـالات اللـي تمـت بسـبب كتابـات علـى مواقـع التواصـل الاجتماعـي .»

قـال شـاب مـن إحـدى قـرى رام الله الشـرقية ، وهـو مصـاب بقدمـه ، عـن دور مواقـع التواصـل الاجتماعـي : «في نـاس عندهـم الكتابـة علـى الفيسـبوك مقاومـة دون فعـل ، بـس أكيـد إلهـا دور ومحـرك أساسـي للشـباب في الهبّـة الحاليـة ، كان هنـاك الدعـوات للمظاهـرات والفعاليـات مـن خـلال الفيسـبوك . بالنسـبة للفصائـل والأحـزاب ليـس لهـا دور أساسـاً ، بـل تحـاول أن يكـون لهـا دور افتراضـي مـن خـلال هـذه المواقـع ، دون أي وجـود حقيقـي علـى أرض الواقـع .»

«ا .ح» اعتبـر هـذه المواقـع سـلاحاً ذا حديـن ، فقـال «لكـن هـذه المواقـع سـلاح ذو حديـن ، فمـن جهـة سـاهمت في تغطيـة الأحـداث ، أنـا بـس تم اعتقالـي مـن قبـل المسـتعربين كانـت صورنـا في أقـل مـن سـاعة منتشـرة علـى كل مواقـع التواصـل الاجتماعـي ، فقـد تكـون أداة للحشـد مـن جهـة وتعبئـة الشـباب ، لكنهـا أيضـاً مـن جهـة أُخـرى أصبحـت زي فشّـة غُـل [وسـيلة تفريـغ] بالنسـبة للشـباب ، أي حـدا بكتـب بوسـت وبعبـر عـن غضبـه ، وخلـص خلصـت .»

تحدثت الفتاة «د .ا» عن الدور السلبي لمواقع التواصل الاجتماعي ، وأن التعامل معها بحاجة لوعي ، والقت «إلها دور كبير جداً ، في منه سلبي طبعاً ، الدور السلبي تضارب الأخبار وتضارب المصادر ، إنه أنا مش واثق من مصدر هذه الأخبار ، مواقع التواصل الاجتماعي بدها [بحاجة إلى] وعي ، هي ساهمت في شحن الشباب ، صور الشهداء وصور الحواجز المستفزة ، صور الأطفال ، صور حرق عائلة الدوابشة مثلاً كانت أعتقد هي شرارة لهاي الأحداث ، ولولا مواقع التواصل الاجتماعي ما عرفنا عنهم بهاي الصورة ، لّما صارت توصلنا كل هاي الأخبار إلها دور كبير ، الأولاد في المدارس صاروا يفهموا شو اللي بصير من خلال هذه المواقع . الفيديوهات وأغاني الشهداء وأم الشهداء أكيد بتأثر .»

بكل الحالات ، في هذه المواجهة تحديداً ، برز دور كبير لمواقع التواصل الاجتماعي في نشر الأخبار وصور الشهداء والعمليات . لكن لا يمكن القول إن مواقع التواصل الاجتماعي هي التي تدفع الشباب إلى القيام بهذه العمليات ضد قوات الاحتلال الإسرائيلي ، بل إن هناك عوامل أخرى على الأرض ، تعتبر المحركات الأساسية لهذه المواجهة .

الموقف من السلطة والأحزاب والاتحادات ؛ أغلبية ساحقة ترى دور السلطة معيقاً وسلبياً ، وترى دوراً للأحزاب ، لكن كأفراد وليس كقيادات ، وغياب الدور الملموس شبابياً للاتحادات والنقابات

اختلفت آراء الشباب حول الدور الرسمي في هذه الهبّة الشبابية ، ففي حين يجمع أغلب الشباب الفلسطيني على أن هذه الهبّة هي عمل نضالي شعبي وفردي بالدرجة الأولى ، ولم يكن هناك أي دور رسمي فيها ، تتباين المواقف من السلطة والأحزاب ، بين من يبحث لها عن دور ويدافع عن وجودها ، وبين من ينكر هذا الدور .

«ولا إلهم خصّ [لا دخلَ لهم أبداً]» هكذا أجاب «ا .ش» من بيتونيا عن دور المؤسسات الرسمية في الهبّة ، في إشارة منه إلى أن هناك حالة من الانفصال بين الشارع الفلسطيني وقياداته ، سواء السلطة الوطنية ، أو الأحزاب وغيرها ، حتى من النقابات والاتحادات المهنية . وأضاف : «السلطة الوطنية ما بدها هالحراك بالشارع الفلسطيني ، وهي معيق له ، بدها مفاوضات وسلام ، والشارع زهق من هالحكي ، إلهم عشرين سنة مفاوضات ولا صار إشي ، كل يوم في مستوطنات وإذلال وقهر أكتر من اليوم اللي قبل .» وعن دور الأحزاب قال : («حماس» و «فتح» والجبهة قاعدين بتفرجوا ، وتصريحات وكلام وما في إشي على أرض الواقع . بهاي الانتفاضة أنا مش شايف ولا وجه رسمي مشارك فيها ، عملياً لا سلطة ولا فصائل ولا أحزاب ولا نقابات ولا إشي . هذا عمل شعبي وبشكل فردي . السلطة ما إلها دور في هذه المواجهة ، وهي بس بتشغل موظفين وبتدفع رواتبهم وبتشحد من العالم لتحلّ أزماتها المالية .)

رفض «ع .ع» من مخيم الجلزون وجود أي دور رسمي في هذه الهبّة ، بالقول : «هاي زي ما حكيت هبّة جماهيرية ، لا يوجد لأي شخصية أو مؤسسة رسمية يد فيها ، سواء بالمشاركة الفعلية أو بالدعم ، السلطة الوطنية وعلى رأسها عباس تريد المفاوضات وتمنع الشباب من مقاومة الاحتلال ، فتح وحماس متقاتلين إلهم عشر سنين ، ومنظمة التحرير زمان ماتت وبطّل [لم يعد] إلها دور .» وأضاف ح (25 عاماً) وأخ لشهيد من مخيم قلنديا : «ولا إلهم أي دور ، يعني شايفة إعدامات وهدم بيوت ، أبو مازن رئيس السلطة ومنظمة التحرير ورئيس أربع خمس مناصب ، ولحد الآن مش شايفين إشي ، يعني البيوت بتتّهدّم واعتقالات وشهداء ، وما حدا سائل .»

هذا الرفض بالبداية يعبّر عن غياب الدور الرسمي بشكل عام ، لكن عند التحدث بشكل مفصل عن دور السلطة الوطنية والأحزاب بشكل خاص ، يظهر الاختلاف في آراء الشباب . مثلاً «ع .ق» من إحدى قرى رام الله الغربية ، رأى أن السلطة الوطنية لا تريد هذه الهبّة ، وأن الأحزاب ، بسبب حالة الانقسام ، لم تعد مقاومة الاحتلال من أولوياتها ، لذا قال «هي لا تريد هذا الحراك ، ولا مرة طلع الرئيس وبارك أي عملية ، أو حتى قدم تعزية لأهالي الشهداء ، وهذا دليل على إنه السلطة بواد وإحنا بواد . سواء بغزة أو بالضفة هي تقمع هذه الانتفاضة . السلطة لا تمثل الشعب الفلسطيني نهائي . هاي السلطة تحولت لوسيلة لإطعام الشعب الفلسطيني وتقديم خدمات تعليمية وصحية فقط لا غير . وبالتنسيق الأمني قتلت الثقة بينها وبين الشعب . أيضاً مع الانقسام أصبح الوضع معقد أكثر ، صار سلطة رام الله بدها [تريد] تحافظ على وجودها وسلطة «حماس» كمان بطّل همّهم الاحتلال» . هذا الشاب ينكر وجود دور الأحزاب أيضاً في هذه الهبّة ، باعتبار أن الفصيل لا يعمل على الأرض ، وأن أفراد الفصيل هم من يتحركون من تلقاء أنفسهم ، «أكيد فش ولا حدا من الشباب بطلع بدون ما يكون منتمي لفصيل معين ، صحيح الشباب بتقوم بتنفيذ عمليات بدون تخطيط من الحزب أو الفصيل ، وهو عمل فردي ، لكن أغلبهم هم منتمين لأحزاب وفصائل . بس الفصيل لا يعمل على أرض الواقع ، هو فقط متفرج . شباب الفصيل تتحرك على أرض الواقع وتشارك ، لكن الفصيل نفسه لأ .»

رأت الشابة «د .ا» من مخيم قلنديا أن هناك دوراً للأحزاب على مستوى الأفراد ، وأن هناك غياباً حقيقياً للسلطة الوطنية في هذه الهبّة ، فقالت عن دور الأحزاب «إلهم دور بشكل فردي ، مثلا عندك بالمخيم إحنا بشكل عام في تلوّن واضح بالمخيم ، في عائلات انتمائها لحركة «فتح» وعائلات لحركة «حماس» ، بهاي الهبّة الكل أثبت إنه بقدّم ويضحّي ويواجه الاحتلال على مستوى الشارع . فبغضّ النظر مثلاً عن الأداء السياسي لقيادة حركة «فتح» هذا لا يعكس الروح الموجودة بالشارع ، أنا بالنسبة إلي القيادات ما إلها أي دور ، ولا يحق لهم أن يتبنّوا هذه الهبّة . السلطة الفلسطينية أداؤها كان مفاجئ زي كأنك بتحكي عن حدا مصاب بمرض زهايمر ومش عارفين شو بصير .»

اختلف الطالب بلال من مخيم قلنديا في رؤيته عن الشباب فيما يخصّ دور السلطة الوطنية والأحزاب ، فهو يدافع عن موقف السلطة الوطنية كونها من بادرت لهذا الحراك ، وعلّل سبب غياب دور السلطة الوطنية في هذا الحراك بالقول : «إن هاي الهبّة لم ترقَ لتدفع القيادة السياسية ليكون لها دور ، هي مجرد حراك شبابي في مناطق محددةل وأعمال فردية لم تنتج الزخم والضغط اللي كان أيام الانتفاضة الأولى مثلاً .» وفيما يخصّ الأحزاب ، اعتبر بلال أن هناك دوراً لبعض الفصائل ، وأن هناك فصائل حاولت استغلال الوضع لصالحها . وقال إن «حركة «فتح» هي المبادر لهاي الهبّة ، وهي المحرك والموجه والداعم والممول ، «حماس» و»الجبهة» تحاول أن تركب الموجة .»

الشاب من إحدى قرى رام الله الشرقية ، والذي ذكرته سابقاً ، تفهّم موقف السلطة الوطنية حتى لو كانت لا تدعم هذه الهبّة ، واعتبر أن السلطة تحاول حماية أبناء شعبها : «السلطة أيضاً لا تدعم الهبّة الجماهيرية ، لكنها لا تعيقها لأنها تتبنى نهج مختلف تسعى من خلالها لتحقيق أهدافها ، وهي أيضاً تحاول حماية أبناء الشعب الفلسطيني فهي تعلم أن هذه الهبّة بلا جدوى .» وفيما يخصّ دور الفصيل ، فإن هذا الشاب من أبناء حركة «فتح» يعتبر مشاركته دليلاً على دور حركته ومشاركتها .

هنـاك مـن يعتبـر السـلطة هـي الوكيـل الأمنـي والاقتصـادي والإداري للاحتـلال ، وأنهـا تعيـق هـذه الهبّـة ، ويعتبرهـا عبئـاً علـى المشـروع الوطنـي الفلسـطيني ، فقـال «ع .ع» مـن مخيـم الجلـزون «همّـا [الآن] دور السـلطة فقـط بـدل روابـط القـرى اللـي كانـت قبـل وجـود أوسـلو .» وهنـاك مـن يـرى أن دورهـا يقتصـر علـى تقـديم الخدمـات ، ولا دور لهـا في مقاومـة الاحتـلال ، فقـال «م .ع» مـن قـرى رام الله « السـلطة ليـس لهـا أي دور ، إلهـا دور بحيـاة النـاس صحـة وتعليـم وهالحكـي ، بـس المشـاركة في مواجهـة الاحتـلال لأ .»

توافـق الشـاب «ا .هـ» مـن مدينـة رام الله مـع الشـاب السـابق في رأيـه حـول دور المؤسسـات الرسـمية ، فهـو يعتبـر دور السـلطة معيقـاً وسـلبياً كمـا قـال ، وعندمـا سـألته عـن دور الأحـزاب في هـذه الهبّـة ، أجـاب : «فتـح هـي نفـس دور السـلطة ، (تنظيمـات) اليسـار معظـم دورهـا مؤيـد ، شـفناها في المسـيرات وبعـض العمليـات . اليمـين هـو مـن يحـرك هـذه الانتفاضـة . برأيـي أغلـب منفـذي العمليـات مـن أبنـاء حمـاس والجهـاد . فهـذه الأحـزاب موجـودة ولهـا دور كبيـر .»

«م .ع» وهـو مؤيـد للتيـار الإسـلامي كمـا يقـول ، يعتبـر هـذا التيـار هـو القـادر علـى قيـادة الشـعب الفلسـطيني إلـى التحـرر ، وعندمـا سـألته عـن دور فصيلـه بهـذه الهبّـة ، أجـاب : «هـو موجـود علـى الأرض ، بـس بالضفـة تم سـحقه مـن قبـل السـلطة والاحتـلال ، لهـذا لا يمكـن أن تبحثـي عـن دوره علـى الأرض ، وهـو محاصـر لذلـك هـي أعمـال فرديـة .»

يحـاول الشـباب ، خاصـة المنتمـين منهـم ، الدفـاع عـن فصائلهـم وإبـراز وجودهـا ، وفكـرة الانقسـام متجـذرة في عقولهـم ، حتـى لـو كانـت الهبّـة الحاليـة تجمعهـم ، فحالـة الانقسـام خلقـت حالـة مـن دون وعـي في عقـول الشـباب ، بمعـاداة الآخـر ، أي الفصيـل الآخـر ، حتـى لـو كان التبريـر غيـر منطقـي ، فبعـض الشـباب مسـتعد للدفـاع عـن فصيلـه ، وسياسـة السـلطة الوطنيـة ، أو تفهّـم الأحـزاب حتـى لـو لـم يكـن مقتنعـاً ، ويشـارك في المظاهـرات فقـط في مناكفـة للفصيـل الآخـر . الموضـوع بحاجـة لبحـث عميـق ، علـى مـا يبـدو فـإن مبـادرات المصالحـة علـى المسـتوى السياسـي ، وإن تحققـت ، بحاجـة إلـى إعـادة هيكلـة اجتماعيـة كاملـة .

لا بـد مـن الإشـارة إلـى المقابلـة التـي أُجريـت مـع الطـلاب ، حيـث تبـين مـن إجاباتهـم أنهـم لا يعولـون علـى القيـادة السياسـية ، ويعتبـرون أن لا جـدوى منهـا . ويعتبـرون أن مـن يقـوم بهـذه الهبّـة هـو الشـعب بمفـرده . وهـم لا يـرون دوراً للأحـزاب السياسـية . لاحظـت الباحثـة أن ظاهـرة الانقسـام لـم تبـرز في حديـث هـؤلاء الطـلاب ، خلافـاً لبعـض المقابـلات الأُخـرى ، التـي كانـت تبـرز فيهـا بشـكل واضـح . هـذا ، و بالرغـم مـن أنهـم عبـروا عـن انتمـاءات حزبيـة مختلفـة ، إلا أنهـا علـى مـا يبـدو انتمـاءات موروثـة عائليـاً . فقـد عقّـب أحدهـم علـى الموضـوع «كلنـا أولاد سـلواد .»

فسّـر د . بـلال الشـوبكي ، وهـو محاضـر في جامعـة الخليـل ، تبايـنَ آراء الشـباب حـول دور المؤسسـات الرسـمية التقليديـة ، بالقـول : «لا يمكـن تصنيـف الشـباب الفلسـطيني علـى أنّهـم شـريحة متجانسـة لديهـا نفـس الرؤيـة ، أو نفـس المواقـف تجـاه مـا يجـري فلسـطينياً ، في الغالـب تبـدو هـذه الشـريحة موزّعـة علـى تيـارات وحـركات سياسـية تمثّـل التبايـن الفلسـطيني ، وعليـه ؛ يمكـن القـول إن نظـرة الشـباب المنتمـي إلـى فصائـل المنظمـة تجـاه السـلطة ودورهـا ، إنّ الأخيـرة مقصّـرة في القيـام بدورهـا كحاضـن لـلإرادة الشـعبية ، إذ

يبـدو جليّـاً أنّ هنـاك فجـوة واضحـة بـين إرادة الشـارع ، بمـا فيـه أتبـاع هـذه السـلطة وسياسـات السـلطة ، بمـا يجعـل هـذه السـلطة عبئـاً علـى شـريحة الشـباب مـن فصائـل المنظمـة ، وخصوصـاً «فتـح» ، كونهـا عاجـزة عـن ردم الهـوّة بـين القاعـدة والقيـادة ، إلا أن هـذه الشـريحة لا تعلـن ذلـك ، وتسـتعيض عـن النقـد المطلـوب للقيـادة والسـلطة ، بتجاهـل هـذه القيـادة والتغنّـي برمـوز تاريخيـة أكثـر انسـجاماً مـع نبـض الشـارع .»

وأضـاف «فيمـا الشـريحة الشـبابية الأُخـرى التـي تنتمـي إلـى فصائـل مناوئـة لمشـروع أوسـلو ، تـرى السـلطة جـزءاً مـن العقبـات في وجـه الهبّـة ، وفي وجـه أي حـراك فلسـطيني ضـد إسـرائيل ، بحيـث تتبنـى موقفـاً يتجـاوز المنافسـة إلـى الخصومـة ، باعتبـار أن السـلطة تقـوم بإجـراءات أمنيـة لحمايـة مشـروع أوسـلو ، وهـو مـا يصنّـف مـن وجهـة نظـر هـذه الشـريحة ، كقفـزة علـى الثوابـت وتعـاون مـع سـلطة الاحتـلال .»

ولا يبـدو أن هنـاك دوراً حقيقيـاً علـى الأرض للنقابـات والاتحـادات المهنيـة ، في هـذه الهبّـة الشـبابية ، وهنـاك مـن اعتبـر أن غيـاب دورهـا يندرج تحـت مظلـة دور السـلطة أو القيـادة الرسـمية ، كمـا أن هنـاك مـن اعتبـر دورهـا مقتصـراً علـى التضامـن ووقفـات الاحتجـاج ، وأجـاب «م .ع» عندمـا سـألته عـن دورهـا في هـذه الهبّـة الشـبابية : «لا مـا إلهـا دور ، أو يمكـن إلهـا دور في التضامـن ، مثـلاً نقابـة الصحفيـين كيـف كانـت تتضامـن مـع محمـد القيـق ، وهيـك مـش أكثـر . فقـط تضامـن مـش إشـي ثانـي .»

أغلبيـة الشـباب تفتقـد الثقـة بالمؤسسـات الرسـمية ، وتمتلـك وعيـاً سياسـياً ، وقـدرة علـى توصيـف رؤيتهـا بشـكل جيـد ، لكنهـا لا تملـك زمـام المبـادرة مـن أجـل التغييـر . فهـي تتعامـل مـع الوضـع القائـم كأمـر واقـع لا سـبيل لتغييـره . فقـد فقـدت الثقـة بالمؤسسـات الرسـمية ، وخاصـة السـلطة ، لكنهـا لا تملـكً الإرادة ، أو حتـى التفكيـر في تغييـر هـذه المؤسسـة ، أو حتـى إصلاحهـا .

هنـاك حالـة مـن عـدم الثقـة ، ليـس فقـط بالمؤسسـات الرسـمية ، يذهـب البعـض إلـى أبعـد مـن ذلـك لفقـد الثقـة بـأي تحـركات مصدرهـا الإطـار الرسـمي . قـال لـي أحدهـم إن «الـكل بـاع الوطـن ، مـا حـدا بشـتغل لصالـح الوطـن ولا لأهـداف علميـة .» وهـذه المعضلـة واجهتنـي ، ليـس فقـط في سـلواد ، بـل في أغلـب المقابـلات التـي قمـت بهـا .

رؤية المستقبل عند الشباب ؛ الوحدة والوعي والنهوض بالوطنية طريق التحرير

اعتبـر أغلـب الشـباب أن غيـاب قيـادة رسـمية متفـق عليهـا ، هـو المشـكلة الرئيسـية التـي تواجـه الفلسـطينيين . وقـال «ع .ع» مـن مخيـم الجلـزون «المشـكلة إنـه لا يوجـد قيـادة قـادرة علـى توحيـد الشـباب وتنظيمهـم ، بطريقـة تخـدم المشـروع الوطنـي ، وتعطيهـم اسـتراتيجية واضحـة ومحـددة ، أغلـب الجيـل اللـي بطلـع هـو شـباب انولـد بعـد أوسـلو ، ومـا عاصـر زمـن منظمـة التحريـر ، ولا زمـن القيـادات اللـي كانـت تتبنـى خطـاب ثـوري جامـع قـادر علـى حشـد وتعبئـة الشـباب . هـاي الهبّـة الجماهيريـة الحاليـة هـي أغلبهـا عمليـات فرديـة مـن شـباب خاضـت معركتهـا لوحدهـا ضـد الاحتـلال ، مـن أجـل الجميـع ، بينمـا الجميـع لا يملـك الرؤيـة الواضحـة والسـليمة لاسـتثمار هـذا العمـل المقـاوم ، وإن كان فـردي والسـبب أكيـد القيـادة السياسـية الفاشـلة .»

نبـذ الانقسـام والدعـوة إلـى توحيـد الصـف الفلسـطيني هـي الوسـيلة الوحيـدة للتخلـص مـن هـذه الحالـة كمـا يعبـر عنهـا الشـباب . قـال طالـب الإعـلام «ا .ش» «في ظـل الظـروف الحاليـة ،لـن تتحـرر فلسـطين بيـوم وليلـة ، وإحنـا نعـرف مشـوارنا طويـل ، بـالأول لازم نرجـع نتوحـد ونتخلـص مـن الانقسـام ، وإحنـا أصحـاب حـق راح نضـل [نبقـى] نناضـل لتتحـرر كل فلسـطين .» يتوافـق كلامـه مـع «م .ع» مـن قـرى رام الله الـذي قـال : «هـاي الهبّـة قلتلـك [قلـت لـك] هـي حـراك مـن أجـل إنـه يفهـم العالـم إنـه الشـعب الفلسـطيني مـا زال موجـود ويقـاوم ،لكـن عمليـة التحـرر بحاجـة لوقـت كبيـر تحشـد مـن خلالـه كل الطاقـات ، ويكـون هنـاك قيـادة حقيقيـة غيـر متواطئـة مـع الاحتـلال .» واعتبـر الطالـب بـلال مـن مخيـم قلنديـا أن السـبيل الوحيـد للتحـرر وتغييـر الوضـع القائـم هـو «تفعيـل الوحـدة الوطنيـة ، والمقاومـة الشـعبية والصمـود ، وقوتنـا في وحدتنـا .»

رأت الفتـاة «د .ا» مـن مخيـم قلنديـا إن الطريـق نحـو تغيّـر الوضـع القائـم هـو بالعلـم والثقافـة ، وزيـادة الوعـي لـدى الشـباب بهـذه المرحلـة ، وقالـت : «بالنسـبة إلـي التحـرر الفلسـطيني بالدرجـة الأولـى لازم يكـون ثقافـة وعلـم» ، واتفـق معهـا «ا .هـ» إذ اعتبـر أن «الوعـي هـو أول مسـمار يُدقّ في نعـش الاحتلال .»

وأوضـح أحـد الشـباب ممـن أجابـوا علـى الاسـتمارة الإلكترونيـة عـن موضـوع الوعـي المطلـوب لهـذه المرحلـة مـن أجـل التحـرر ، بقولـه : «تحريـر الأرض الفلسـطينية مـن النهـر إلـى البحـر و تحريـر الفكـر الفلسـطيني ، السـبيل لذلـك هـو أن يعـود الهـمّ الأكبـر والهـدف الوحيـد هـو هـمّ الاحتـلال وهـدف التحـرر ، وأن تتوحـد صفـوف الفلسـطينيين تحـت انتمـاء واحـد ووحيـد ، هـو الانتمـاء للوطـن ليـس إلا .» وأضـاف آخـر : «التحـرر الفلسـطيني هـو النهـوض بمفهـوم الوطنيـة والهويـة للشـعب الفلسـطيني ، سـواء في الداخـل أو الخـارج ، ممـا سـينتج عنـه جيـل واعـي بطريقـة التحريـر الكامـل لـلأرض والإنسـان .»

نظـرة الشـباب الفلسـطيني إلـى التحـرر تتلخـص بكلمـة «فلسـطين التاريخيـة» ، وأنـه لا أحـد منهـم يتخلـى عـن أرضـه ، مهمـا كان الثمـن . فقالـت الفتـاة «د .ا» مـن مخيـم قلنديـا «أنـا مـن يافـا مـن حـي المنشـية ، أنـا هـون بالمخيـم ضيفـة مـش مواطنـة ، أنـا بكـون مواطـن لمـا أرجـع ليافـا ، أكـون ع البحـر مـا بقبـل في حـدود 67 .» و«ع .ع» مـن مخيـم الجلـزون قـال «أنـا لاجـئ ، ولا عمـري بتخلـى عـن أرضـي اللـي تهجّـرت منهـا عـام 48» ، وأضـاف الشـاب المصـاب مـن قـرى رام الله : «نعيـش بسـلام وترجـع كل فلسـطين وكل اللاجئيـن ، وأرجـع أنـا لأرضـي . . .»

التحـرر بالنسـبة للشـاب «ع .ق» مـن قـرى رام الله الغربيـة يتمثـل في أن «يطلعـوا مـن أرضنـا فلسـطين . مـن رأس الناقـورة للنقـب إلنـا ، يمكـن يكـون علـى مراحـل ، بـس فلسـطين كلهـا لازم ترجـع .» ورأى الشـاب «ا .ح» مـن بلـدة سـلواد أن «اليهـود مـا إلهـم مـكان عنـا ، التحـرر هـو بخـروج آخـر مسـتوطن مـن هـاي الأرض ، ويرجـع الحـق لأصاحبـه .»

استخلاصات

تستخلص الباحثة ما يلي :

1. الاحتـلال هـو المسـبب الأساسـي للهبّـة الشـبابية ،لكـن تـردي الأوضـاع الاقتصاديـة أحـدُ العوامل التـي سـاهمت في تفجيـر الهبّـة . كمـا دفـع فشـل التسـوية السـلمية وغيـاب أفـق للحـل السياسـي الشـبابَ للخـروج في المواجهـات مـع الاحتـلال . ويمكـن اعتبارهـا أيضـاً تعبيـراً عـن غضـب

واحتجـاج علـى الوضـع الفلسـطيني الداخلـي .

2. تعبّـر الهبّـة الشـبابية عـن حالـة مـن فردانيـة العمـل النضالـي ، وتتركـز علـى فئـة معينـة مـن الشـباب ، ومناطـق محـددة . خـرج الشـباب في المواجهـات مـع جنـود الاحتـلال والمسـتوطنين دون تنظيـم أو تخطيـط ، ودون دعـم مـن المؤسسـات الرسـمية .

3. تشـير اللقـاءات إلـى أن أغلـب الشـباب الفلسـطيني قـد فقـد الثقـة بالمؤسسـات الرسـمية ، وخاصـة السـلطة الوطنيـة ، لكـن حالـة الانقسـام بـين «فتـح» و«حمـاس» تعيـق ترجمـة هـذه الحالـة مـن فقـدان الثقـة ، إلـى حـراك واسـع مـن أجـل التغييـر ، فأغلـب الشـباب يتعاملـون مـع وجـود السـلطة الوطنيـة كأمـر واقـع لا يمكـن تغييـره ، رغـم فقـدان الثقـة فيهـا ، ونهجهـا السياسـي ، حتـى بـين أوسـاط الشـباب الذيـن يدافعـون عـن وجودهـا ، وهـذا يعكـس حالـة مـن تشـتت الرؤيـة .

4. يشـير البحـث الميدانـي إلـى أن المجتمـع الفلسـطيني مجتمـع حزبـي إلـى حـد كبيـر ، ولـم يعبـر الشـباب عـن فقـد ثقتهـم بالأحـزاب رغـم غيـاب دورهـا في المواجهـات الشـبابية . ويعـود السـبب في هـذا إلـى ظاهـرة الانقسـام التـي أفـرزت معـاداة الآخـر لـدى الشـباب الفلسـطيني . مـا يدفعنـا لتعزيـز فكـرة أن المجتمـع الفلسـطيني مجتمـع حزبـي هـو نظـرة الشـباب للتغييـر ، فالأغلبيـة تـرى أن السـبيل للتغييـر هـو عبـر الوحـدة الوطنيـة وإنهـاء حالـة الانقسـام بـين «فتـح» و«حمـاس» . ولـم تمنـع حالـة عـدم الرضـا مـن أداء الأحـزاب مـن أخـذ زمـام المبـادرة والعمـل علـى الأرض كبديـل للحـزب .

5. لـم تظهـر بـوادر تفكيـر لـدى الشـباب بخلـق قيـادة جديـدة في ظـل الوضـع الراهـن . وفي الواقـع فـإن بعـض الشـباب تفاجـأ مـن طـرح السـؤال . الميـل الغالـب كان يتجـه إلـى التفكيـر بطريقـة استنسـاخ مـا كان يحـدث في الانتفاضـة الأولـى ، حيـث تفجـرت الانتفاضـة ضـد الاحتـلال دون تخطيـط مـن القيـادة السياسـية ، وبعـد ذلـك تبنـت هـذه القيـادة الانتفاضـة ونظمتهـا . علـى مـا يبـدو فـإن الأغلبيـة تفكـر في هـذه الطريقـة ، وتتوقـع خطـوات مـن القيـادة الرسـمية ، خاصـة مـن الأحـزاب ، رغـم غيـاب الثقـة ومشـاعر الغضـب تجاههـا ، ورغـم أن الهبّـة الشـبابية شـكلت حالـة وعـي متقدمـة تجـاوزت المؤسسـات الرسـمية والقيـادة السياسـية . وأكـدت أن الشـباب قـادرون علـى أخـذ زمـام المبـادرة ، والدفـاع عـن القضيـة الوطنيـة ، رغـم غيـاب الاسـتراتيجية ، والرؤيـة الوطنيـة الواضحـة .

6. المشـكلات التـي تواجـه الحركـة الوطنيـة الفلسـطينية في نضالهـا تتمثـل بالانقسـام وغيـاب قيـادة سياسـية جامعـة لمختلـف أطيـاف الشـعب الفلسـطيني .

الاهتمامات الثقافية وتجديد الحركة السياسية ؛ لقاءات مع شباب في محافظة رام الله

عبد الغني سلامة

الهدف من البحث ومنهجيته

يهدف البحث إلى تحليل اتجاهات الجيل الشاب من ناحية الاهتمامات الثقافية ، بالمعنى الواسع للثقافة ، (من الرواية والقصة ، للمسرح والشعر ، والفن التشكيلي ، والأغنية ، بما فيها الوطنية والشعبية ، والسينما ، والإبداع بكل أشكاله ، والمشاركة في فيسبوك ووسائل الاتصال الأُخرى) . ويستهدف البحث بصورة خاصة شريحة الشباب من الفئة العمرية من 15 إلى 29 سنة (ما يُعرف بجيل أوسلو) ، مع التركيز على منطقة محافظة رام الله والبيرة ومحيطها .

يسعى البحث لمعرفة اتجاهات الجيل الشاب وأهدافه وقيمه ومفاهيمه ، من زاوية تأثير البنية الثقافية عليه ، وتأثيره فيها ، وبالتالي قراءة إمكانية التجديد في الحركة السياسية الفلسطينية .

وستعتمد هذه الدراسة البحثية في منهجيتها على مقابلة مجموعات مركزة في المدارس والجامعات وأماكن عامة ، إلى جانب المقابلات الفردية وسط الضفة الغربية بشكلٍ أساسي ، والاستناد إلى المعلومات والتجارب الشخصية ، واستعراض قصص واقعية مميزة ، وأيضاً قراءات منتقاة لما نشره شباب على مواقع التواصل الاجتماعي .

يسعى البحث للإجابة عن سؤالين مركزيين ، الأول : ماذا يريد الجيل الجديد ، وما هي توجهاته ، ومعاييره ، وأهدافه؟ والثاني : هل يمكن استشراف ولادة حركة جديدة تأتي على أنقاض البنية (الرسمية والفصائلية) القائمة حالياً؟

في المقابلات الفردية والجماعية مع الفئات المستهدفة ، كان الحوار يتم بجوّ مريح ، يتم التأكيد مسبقاً أنه ليس اختباراً للمعلومات ، ولا لقياس مستوى الثقافة ، وليس فيه أي نية لإصدار حُكم ما ، إنما الهدف هو اكتشاف توجهات الشباب ، واهتماماتهم ، وتطلعاتهم ، وهمومهم .

جرى إنجاز 131 مقابلة فردية مع طلبة وشباب (من الجنسين) ، وفقاً للمعايير التي تم ذكرها سابقاً ، وأجريت المقابلات في جامعتي القدس وبيرزيت ، وفي مكتبة رام الله ، ومتحف محمود درويش ، وفي مقاهٍ شعبية ، وأماكن العمل ، والشارع ، والمنزل . وتم إجراء عشرة لقاءات جماعية لمجموعات مركزة ، تمت في مدارس ثانوية ، وفي جامعة بيرزيت ، وفي بيت الإبداع الفلسطيني ، ومؤسسة فلسطينيات . كان يتراوح عدد المجموعة من 3 أشخاص إلى نحو عشرين شخصاً .

حول واقع الشباب الفلسطيني

عاش الشباب الفلسطيني منذ احتلال الضفة الغربية وقطاع غزة (كما في ظل السلطة الوطنية) محاطين بجملة من التحديات والعراقيل ؛ أبرزها الإجراءات التعسفية القمعية من قبل سلطات

الاحتلال ، والتي بقدر ما كانت تعيق حركة الشباب وتصادر حرياتهم ؛ إلا إنها من جهة أُخرى حفّزت على إنتاج أدب مقاوم .

ومن التحديات الثقافية التي قيّدت الشباب ، وأخّرت من تبلور حالة ثقافية متقدمة ؛ غياب محفزات للإبداع والتطوير من قبل المؤسسات الرسمية ، إذ لم تكن هناك سياسات واضحة قادرة على تحفيز الشباب وتشجيعهم لإطلاق مبادراتهم وصقل مواهبهم وتطويرها (مثال ذلك ، غياب برامج مسابقات وجوائز خاصة بقطاع الشباب والثقافة ، وضعف أداء المؤسسات الرسمية تجاه هذا الموضوع) .

ومع أن بعض المعطيات تشير إلى اهتمام نسبي في الحياة السياسية من قبل طلبة الجامعات والمعاهد الفلسطينية ، خاصة في مواسم انتخابات مجالس الطلبة ؛ إلا إن الشواهد الواقعية ، التي أظهرتها المقابلات الفردية ، وأيّدتها نتائج المسح الذي أجراه الجهاز المركزي للإحصاء ، تشير إلى حالة من العزوف السياسي واللامبالاة تجاه المشاركة السياسية في الحياة العامة ، من قبل قطاع الشباب ، وهناك جملة من الأسباب عمّقت من هذه الحالة ، أبرزها : غياب الأمل في التغيير ، وانعدام الرؤية الواضحة ، ليس من قبل الشباب أنفسهم وحسب ؛ بل وأيضاً من قبل المؤسسات الرسمية والأهلية ، وغياب البدائل المقنعة ، إضافة إلى الإلحاح اليومي لتأمين متطلبات الحياة الأساسية ، أو محاولة بناء مستقبل شخصي لكل فرد ، هذا كله بدوره أدى إلى انطواء الشباب على ذاتهم ، وابتعادهم عن الهمّ العام ، والاهتمامات الثقافية .

ورغم ذلك ، فقد برزت حالات شبابية متقدمة ومتميزة ، سواء عبر الحراك الشبابي في إطار المقاومة الشعبية ، ومقاومة الجدار والاستيطان ، أو في الحملات المحلية لمقاطعة المنتجات الإسرائيلية ، أو حملات مقاطعة إسرائيل الأوسع انتشاراً (على المستوى العالمي) المعروفة اختصاراً بِـ BDS ، أو مبادرات شبابية لإنهاء الانقسام ، مثل حركة 15 آذار ، وتمرد على الظلم في غزة ، وغيرها من التجارب الواعدة ، ليس في الحقل السياسي وحقل المقاومة وحسب ، بل وأيضاً في المجالات الثقافية والفنية والاجتماعية والتطوعية ، التي يمكن البناء عليها ، وتطويرها ، ومن الأمثلة على ذلك ، مبادرة بيت الإبداع الفلسطيني ، ومنتدى شارك الشبابي ، ومبادرة بيت لحم تقرأ .

باختصار ، بعد مرور أكثر من عقدين على تأسيس السلطة ، وبعد أكثر من عقد على نهاية الانتفاضة الثانية ، وتغير المشهد السياسي بالكامل ، فلسطينياً وإقليمياً ودولياً ، وبعد خمس سنوات على «الربيع العربي» ، وتفجّر الأحداث والاضطرابات في البلدان المجاورة ، وصعود ما يسمّى بالحركات الجهادية ، وبعد سنوات من الانقسام الفلسطيني ، ووصول المفاوضات إلى حائط مسدود ، وتعثر العملية السياسية ، ومع تراجع دور الفصائل الوطنية ، وضعف قدراتها على المواجهة . في ظل هذا المشهد المعقد ، كان المسرح معدّاً لاستقبال الوافد الجديد : الهبّة التي انطلقت في خريف سنة 2015 ، والتي كان عمادها الشباب .

نماذج من وصايا شهداء الهبّة الأخيرة

لعلّ وصايا الشهداء ، وتحليل ما كتبوه على صفحاتهم الشخصية ، وتعليقات ذويهم وأصدقائهم على نبأ استشهادهم ، تعطي فكرة عمّا كان يجول في خواطرهم ، وما الذي كان يؤرقهم ، وما

الـذي دفعهـم للتضحيـة بحياتهـم ، مـع ملاحظـة أن أغلـب هـذه الوصايـا كُتبـت علـى عجـل ، علـى ورق متواضـع مقتطـع مـن دفتـر مدرسـة ، بأخطـاء إملائيـة . . . وصايـا أقـل مـا يُقـال عنهـا أنهـا تثيـر الحيـرة ، والغضـب ، والإعجـاب أيضـاً ، لنتابـع بعضهـا :

1. عُثـر في منـزل الشـهيد مؤيـد الجبارين (20 عامـاً) علـى وصيـة موجهـة إلـى والديـه ، يبـدو أنهـا كتبـت بخـط يـده ، قـال فيهـا : «يـا رب تسـامحيني يـا أمـي ، يـا رب تسـامحني يـا أبـي ، سـوف أقتـل جنديـين إسـرائيليين ، وأخـذ بثـأري منهـم ، لا تزعلـي يـا أمـي إبنـك شـهيد ورافـع رأس فلسـطين ، أتمنـى أن تسـامحوني ، وإن شـاء الله شـهيداً ، وآسـف جـداً جـداً علـى مـا سـببته لكـم ، وإن شـاء الله ربنـا بصبركـم .»[51]

2. الشـهيد مهنـد حلبـي (19 عامـاً) ، وهـو طالـب جامعـي ، ومقـرب مـن الجهـاد الإسـلامي ، وقـد استشـهد في الأسـبوع الأول مـن الهبّـة ، كتـب ليلـة استشـهاده : «حسـب مـا أرى ، فـإن الانتفاضـة الثالثـة قـد انطلقـت ، مـا يجـري للأقصـى هـو مـا يجـري لمقدسـاتنا ومسـرى نبينـا ، ومـا يجـري لنسـاء الأقصـى هـو مـا يجـري لأمهاتنـا وأخواتنـا ، فـلا أظـن أنّـا شـعب يرضـى بالـذل ، الشـعب سـينتفض ، بـل ينتفـض .»

وكان قـد وجـه رسـالة إلـى الرئيـس «محمـود عبـاس» قبـل ثلاثـة أيـام مـن استشـهاده ، معلقـاً علـى خطابـه في الأمم المتحـدة : «كلمـة جميلـة أيهـا الرئيـس ، لكـن عـذراً ، نحـن لا نعـرف قـدس شـرقية وغربيـة ، فقـط نعـرف أن لنـا قدسـاً واحـدة غيـر مقسـمة ، وكل بقعـة فيهـا مقدسـة .» وأضـاف : «وعـذراً أيهـا الرئيـس ، فمـا يحـدث لنسـاء الأقصـى لـن توقفـه الطـرق السـلمية ، فمـا تربينـا علـى الـذل ، والدفـاع عـن حرمـة الأقصـى ونسـائه هـو شـرفنا وعرضنـا ، والدفـاع عنـه بـأي شـكل أو وسـيلة يعـدّ قانونيـاً .»

ومـن المفارقـات أن مهنـد حلبـي هـو صديـق الشـاب ضيـاء تلاحمـة ، الـذي استشـهد قبـل أيـام في مدينـة الخليـل ، حيـث وضـع حلبـي صـورة رفيقـه تلاحمـة علـى صفحتـه الشـخصية بموقـع «فيسـبوك» ، وعلّـق عليهـا : «تأملـوا جيـدا ، أنظـروا إلـى وجهـه فيهـا ، علامـات مخلـص واثـق ، مبتسـم ، متيقـن ، فـرح ، شـامخ ، صامـد ، قـوي ، مستبشـر ، جميـل ، نعـم إنـه الشـهيد .» والـد الشـهيد الحلبـي قـال عـن ابنـه : «مهنـد إنسـان عـادي يحـب الجميـع ، لا يوجـد لديـه كبريـاء ، وهـو اجتماعـي ، ويمـزح مـع الجميـع .» [52]

3. الشـهيد بهـاء عليـان (22 عامـاً) ، كتـب وصيتـه قبـل 10 شـهور مـن تنفيـذه عمليـة في حافلـة إسـرائيلية ، أي قبـل انـدلاع الانتفاضـة بفتـرة طويلـة ، حيـث أطلـق عليـان النـار برفقـة الشـهيد بـلال غـانم (23 عامـاً) علـى ركاب حافلـة إسـرائيلية ، مـا تسـبب بمقتـل مسـتوطنين اثنـين وإصابـة 16 مسـتوطناً بجـراح .

وذكـر أصدقـاء للشـهيد عليـان ، بأنـه كان ناشـطاً مثقفـاً ، وقـد أحـبّ الحيـاة وانغـرس في العمـل

51 وصية الشهيد مؤيد الجبارين لعائلته ، وكالة معا الإخبارية ، https://www.maannews.net/Content.aspx?id=821592 .14-1-2016

52 آخـر مـا كتبـه الشـهيد مهنـد الحلبـي علـى صفحتـه في "الفيسـبوك ، إذاعـة صـوت القـدس ، 4-10-2015 . http://qudsradio.ps/ar/index.php?act=post&id=6788

التطوّعـي ، وعـاش حياتـه مبـادراً طموحـاً ؛ فلـه ينسـب الفضـل في مشـروع أطـول سلسـلة قـراءة حـول أسـوار القـدس ، التـي شـارك فيهـا نحـو 7000 فلسـطيني ، والتـي دخلـت موسـوعة الأرقـام القياسـية «غينيـس» كأكبـر سلسـلة للقـراءة في العالـم . كمـا أطلـق حملـة لجمـع التبرعـات لغـزة في الحـرب الأخيـرة (2014) ، كمـا دشـن مجموعـة البهـاء التـي ضمـت ثلاثـة مشـاريع (مطبعـة ومنتـدى شـبابي وألعـاب للأطفـال) ، واضعـاً نصـب عينيـه تطويـر الإمكانيـات الثقافيـة والاجتماعيـة لشـباب القـدس .

وقـد أوصـى الشـهيد بهـاء عليـان الفصائـل الفلسـطينية كافـةً بعـدم تبنـي استشـهاده ، مؤكـداً أن موتـه كان للوطـن وليـس لهـم ، وألا يحـزن أحـد علـى استشـهاده ، وألا يُعتبـر رقمـاً ، موصيـاً بالمحبـة بـين النـاس ، وأن لا يغرسـوا حـب الانتقـام في ابنـه ، وألا يُرهـق أهلـه بالأسـئلة .[53]

4. الشـهيد أمجـد السـكري (34 عامـاً) وهـو رقيـب أول في الشـرطة الفلسـطينية ، وعمـل مرافقـاً لرئيـس نيابـة رام الله ، متـزوج وأب لأربعـة أطفـال ، أصغرهـم سـتة شـهور ، نفـذ عمليـة إطـلاق نـار مـن مسـافة قريبـة علـى حاجـز بيـت إيـل شـمال مدينـة البيـرة ، أسـفرت عـن إصابـة 3 مـن جنـود الاحتـلال . وكان الشـهيد قـد التقـط لنفسـه صـورة «سـيلفي» قبيـل استشـهاده بسـاعات ، وكتـب علـى صفحتـه : «علـى هـذه الأرض مـا يسـتحق الحيـاة ، بـس للأسـف مـش شـايف شـي يسـتحق الحيـاة ، مـا دام الاحتـلال يكتـم علـى أنفاسـنا ، ويقتـل إخواننـا وأخواتنـا ، اللهـم ارحـم شـهداءنا ، واشـف جرحانـا ، وفـك قيـد أسـرانا ، أنتـم السـابقون ونحـن اللاحقـون .» [54]

5. الشـهيد أحمـد عامـر (16 عامـاً) مـن بلـدة مسـحة غـرب سـلفيت ، طلـب في وصيتـه مـن والديـه أن يسـامحاه ، وأن لا يذكـرا محاسـنه ، بـل يذكـرا مسـاوءه ، حتـى يسـامحه النـاس عليهـا . وفي ختـام وصيتـه طلـب الشـهيد أحمـد مـن عائلتـه سـداد ديـن عليـه لثلاثـة أشـخاص (مـا مجموعـه 60 شـيكلاً) ، أحدهـم لصديقـه ، كان لـه ديـن عليـه مقـداره 8 شـواكل .[55]

6. وفي بلـدة قَطَنّـة ، شـمال غـرب مدينـة القـدس تـرك الشـهيد أحمـد طـه (20 عامـاً) وصيتـه ، وجـاء فيهـا «قـال تعالـى «أذن للذيـن يقاتلـون بأنهـم ظلمـوا وأن الله علـى نصرهـم لقديـر . . الذيـن أخرجـوا مـن ديارهـم بغيـر حـق إلا أن يقولـوا ربنـا الله» ، صـدق الله العظيـم . . . إن هـذه الآيـة تنطبـق طبـق الأصـل علـى واقعنـا ، هـذا لمـا يفعلـه المسـتوطنون اليهـود بنـا وبالقـدس . فعلينـا أن نثـأر منهـم . . . وأنـا أوصيكـم أن تكونـوا علـى نهـج الشـهداء ، وأن لا تترددوا بتنفيـذ عملياتكـم البطوليـة . . . فمـن كيانـي الشـخصي أعلـن تنفيـذ عمليـة نصـرة لنبينـا محمـد صلـى الله عليـه وسـلم ونصـرة للمسـجد الأقصـى والمسـاس بأعراضنـا . . . ولا تحزنـوا إن هُـدم البيـت فبـإذن الله يبنـي الله لنـا بيتـا في الجنـة .»

53 بهـاء عليـان ، الشـهيد المثقـف ، دنيـا الوطـن ، 24-10-2015. http://www.alwatanvoice.com/arabic/news/2015/10/24/799010.html

54 الصفحـة الشـخصية للشـهيد أمجـد سـكري علـى موقـع فيسـبوك . https://ar-ar.facebook.com/people/امجد-سـكري ابوعمـر/100006295232123

55 الشهيد أحمد عامر يوصي بتسديد ديونه ، زمن برس ، 9-3-2016. http://zamnpress.com/news/94514

7. أما الشهيد محمد الكالوتي (21 عاماً) من كفر عقب شمال القدس المحتلة ، وأحد منفذي عملية إطلاق النار في مدينة القدس المحتلة ، فقد طلب في وصيته أن لا يتم تبني استشهاده من أي من الفصائل ، وألا يرفع شيء إلا راية رسول الله ، وألا يحزن أحد عليه ، وقال في وصيته «لا تحزنوا على بيت من حجر يهدم . . أراكم في الجنة إن شاء الله .»[56]

8. الشهيد محمد سعيد عليان (21 عاماً) من سكان بلدة عناتا شرقي مدينة القدس المحتلة ، طالب التمريض في الكلية العصرية الجامعية ، وأحد النشطاء في حركة الشبيبة الطلابية ، وأحد القادة الميدانيين في المواجهات اليومية . كتب على صفحته على فيسبوك قبيل استشهاده بأيام : «إلى جميع الأخوة والأخوات في عناتا ، ضاحية السلام المخيم ، حد زعلان من حد يسامحه لأنو هلقيت [في هذا الوقت] أي حد احتمال يكون شهيد» . . . وكان قد خاطب أمه قائلاً : «من كثر ما بحبك يا أمي رح أخليكي تصيري أم الشهيد .» [57]

9. رشا عويصي (23 عاماً) من قلقيلية ، واستشهدت في 9-11-2015 ، كتبت في وصيتها : «أمي الغالية ، لا أعرف ماذا يحدث ، فقط أعرف أن طريقي انتهى ، وهذا الطريق اخترته بكامل وعيي دفاعاً عن وطني والشباب والبنات . لم أعد أحتمل ما أرى ، لكن الذي أعرفه هو أني لم أحتمل ، أهلي أمي وأخوتي سامحوني على كل شيء ، ما بوسعي غير أني فعلا أحبكم ، وخاصة خطيبي سامحني على كل شيء ، ما بوسعي غير هذا الطريق ، أنا آسف على هذا الرحيل .» [58]

وللمقاربة مع وصايا شهداء من الجيل السابق ، نستحضر وصية الشهيدة دلال المغربي التي استشهدت في آذار 1978 ، وهي في عمر قريب من أغلب شهداء الانتفاضة الراهنة ، وقد كتبت في وصيتها ما يعكس بوضوح فكر حركة «فتح» التي انتمت إليها ، وتحديداً تيار السرية الطلابية ، وقالت وصيتها : «وصيتي لكم جميعا أيها الإخوة حملة البنادق تبدأ بتجميد التناقضات الثانوية وتصعيد التناقض الرئيسي ضد العدو الصهيوني ، واستقلالية القرار الفلسطيني (...) . أحبائي لا يهم المقاتل حين يضحي أن يرى لحظة الانتصار ، سأراها بعيني رفيقي فاستمروا .»

كانت وصية دلال ، وصية شابة نالت تدريبا سياسياً ، وفكرياً ، وعسكرياً ، وترى صورة شاملة وواضحة للثورة والنضال ، وتعكس درجة عالية من الوعي والنضوج السياسي . في وصايا شهداء الهبّة الحالية ، تركيز على الباعث الديني والوطني للاستشهاد ، ووصايا للأم ، وأحياناً قضايا فردية ، مثل التوصية بتسديد ديون بمبالغ بسيطة جداً ، تركها الأطفال الشهداء خلفهم ، وربما التوصية بأن يكون الدفن بجانب شهيد أو قريب ، أحبّه صاحب الوصية .[59]

الشهداء الأوائل كانوا جزءاً من ثورة ، يضطر «الموساد» للذهاب لبيروت وتونس وروما وباريس

56 زويا المزين ، «سامحوني . . ولا تحزنوا» ، الحياة الجديدة 10-3-2016. http://www.alhaya.ps/ar_page php?id=1137e-4fy18054735Y1137e4f

57 دنيا الوطن ، 20-11-2015.

58 "رشا عويصي تزف شهيدة وعروساً" ، قدس الإخبارية ، 20-12-2015. http://www.qudsn.ps/article/80915

59 أحمد جميل عزم ، «وصية شهيد» ، الغد الأردنية ، 11-3-2016 .

لاغتيالهم ، بعد أن يكونوا قد دوّنوا نهجاً لمن بعدهم ، أو ثورة ترسل دلال المغربي ومن معها عبر البحر في تحدٍّ إعجازي ، كما حصل من قبل في عملية السافوي 1975 ، أو كما حصل من بعدها في عملية معالوت-ترشيحا 1974 ، الدبّويا 1980 ، وديمونا 1988 ، وهناك العديد من العمليات التي قامت بها فصائل المقاومة في السبعينيات والثمانينيات ، واستشهد فيها عديدون بدوافع وطنية خالصة ، منها عملية مطار اللد ، والخالصة ، وكريات شمونة ، وكفار يوفال ، والطائرة الشراعية وغيرها . حيث كانت العملية الفدائية تستغرق أشهراً وسنوات من الإعداد والتخطيط والتفكير . الفرق بين دافع عمليات الهبّة الراهنة والعمليات السابقة ، أن في السابقة كان الدافع وطنياً ، والآن الدافع بين الوطني والديني والشخصي .

الملاحظ في وصايا الشهداء أن كاتبيها كانوا يستشعرون دنوَّ استشهادهم ، ومنهم من كان يخطط ويسعى لذلك ، ولديهم دوافع متعددة ؛ بعضهم غلب عليه الدافع الديني ، متأثراً بثقافته عن مكانة الشهيد ، والحديث عن الجنة الموعودة ، وبعضهم خرج بدوافع وطنية ، متأثراً بالخطاب السياسي التحريضي السائد ، والجمل والشعارات الثورية المتداولة في الخطاب الفصائلي ، ومنهم خرج بدوافع يمتزج فيها الدافع الديني مع الوطني ، مع الرغبة بالدفاع عن «الشرف» ، متأثراً بما تتعرض له النساء الفلسطينيات ، من مضايقات واستفزازات ، خاصة من قبل الجنود والمستوطنين . ومنهم من خرج لأسباب شخصية ، أو ثأرية ، متأثراً بخسارة شخصية له ، كاستشهاد قريب أو صديق ، أو هدم بيته ، أو تعرضه للذل والإهانة على أحد الحواجز ، ما ولّد لديه رغبة بالانتقام .

قراءة في نتائج البحث الميداني

المقابلات الشخصية والاستطلاعات التي تضمنها هذا البحث (راجع الملاحق في هذا البحث) ، تعبر عن العينة المستطلعة فقط ، ولا تعكس رأي شريحة الشباب بأكملها ، لكنها تقدم وجهة نظر وجيهة ، ومهمة ، وتتضمن آراء وتوجهات واقعية ، وتعطي فكرة عما يجري في مجتمعنا الفلسطيني .

ومع الأخذ بعين الاعتبار ما سبق ، يمكن تلخيص أهم استخلاصات البحث كالتالي :

أولاً : سمات جيل [الهبّة الانتفاضية] وخصائصه [60]

1. رفضت فئات واسعة من الشباب الفلسطيني الرضوخ للواقع ، ورفضت الاستسلام لشروط الاحتلال ، فخرجت في هبّة (لم تتحول إلى هبّة شعبية) ، واشتبكت مع الاحتلال في موجة كفاحية جديدة .

2. نسبة ملموسة من الشباب الفلسطيني لم تعد تثق بالفصائل ، لأن برامجها النضالية بدت باهتة بالنسبة لها ، ولأنها كرست الانقسام . وجزء كبير لم يعد يثق بالقيادة ، لأنها عجزت عن حمايتهم ، وأخفقت في تحقيق أي حلّ سياسي ، أو في بناء أي نموذج يحترم في بناء السلطة وإدارتها . (راجع ملحق 1 بند 2 ، 5 ، 8 ، 12)

3. الأغلبية الساحقة من المشاركين في فعاليات الهبّة هم من فئة الشباب والفتية ، وهم جيل

60 عبد الغني سلامة ، «الانتفاضة ، وعودة الروح الكفاحية» ، مجلة سياسات ، العدد 34 ، كانون الأول 2015 ، معهد السياسات العامة ، رام الله .

يعانـي فقـدان الأمـل مـن عمليـة التسـوية ، ومـن خيـارات القيـادة الفلسـطينية ، وعجـز النظـام السياسـي الفلسـطيني عـن تقـديم برامـج وخطـط وطنيـة في إطـار فكـري سياسـي مقـاوم ، أو في إطـار خطـط تنميـة وطنيـة تمنحهـم الأمـل بالمسـتقبل . (راجـع ملحـق 2 ، بنـد 13 ، 15)

4. ينتمـي الشـباب المنتفـض إلـى فئـات اجتماعيـة متنوعـة ، مـن المخيمـات والمـدن والأريـاف ، منهـم مـن ينتمـي إلـى الطبقـات المسـحوقة والمهمشـة ، ومنهـم مـن ينتمـي إلـى عائـلات ميسـورة الحـال ، وحتـى ثريـة ، ومنهـم مـن فئـات مثقفـة ومتعلمـة ، مـا يعنـي تهافـت مقولـة أن الفقـر والبطالـة واليـأس هـو الدافـع المحـرك لهـم ؛ بـل إن تحليـلاً سـريعاً لهويـة مـن استشـهدوا في المواجهـات الأخيـرة ، سـواء في المظاهـرات أو خـلال تنفيذهـم عمليـات طعـن ، يبـيّن أنهـم كانـوا ، حتـى لحظـة استشـهادهم ، في كامـل أناقتهـم ، وإقبالهـم علـى الحيـاة ، وكان منهـم نشـطاء وقـادة اجتماعيـون (الشـهيد فـادي علـون مثـالاً) .

5. جـاءت الهبّـة لتحمـل رسـالة راسـخة ومتجـددة تؤكـد خسـران الرهـان الصهيونـي علـى أن الأجيـال الفلسـطينية الجديـدة سـتقبل بالهزيمـة والرضـوخ لاشـتراطات الاحتـلال .

6. بعـد موجـة الطائفيـة والتطـرف الدينـي والمذهبـي التـي اجتاحـت المنطقـة ، نجـد أن جيـل الشـباب الفلسـطيني المنتفـض ، ممـن يدخلـون حيـز الفعـل لأول مـرة ، يمارسـون النضـال الوطنـي ، كمناضلـين وطنيـين فلسـطينيين ؛ فهـم يريـدون أن يكونـوا جـزءاً مـن العالـم المعاصـر ، مندمجـين في الحضـارة الإنسـانية لا معاديـن لهـا ، جيـلاً حـراً واثقـاً مـن نفسـه ، يفخـر بفلسـطينيته وكوفيتـه ، وعلمـه .[61]

7. مشـاركة واضحـة للمـرأة الفلسـطينية ، خاصـة الشـابات وطلبـة الجامعـات ، وبشـكل مختلـط وهـذا لـه دلالات اجتماعيـة مهمـة .

ثانياً : سمات الهبّة الشبابية وخصائصها

1. بالرغـم مـن قـوة الهبّـة الشـبابية في بداياتهـا ، والتـي حظيـت بدرجـة عاليـة مـن التعاطـف الشـعبي ، وليـس المشـاركة الشـعبية ، إلا إنهـا لا تملـك ، للأسـف ، مؤهـلات الديمومـة والاسـتمرار ؛ بسـبب افتقارهـا إلـى القيـادة ، وإلـى الحاضنـة السياسـية والشـعبية ، كمـا كان الأمـر في الانتفاضتـين السـابقتين .[62]

2. لـم تتمكـن هـذه الهبّـة لغايـة هـذه اللحظـة مـن تحريـك المجتمـع الدولـي ، أو إجبـار الإدارة الأمريكيـة علـى أن تتصـرف وتأخـذ موقفـاً جديـاً ، أو إحـداث اختـراق في الموقـف الإسـرائيلي ، أو في إجبـار الطرفـين للجلـوس علـى طاولـة المفاوضـات ، بـل إنهـا حتـى لـم تحـرك الجماهيـر العربيـة .

3. حملـت هـذه الهبّـة معانـيَ سياسـية مهمـة (بالرغـم مـن افتقارهـا لهـدف سياسـي معلـن وواضـح) ؛ فقيمتهـا الحقيقيـة في فعـل الاشـتباك نفسـه ، وليـس في ماهيـة الأهـداف السياسـية التـي مـن المفتـرض أن تحملهـا ، حيـث أعـادت الهبّـة توجيـه البوصلـة إلـى حيـث يجـب أن تكـون ، أي نحـو فلسـطين ، وباتجـاه مقارعـة الاحتـلال ومقاومتـه ، وأرجعـت مسـألة العلاقـة مـع إسـرائيل إلـى نصابهـا الحقيقـي ، أي مقاومـة شـعبية ضـد محتـل مسـتعمر اسـتيطاني ، بمعنـى أن الهبّـة

61 د . فضل عاشـور ، نقلاً عن صفحته الخاصة . https://www.facebook.com/fadel.abujamal/posts/1009815489041030?pn-ref=story

62 جميل هلال ، «شباب فلسطين يطرقون الجدران» ، مجلة الدراسات الفلسطينية ، العدد 105 ، شتاء 2016 .

أسسـت لمرحلـة جديـدة في العلاقـة مـع إسـرائيل ، ووفـرت فرصـة للخـروج مـن حالـة اللامقاومـة ، واللامفاوضـات التـي اتسـمت بهـا المرحلـة السـابقة .

4. مـع اسـتمرار الهبّـة الفلسـطينية ، وأمـام الزخـم الإعلامـي المطالـب بتأييدهـا ، وجـدت القيـادة والفصائـل الفلسـطينية نفسـها مضطـرة لتأييـد هـذا الحـراك ، لكـن الواضـح حتـى اللحظـة أن أغلبيـة الفصائـل الفلسـطينية ، بمـا فيهـا «حمـاس» ، غيـر معنيـة بانتشـار الهبّـة وتعميمهـا وتحويلهـا إلـى انتفاضـة شـعبية شـاملة ، وغيـر معنيـة بـأي شـكل مـن التصعيـد ، وقـد صـرّح أكثـر مـن ناطـق باسـم حمـاس مـا مفـاده أن الحركـة لا تريـد الدخـول علـى خـط المواجهـة العسـكرية مـع إسـرائيل .

5. قـد بـدا لـي مـن خـلال المقابـلات الشـخصية والجماعيـة ، أن أغلـب الشـبان غيـر راضـين عـن القيـادة ، وغيـر منخرطـين في الفصائـل الموجـودة حاليـاً ، وقـد فقـدوا ثقتهـم بهـا إلـى حـد كبيـر . (راجـع ملحـق 1 ، بنـد 1 ، 9 ، 12) ومـا يدعـم هـذه النظريـة شـواهد واقعيـة بـرزت في الفتـرة الأخيـرة ؛ فمثـلاً معظـم فعاليـات الانتفاضـة هـي مبـادرات فرديـة لشـبان وأطفـال مـن الجنسـين ، في الوقـت الـذي عجـزت فيـه الفصائـل عـن الانخـراط في الانتفاضـة ، أو توجيههـا ، أو حتـى التأثيـر فيهـا . كمـا حـدث في حـراك المعلمـين وإضرابهـم المنظـم الـذي دام قرابـة الشـهر (آذار 2016) ، وخرجـت فيـه العديـد مـن المسـيرات الشـعبية ، التـي اسـتقطبت عشـرات الآلاف مـن المعلمـين ، كمـا تكـرر الأمـر في المسـيرة الجماهيريـة التـي خرجـت احتجاجـاً علـى قانـون الضمـان الاجتماعـي (نيسـان 2016) ، في حـين أخفقـت الفصائـل الوطنيـة في تحشـيد أعـداد موازيـة مـن الجماهيـر في قضيـة وطنيـة حساسـة ومهمـة جـداً ، مثـل قضيـة الأسـرى ، وقـد لاحظنـا أن المسـيرة التـي دعـت إليهـا القـوى الوطنيـة في يـوم الأسـير لـم تكـن بحجـم المسـيرات التـي دعـت إليهـا جهـات نقابيـة غيـر سياسـية .

6. فعاليـات «الانتفاضـة» جـرت مـن دون قيـادة ، ومـن دون ناطـق إعلامـي ، ومـن دون تنسـيق بـين المناطـق والفعاليـات ، ومـن دون رؤيـة سياسـية واضحـة ، أو اسـتراتيجية بعيـدة المـدى ، ومـن دون تخطيـط مسـبق . والأخطـر مـن ذلـك أنهـا دون هـدف سياسـي محـدد . ومعظـم فعاليـات الانتفاضـة إمـا فرديـة ، أو جماهيريـة عفويـة ، أو بدعـوات مـن مجالـس الطلبـة في الجامعـات (وهـي مجالـس مسيّسـة ، وتتبـع للفصائـل) ، والملاحـظ أن الفئـات الاجتماعيـة الأُخـرى بقيـت في حالـة مـن الترقـب والانتظـار ، كمـا أن مطالـب فعاليـات الهبّـة ذات الطابـع الشـعبي ، تمحـورت حـول قضايـا مطلبيـة آنيـة (اسـتعادة جثامـين الشـهداء ، إطـلاق سـراح أسـرى ، الاحتجـاج علـى سياسـة الاعتقـال الإداري ، التضامـن مـع أسـير مضـرب ، فـك الحصـار عـن منطقـة معينـة ، أو فتـح شـارع ، أو إزالـة حاجـز) ولـم تطـرح أسـئلتها حـول القضايـا الكبـرى ، مثـل قضايـا الحـل النهائـي .

7. في المراحـل السـابقة ، كان الكفـاح الفلسـطيني دفاعـاً عـن النفـس ، والثـورة ، والأرض ، وكان لـه هـدف سياسـي محـدد وواضـح (وهـو مـا زال قائمـاً ومسـتمراً) ، ولـم يكـن آنـذاك قلـق وجـودي علـى المسـتقبل . أمـا اليـوم ، حتـى لـو ظـلّ النضـال دفاعـاً عـن النفـس والأرض ، إلا إنـه يأتـي مترافقـاً مـع قلـق وجـودي علـى المسـتقبل ، مـع صـورة ضبابيـة لـه ، والسـبب في هـذا القلـق الوجـودي أن الأهـداف السياسـية للقيـادة لـم تعـد علـى الدرجـة نفسـها مـن الوضـوح ، بسـبب تضـاؤل الخيـارات وانغـلاق المسـارات واحـداً تلـو الآخـر ، وبسـبب ضعـف الثقـة في القيـادة ، وربمـا بسـبب ضعـف برامـج التوعيـة والتوجيـه الوطنـي . (راجـع ملحـق 1 ، بنـد 2 ، 6 ، ملحـق 2 بنـد 13 ، 27)

ثالثاً : دوافع الشباب ومحفزاتهم للاشتباك المباشر مع المحتل

1. معظم الأفراد المشاركين في الهبّة لا ينتمون إلى حزب سياسي بالمعنى التنظيمي . ما يشير إلى أن الأيديولوجيا والشعارات السياسية ليست هي المحرك والدافع والمحرض لهم . كما أظهرت بعض فعاليات الشباب العديد من حالات التمرد على القيادة ، أو التصرف من دون انتظار تعليماتها ، أو خلافاً لتلك التعليمات .

2. من بين أهم الدوافع التي أخرجت الشباب لساحات المواجهة ، تنامي مشاعر الغضب والسخط التي تكوّنت وتراكمت في وعيهم ، ومن خلال مشاهداتهم لاعتداءات الجيش والمستوطنين وممارساتهم الاستفزازية ، ولم تكن تلك المشاعر منقطعة عما تراكم في وعيهم مسبقاً من إحساسهم بالمسؤولية الوطنية والدينية تجاه ما يجري في القدس من عمليات تهويد ، واقتحامات متكررة للأقصى ، وسياسات الاستيطان وهدم البيوت . والملفت للانتباه أنهم حوّلوا مشاعرهم الحانقة إلى يأس إيجابي ، دفعهم للخروج وهم مفعمون بالأمل والتحدي ، لذلك شهدنا الكثير من المظاهر الحضارية الإيجابية في المواجهات ، مثل الرقص والدبكة ، وإقامة الاحتفالات والغناء الجماعي ، ولعب كرة القدم أمام الجنود ، واجتراح أشكال مقاومة إبداعية غير مألوفة ، ومواجهة الاعتقالات بالابتسامة ، وغناء نشيد «موطني» في مختلف المدن الفلسطينية ، وبعض أماكن الشتات في الوقت نفسه ، والاحتفال بعيد ميلاد أحد النشطاء قبالة الحاجز الإسرائيلي . . .

3. علينا الانتباه إلى أن التعبئة التي مارستها وسائل الإعلام المختلفة ، وخاصة وسائل التواصل الاجتماعي ، من خلال الصور والأفلام القصيرة ، كان لها دور في تحريك مشاعر الغضب ، والتحريض على الخروج لدى قطاعات معينة من الشباب . لذلك ، شاهدنا بعض ردود الأفعال المباشرة ، والتي كان أكثرها متسرعاً ، ودون تخطيط ، فمثلاً صور عمليات الإعدام الميداني ، والتنكيل بالجرحى والمعتقلين (مثال ذلك صورة الطفل المعتقل أحمد مناصرة في تشرين ثاني 2015) ، وصور الشهداء ، كلها لعبت دوراً تحريضياً ، ومثل هكذا ردات أفعال ، تكون عفوية ، وعاطفية ، لا تدوم طويلاً .

4. بعض عمليات الطعن والدهس تمّت لدوافع شخصية ، ولأسباب ثأرية ناتجة عن الاعتقال والتعذيب والإهانة ، أو هدم البيت ، أو خسارة قريب من الدرجة الأولى ، أو صديق مقرب ، وكان المنفذون ضحايا مباشرين لاعتداءات الجيش والمستوطنين ، هم أو أقاربهم . وطبعاً ، لا خلاف على حق كل إنسان بالدفاع عن نفسه ، ولكن هناك فرق كبير من حيث الكفاءة والفعالية والأثر بين العمليات الفردية ذات الطابع الثأري الانفعالي ، وبين العمل العسكري المدروس والمنظم ؛ فالفعل العاطفي الارتجالي في الأغلب يكون على حساب التفكير والقياس . الحالات التالية عبارة عن أمثلة على هذا :

الشهيدة مرام حسونة (20 عاماً) من عائلة ميسورة الحال من مدينة نابلس ، أمضت عاماً ونصف في سجون الاحتلال ، ولم تنسَ ما عانته لحظة اعتقالها ، والفترة الصعبة التي قضتها هناك ، حيث تعرضت للإهانة والتعذيب من قبل الجنود الذين تسببوا لها بجروح صعبة ، معنوية وجسدية . فعادت بعد عامين لتنتقم بعملية طعن على حاجز عسكري قرب طولكرم ، لتستشهد هناك .

قال والدها إن مرام كانت شابة مدللة ، وهي وحيدة من بين ثلاثة أشقاء ، لم يمنعها ذلك من تلبية نداء الواجب الديني والوطني ، حسب تعبيره ، وأضاف : «مرام كانت شديدة الحساسية لما يجري حولها ، وفي الفترة الأخيرة كان كل حديثها حول الشهداء والجنود والاقتحامات ، وكل ما يذكّرها بما تعرضت له خلال اعتقالها في سجون الاحتلال» . (وكالة فلسطين اليوم الإخبارية ، 22-12- 2015) .

في بداية شباط 2016 ، قام ثلاثة شبان من بلدة قباطية هم أحمد زكارنة ، ومحمد كميل ، وأحمد أبو الرب ، بتنفيذ عملية طعن وإطلاق نار في القدس ، أسفرت عن استشهادهم الثلاثة . يقول عمّ الشهيد زكارنة ، الشيخ حسن : إن أحمد يذهب لعمله في «المشتل» معه منذ الصباح الباكر وحتى المساء . صبيحة يوم استشهاده أخبر عمه بأنه ذاهب للسوق ليشتري نظارة طبية جديدة ، وبعد ساعتين اتصل العمّ به فأخبره أحمد بأنه سيتأخر ساعة أخرى ، وبعد ساعتين اتصلت العائلة به ، وإذا بجواله مغلق ، اعتقد الأهل بأن بطارية الجوال قد نفذت ، لكن مع ذلك لم يتبدد قلقهم عليه ، حتى كانت الصدمة بأن شاهدوا صورة هويته على الشاشة وعلى الإنترنت . لم يتوقع أحد أن أحمد سيقوم بهذا العمل البطولي ، أحمد هو الابن الأكبر . يقول العم حسن إن هذا الجيل غريب في درجة كتمانه وسريته ، فكيف اجتمع ثلاثة شبان ، كل واحد منهم من عائلة مختلفة ، وخططوا لهذه العملية دون أن يشعر أحد بهم . اتضح لاحقاً أن الشبان الثلاثة كانوا يلتقون ليلاً عند قبر صديقهم الشهيد أحمد عوض أبو الرب ويبكونه ، وقد أصرّوا على التخطيط للثأر لاستشهاده .[63]

5. كما تبين لنا في سياق البحث ، أن بعض عمليات الطعن كانت بتلفيق من سلطات الاحتلال ، بمعنى أن الضحية الفلسطيني لم يكن بصدد تنفيذ أي عمل عسكري ، وربما كان يتجنب ذلك ، فأعدمته قوات الاحتلال بدم بارد ، ثم لفّقت تهمة الطعن لتبرير عملية قتله أمام الإعلام العالمي ، وإظهار الإسرائيلي في صورة الضحية . الحالات التالية ، وهي من أرض الواقع تؤكد ذلك : الشهيدة الجامعية هديل الهشلمون (18 عاماً)[64] ، والشهيدة بيان العسيلي من قلقيلية (17 عاماً) ، الأم إسراء عابد من سكان الناصرة[65] ، الشهيد فادي علون (19 عاماً) ، من العيسوية [66] ، مرام صالح (24 عاماً) وأخوها إبراهيم (16 عاماً) اللذان استشهدا على حاجز قلنديا .[67]

رابعاً : آفاق تجديد الحركة السياسية الفلسطينية

من الصعوبة بمكان التنبؤ بشكل الحركة التي من المتوقع أن يشكلها الجيل الجديد ، وماهيتها وطبيعتها ، كما يصعب تحديد موعد ولادتها ، إلا إنه بالإمكان رسم معالم عامة لشكل هذا المولود المرتقب ، وتحليل الظروف والمعطيات التي يمكن أن تؤدي إلى ولادته .

63 د . محمد أبو الرب ، أستاذ الإعلام الاجتماعي ، جامعة بير زيت . من صفحته الخاصة على الفيسبوك .

64 محمود عبيدات ، «الشهيدة بيان العسيلي رفعت رأس والدها» ، العربي الجديد ، https://www.alaraby.co.uk/socie-ty/2015/10/19/

65 المركز الفلسطيني للإعلام . 7-10-2015 .

66 وكالة معا ، 4-10-2015 .

67 وكالة معا الإخبارية ، 27-4-2016 .

ومن الواضح أن الشباب المنتفض ليس لديه تصور معين أو رؤية واضحة عن بنية الحركة الوطنية التي في طور التشكل وطبيعتها ومهامّها (حسبما أفاد العديد ممن تمت مقابلتهم) ، وما زالت الكثير من القضايا والأمور المهمة موضع تساؤل واستفسار . والمشكلة أن لا أحد (بما فيهم الشباب) يجيب عليها .

ومع كل مظاهر عزوف الشباب عن العمل السياسي ، ورغم أن أكثرية من جرت مقابلتهم ، عبّروا عن عدم تأييدهم للقيادة الحالية ، أو على الأقل تحفظهم على مواقفها وخطابها ، إلا إن أي مراقب سيلحظ مشاركة نشطة وفعالة للشباب في الفعاليات الشعبية والوطنية ، سواء في المسيرات أم الاعتصامات ، أم المهرجانات الخطابية التي تُقام في مناسبات معينة . وكذلك المشاركة والحماسة الواضحة في موسم الانتخابات الطلابية (وهي انتخابات فصائلية) والتي جرت في الشهرين السابقين (نيسان/أبريل وآذار/مارس – 2016) ، ما يعني أن المواقف ما زالت متباينة ، ومن غير الممكن الحسم بجمل قاطعة وأحكام نهائية ، أن جيل الشباب مع التوجه الفلاني ، أو ضد التوجه العلني .

ربما نكون على مشارف ميلاد حركة وطنية جديدة ، ولكن ، ربما لم تكتمل شروط ميلادها بعد ، وهي بحاجة إلى بعض الإنضاج ، لأن التسرع في استقدام هذه الحركة قبل أوانها قد يفضي إلى نتائج عكسية ، تحديداً في هذه المرحلة التي تسود فيها الفوضى في الإقليم العربي بشكل عام ، كما أن الجيل الشاب قد لا يحمل بالضرورة المعاني والقيم الإيجابية الثورية ، لاسيّما وأنه خضع لتأثيرات سلبية تركت بعض الأثر على قطاعات منه .

ليس من المتوقع أن يتسم حراك جيل الشباب الصاعد بالطابع الديني أو الأصولي ، لأن معظم الظروف والمعطيات التي أدت لنشوء تيارات الإسلام السياسي وتقويتها بدءاً من ثمانينيات القرن الماضي ، قد تغيرت ، ونشأت محلها معطيات جديدة ومختلفة . لعل ممارسات الجماعات الإسلامية المتشددة ، وخاصة داعش ، قد أعطت صورة مشوهة للإسلام ، الأمر الذي نبّه الجيل الجديد إلى طبيعة الإسلام السياسي (راجع ملحق 2 ، بند 2 ، 9 ، 10) ، ومن جانب آخر متصل ، فإن النموذج البائس في الحكم الذي قدمته حماس في غزة ، والذي قاد القطاع لحالة غير مسبوقة من التراجع على كافة المستويات ، سيجعل الشباب من الجيل الجديد ينظر بعين مختلفة لشعارات الإسلام السياسي ، التي كانت تجذب أجيالاً سابقة . وبالتالي لم تعد هذه التنظيمات تشكل نموذجاً محبباً للشباب ، باستثناء فئات محددة تمثل نسبة مئوية ضئيلة تنجذب للأفكار المتطرفة ، وخلاف ذلك سيظل الجيل الشاب ينظر للإسلام كدين متسامح ، تربطه به علاقة روحية فردانية . وفي جميع الحالات ، من شبه المؤكد أن الدين والثقافة الدينية سيظلا حاضرين في الحياة السياسية العامة ، والمشهد الثقافي العام ، وليس شرطاً أن يكون بشكل الإسلام السياسي الذي عرفناه .

من خلال المقابلات الفردية والجماعية ، يمكن القول أن الأغلبية الساحقة من الأشخاص ، لا يعرّفون أنفسهم كأناس متدينين في إجاباتهم ، وبعضهم أجاب أن علاقته بالدين علاقة روحية شخصية ، كما أجاب عدد منهم بأنهم مؤمنون ، ولكنهم غير ملتزمين بالعبادات ، وربما كان عدد الأشخاص الذين أبدوا إعجاباً وتأييداً لحركات الإسلام السياسي (بما فيها حماس) لا يتجاوز العشرة ، من بين أكثر من 131 شخصاً تمت مقابلتهم ، وإن كان جميع من تمت مقابلتهم قد

أبدوا احتراماً واضحاً للدين ، فإنه لا أحد منهم وافق على وسم نفسه بالمتدين المتشدد ، بمن فيهم أنصار حماس .

ومن غير المرجح أن يكون شكل الحركة الوطنية الجديدة ومضمونها يسارياً ، نظراً إلى ضعف التنظيمات اليسارية الحالية ، وضعف تأثير اليسار على المستوى المحلي والعالمي ، هذا الضعف الذي توضح وتفاقم بدءاً من بداية التسعينيات ، التي شهدت انهيار المنظومة الاشتراكية . لكن المهم بالنسبة إلى الشباب هي قيم الحرية ، والمساواة ، والعدالة الاجتماعية ، وهي قيم يتبناها اليسار بشكل عام .

على الأغلب ، سيكون المولود القادم حركة وطنية فلسطينية ، فيها سمات وملامح من اليسارية والليبرالية والإسلامية ، إلى حدّ ما ، وستكون خليطاً متجانساً تعددياً ديمقراطياً . ونظراً لخصوصية الحالة الفلسطينية ، وبسبب الاحتلال الإسرائيلي ، فإن أي حركة وطنية فلسطينية ، لا بد أن يكون جوهر برنامجها مقاوماً ، وقد عبّر بعضهم عن تأييده للمقاومة الشعبية (ملحق 2 ، بند 17 ، 23) ، وآخرون عن تأييدهم للعمليات الاستشهادية (الفدائية) (ملحق 2 ، بند 12 ، 19) ، فيما رفض بعضهم العنف (ملحق 2 ، بند 3 ، 4 ، 5 ، 9) ، لأن معيار الالتفاف الشعبي حولها سيكون مقدار مقاومتها للاحتلال . وإلى جانب الطبيعة الثورية لهذه الحركة ، سوف تتسم ، على الأرجح ، بالحداثة والديناميكية ، في خطابها السياسي ، وفي نهجها وأساليبها وآليات عملها ، لأنها ، ما لم تكن كذلك ، لن ترى النور ، وربما هذا سبب تأخر ولادتها إلى الآن ، أي بسبب عدم اكتمال هذه الشروط ونضوجها .

هذه السمات تذكّر إلى حدّ كبير بتوجهات حركة «فتح» كما كانت في مراحلها الأولى ، ولو حافظت «فتح» على هذه التوجهات ، وجددت في قيادتها وأطرها التنظيمية وهياكلها وبرامجها السياسية ، لما كان هناك أيّ داعٍ للحديث عن حركة وطنية جديدة .

على مستوى الإنتاج الثقافي والفني والأدبي ، قد نشهد فلسطينياً أشكالاً وأعمالاً جديدة تتسم بروح التمرد والخروج عن المألوف ، والنزعات الفردية ، والتحرر من التابوهات ، وستكون البنية الثقافية مشدودة للمستقبل أكثر ، ومتحررة من إرث الماضي أكثر . (ملحق 1 ، بند 4 ، ملحق 2 ، بند 2 ، 7 ، 13 ،15 ، 25 ، 30) .

الملاحق

ملحق رقم 1 : آراء شبابية من وحي الهبّة الشبابية

في أثناء المقابلات الفردية واللقاءات مع المجموعات المركزة[68] ، تم التركيز على الأسئلة والجدال الذي يمكن من خلاله قراءة آفاق ولادة حركة وطنية جديدة واحتمالاتها . ويمكن تلخيص أبرز ما جاء على لسان المشاركين على النحو التالي :

1. سليمان الزبن ، (22 عاماً) طالب الإدارة في جامعة القدس المفتوحة ، قال : «القيادة الحالية استُهلكت ، ويجب تغييرها .»

2. ناصر سالم (23 عاماً) ، طالب الهندسة في جامعة بيرزيت ، قال : «أرى حالة من التخبط والفوضى في أداء القيادة ، وهاي الحالة خربطت أحوالنا .»

3. رنا ياسين (20 عاماً) ، طالبة التمريض في الكلية العصرية ، قالت : «أنا مثلاً انتخبت الشبيبة الفتحاوية ، رغم إني مش راضية عنهم ، وبعتقد أن القيادة يجب تجديدها وليس تغييرها .»

4. أيمن زهاوي (25 عاماً) ، خريج جامعي ، قال : «من فترة طويلة ، وإحنا ما بنشوف غير الهزائم والتراجع ، وكل المطروح عبارة عن مزاودات ، وعشان هيك أنا اعتزلت السياسة ، وحالياً عندي مشروعي الخاص ، وبعتقد إنه نجاحي الخاص يفيد الوطن أكثر من البيانات السياسية .»

5. لينا سلامة (26 عاماً) وتعمل موظفة بشركة خاصة ، قالت : «كل المؤسسات والتنظيمات الموجودة في الساحة غير مقنعة ، ولازم تجيبوا شي جديد .»

6. عبر أغلبية طلاب الصف الحادي عشر من مدرسة بيتونيا الثانوية عن عدم فهمهم لما يجري ، وعدم قدرتهم على توقع شكل المستقبل ، فيما تباينت آراؤهم حول موقفهم من السلطة . بعضهم قال إنه مؤيد لفتح ، وآخرون قالوا إن فتح فيها فساد ، إلا إن الجميع تقريباً أكدوا أن لا أحد من القيادات ، ولا الفصائل ، ولا أي من المسؤولين قد توجه إليهم ، سواء عن طريق المدرسة ، أو خارجها .

7. رأت طالبات الصف العاشر في مدرسة سميحة خليل في البيرة ، أنهن لا يعرفن الكثير عن أفكار الأحزاب السياسية الموجودة ، وأنهن يرين أن الثقافة والعلم يجب أن يكونا ركيزتين أساسيتين لبناء المستقبل . وعبّرت بعضهن عن سعادتهن بتجربة الانتخابات الطلابية المدرسية ، وقلن إن الانتخابات العامة هي وسيلة الخلاص الوطني ، والحل الأمثل لإنهاء معضلة الانقسام .

8. في لقاء مع مجموعة صغيرة من طلبة جامعة بيرزيت ، قالت حنين الأسعد (20 عاماً) إن

68 الأسماء الواردة وافقت على النشر باسمها .

الشبّان يجب يقودوا الانتفاضة الحالية ، لأن القيادة السياسية الحالية «تعبانة ومستهلكة .» أما ماجدة كحيل (22 عاماً) ، فقالت : «يجب تجديد قيادة السلطة ، لأن العمل السياسي بده [يحتاج] روح فدائية ، مش خطاب دبلوماسي .» في حين قالت تغريد فراج (22 عاماً) : «أنا بحترم أبو مازن ، وبشوف إنه قائد صريح وشجاع ، وهاي هي حدود إمكانياته ، وغير هيك بصير انتحار وتهور ، واحنا مش ناقصنا خطب عنترية عالفاضي [من دون فائدة] .»

9. مؤيد العيسى (19 عاماً) ، في تعليقه على إقدام قوات الاحتلال على حرق محل للصرافة في رام الله ، في نيسان 2016 ، قال : «السلطة مش قادرة تحمينا ، أي دورية إسرائيلية بتدخل وين ما بدها ، والشرطة الفلسطينية ما بتعمل شي ، إذا شو فايدة السلطة؟»

10. «و . ز» (28 عاماً) ، من سكان رام الله ، اعتقلت سلطات الاحتلال شقيقها الأصغر ، قالت : «احنا عيلتنا مع فتح ، بس فتح اليوم ، والسلطة كلها عاجزة عن حمايتنا ، أجوا اعتقلوا أخوي من نص رام الله ، وما حدا عمل شي! لازم نثور عالقيادة ، ونرجع فتح فدائية زي زمان .»

11. «خ . ن» (26 عاماً) ، ربة بيت ، من سكان البيرة ، قالت :»السلطة فاسدة ، أخوي معتقل عند الوقائي ، لأنه من حماس ، ولازم كل القيادة تتغير ، لأن السلطة بس بتحمي اليهود ، وبتعتقل أي شاب بفكر يقاوم» .

12. وحيد حمادة (29 عاماً) ، موظف في السلطة ، قال : «المشكلة ليست بالأشخاص ؛ فقياديي الصف الأول الحاليين كان لهم تاريخ نضالي مشرف ، لكن المناصب غيرتهم ، والمشكلة أن الثورة تحولت إلى حكومة قبل التحرير ، فنشأت علاقة شاذة بين رجال الثورة ورجال وهم الدولة ، وأصحاب رؤوس الأموال ، وبقايا أعوان الاحتلال من المراحل السابقة . في النهاية تخلت القيادة عن نهجها الثوري ، وتحول الثائر البسيط إلى مراسل وموظف وحائر . . . ومع ذلك ما زلت أراهن على كوادر فتح ،وكوادر الانتفاضة الأولى الذين لم ينغمسوا بالسلطة .»

13. نبيلة قاسم (25 عاماً) ، خريجة كلية العلوم ، جامعة النجاح ، قالت : «عمري ما كنت مع الفصائل ، لأن الفصائل ظلت مشغولة باتهام غيرها ، وبتسجيل انتصارات على غيرها من الفصائل ، أما السلطة ، فلم تعد تعبّر عن الشعب كما يجب ، وهي مشغولة بالتنسيق الأمني» ، وأضافت : «أتوقع أن تخرج من الأجيال الجديدة طاقات شابة إبداعية ، ستكون هي صاحبة مشروع التغيير .»

14. ياسر أبو قطيش (26 عاماً) ، طالب ماجستير دراسات دولية في بير زيت ، قال : «سياسات السلطة الاقتصادية أنتجت جيلاً لا يهتم بقضايا الوطن ، ولا تشغله السياسة ، وصار كل همّ الشاب مشروعه وحياته الخاصة ، أو السفر ، أو هموم العيش .» وأضاف : «لا أراهن على الجيل الجديد ، وأرى أن الشباب الذين يخرجون في فعاليات الانتفاضة يخرجون بدافع اليأس أو الغضب ، أو الاحتجاج على كل شيء» وختم قائلاً : «إذا لم تقم ثورة داخلية على الوضع الحالي ، فعلى الحركة الوطنية السلام» .

الملحق 2 : آراء أُبديت في مقابلات فردية وجماعية [69]

1. الناشط في حركة الشبيبة الطلابية محمد بركات (23 عاماً) قال إن الهبّة الحالية فجّرها الشباب بعد أن سمعوا خطاب الرئيس «محمود عباس» أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة ، والذي قال فيه بوضوح إن الحل السياسي وصل طريقاً مسدوداً ، وإن الفلسطينيين لا يمكن لهم أن يقبلوا باستمرار الوضع الراهن ، وإن السلطة في حِلّ من كافة التزامات أوسلو ، لأن الطرف الإسرائيلي لم يلتزم بها . وكما تلاحظ أن الانتفاضة من حيث التوقيت ، اندلعت مباشرة في اليوم التالي لخطاب أبومازن .

2. الناشطة منى اشتية ، (23 عاماً) تعمل في مؤسسة فلسطينيات في مجال التمكين المجتمعي ، ولديها موهبة إبداعية في الرسم والنقش على الزجاج ، وتفضل القراءات الفلسفية ، وتهوى مشاهدة الأفلام الوثائقية ، وتشارك بصورة دائمة في أنشطة ثقافية ، ومنتسبة لأربع مؤسسات تطوعية ، وتعتبر أن مشاركة من هم دون الـ 18 في أعمال الانتفاضة غير مقبول ، لأنهم أطفال ، وأنها لن تشارك في أي انتخابات ، لأنها لا ترى جدوى من السلطة ، ولا تفكر في الهجرة ، ولا تعتبر نفسها متدينة .

3. الموظفة سندس فقيه (27 عاماً) ، تعمل في مؤسسة فلسطينيات ، في مجال التمكين المجتمعي ودعم القطاع الشبابي والمرأة ، مع أنها غير مواظبة على القراءة ، إلا إنها متابعة للأخبار والشأن العام ، وتشارك بصورة متقطعة في الأنشطة الثقافية والأمسيات الأدبية والفنية ، وتدعم الأعمال التطوعية وتؤيدها ، وسبق لها أن شاركت في مبادرات شبابية ، وهي بشكل عام مؤيدة لسياسات السلطة ، ولا تؤمن بالعنف والتشدد ، وتمقت كل الجماعات المتعصبة والطائفية ، وتصنّف نفسها مستقلة ، ولدى سؤالها عن رأيها بالفصائل ، قالت : «هم اليوم مش زي زمان ، وبطّلوا يقاوموا ، بس حالياً ما في بديل عنهم .»

4. الطالب عدي يحيى ، من الصف العاشر (17 عاماً) ، يعمل بعد المدرسة مساعداً لوالده في الحراثة ، مقيم في بيتونيا ، يقول إنه غير مستعد للتضحية بنفسه على حاجز عسكري إسرائيلي ، مقابل محاولة طعن ، معتبراً هذا ضرباً من الانتحار ، ويقول إنه لا يقرأ أي كتاب من خارج المناهج المدرسية ، وليس له ميول أدبية ، ولا يجد وقتاً لقضائه على شبكة التواصل الاجتماعي .

5. السيدة «غ . ر» (29 عاماً) مقيمة في رام الله ، وتعمل موظفة ، قالت «إن هذا الجيل يفاجئنا في كل مرة ، ولم نعد نفهمه» ، وإن صديق شقيقها في الصف التاسع كان أحد الأطفال الذين شاركوا في عملية طعن جندي إسرائيلي ، وكانت هذه مفاجأة صادمة ، لأنه متفوق في المدرسة ،وهادئ الطباع ،وليس لديه أي ميول للعنف ،ولم نلاحظ عليه اهتمامه بالسياسة .

6. السيدة ربى العوري (22 عاماً) ، تعمل موظفة ومتطوعة في مؤسسة فلسطينيات ، تقول إن

69 الأشخاص الواردة اسماؤهم وافقوا على نشرها .

ليس لديها هواية المطالعة ، لكنها تتابع الأخبار ، وخاصة الاقتصادية والمنوعة ، وإنه ليس لديها اهتمامات أدبية معينة ، ومن النادر أن تشارك في أمسيات ثقافية ، لكنها من رواد السينما ، ولا تهتم بالسياسة ، ولا تؤيد الهجمات بالسكاكين على الحواجز ، خاصة من قبل الأطفال ، وإنها لم تبلور موقفاً محدداً بشأن الانتخابات القادمة ، فيما لو حصلت .

7. نادين مسلم (22 عاماً) طالبة الإعلام في بيرزيت ، تقول إن الثقافة صقلت شخصيتها وأثرت فيها كثيراً ، وهي ناشطة اجتماعياً ، وعضو في فرقة فنونيات للدبكة ، وكثيراً ما تشارك في أنشطة تطوعية ، وتحضر أمسيات ثقافية بصورة مستمرة ، ولديها اهتمامات بقضايا البيئة ، ولكنها لا تهتم كثيراً بالسياسة ، وتؤكد أنه ليس لديها استعداد للانضمام إلى أي فصيل سياسي ، وأن انتماءها هو فقط إلى فلسطين .

8. فادي شطارة (22 عاماً) ، طالب جامعي ، يقرأ من 5–6 كتب سنوياً ، معظمها روايات ، وكتب تاريخية ، ويقول إنه لا يقرأ الجرائد ، لكنه يتابع الأخبار من خلال المواقع الإخبارية ، وهو لا يبحث عن مقالات معينة ، ويقول إنه لا يتوقع شيئاً من الجيل الجديد ، ما دام النظام التعليمي وثقافة المجتمع لم يتغيّرا . هو لا يحضر السينما ، لكنه يشاهد الأفلام عن طريق التلفزيون ، وهو يحب الموسيقى بأنواعها ، ولا يثق حالياً بأي فصيل ، ولا يشارك في فعاليات الانتفاضة .

9. مجد حمد (22 عاماً) ، طالبة الإعلام في بيرزيت ، تقرأ أكثر من أربعين كتاباً سنوياً ، تتنوع بين الروايات والسياسة والتاريخ ، وتتابع الأخبار من خلال الراديو ، ولديها اهتمامات بقضايا البيئة ، وهي ناشطة وتحب الأعمال التطوعية ، وغالباً ما تحضر أمسيات أدبية ، أو أفلام سينمائية رومانسية ودراما وكوميدية ، تحب الشعر والروايات ، ومطالعة المقالات الخفيفة ، ولا تجد الوقت الكافي لممارسة هواياتها (الرحلات والطبخ والمطالعة) . هي تصنف نفسها بأنها مؤمنة ، ولكنها غير ملتزمة بالعبادة ، وليس لديها ثقة عالية بالقيادات الحالية ولا الفصائل ، ولا تؤيد الهجمات التي يقوم بها أطفال على الحواجز ، ولا تؤيد العمليات العشوائية التي لا تكون ضمن سياق وطني واضح . وتقول إنه يتوجب نزع الوصاية عن الجيل الجديد ، ومنحه الحرية حتى «يطلع منّه شي [ينجز شيئاً] .»

10. مهند البياري (25 عاماً) ، طالب دراسات عليا في علم الاجتماع في جامعة بيرزيت ، يطالع شهرياً بحدود أربعة كتب ، ما بين روايات وعلم اجتماع ونقد الفكر الديني والفلسفي ، يقرأ لماركس وأنجلز ونيتشه ، وجورج طرابيشي ، ومحمد شحرور ، ونصر حامد أبو زيد ، ويقول إنه غير متدين ، ولديه اهتمامات أدبية ، ويحب شعر أحمد مطر ومظفر النواب وروايات غسان كنفاني وتولستوي وإبراهيم نصر الله ، ويكتب في صحيفة الاتجاه وموقع الحوار المتمدن ، وإنه لا يثق بالصحف المحلية ، مؤمن بقدرات الجيل الجديد ، لكنه بحاجة إلى توجيه وقيادة ، والتركيز على بناء الفرد منذ الصغر .

11. كوثر عطاالله ، طالبة في الثانوية العامة (عاماً) ، لا تتابع الأخبار ، ولديها فكرة غامضة عن

عالـم السياسـة ، وتعتبـره شـأناً خاصـاً بالكبـار ، تحفـظ الكثيـر مـن أبيـات الشـعر ، لكـن ليـس لديهـا اهتمـام خـاص بـالأدب ، وتحـب الأفـلام ، ومسلسـلات الدرامـا ، وتسـمع الموسـيقى الأجنبيـة ، وبعـض الأغانـي الحديثـة ، وتعتقـد أن الأعمـال التطوعيـة شـيء إيجابـي ، ولكنهـا حاليـاً غيـر منتسـبة لأي جمعيـة ، وتعتقـد أن رقابـة الأهـل تمنعهـا مـن المشـاركة في الأنشـطة غيـر المدرسـية ، وعنـد سـؤالها عـن رأيهـا بالمواجهـات واندفـاع الشـباب ، أجابـت قائلـة : «مـش مسـتعدة أخسـر حياتـي عالفاضـي [بـلا نتيجـة] .»

12. فـاروق فواقـا (23 عامـاً) طالـب في الكليـة العصريـة ، ومتطـوع في «بيـت الإبـداع» ، يقـرأ الجريـدة فقـط إذا مـا وجدهـا أمامـه ، ويركـز فقـط علـى العناويـن ، وهـو ميّـال لحركـة فتـح ، وقـد شـارك في معسـكرات معايشـة مـع قـوات الأمـن الوطنـي في أريحـا ، ويقـول إن رأيـه تجـاه قـوات الأمـن الفلسـطيني تغيـر كثيـراً بعـد تلـك المشـاركة ، وصـارت نظرتـه لهـا إيجابيـة ، بـل ونظـرة اعتـزاز . ويضيـف أنـه يعتـز بتضحيـات الشـباب ، وأنـه لا يقبـل وصفهـم بالانتحاريـن .

13. بـراء حمامـي ، خريـج الإعـلام مـن الكليـة العصريـة (24 عامـاً) ، عاطـل عـن العمـل ، يقـوم مـع زميلـه فـاروق بتأسـيس وكالـة إخباريـة غيـر مسيسـة ، وتهتـم بالإنتـاج السـينمائي ، قـال إنـه قلـق مـن المسـتقبل ، وإن السـلطة لـن توفـر لـه فرصـة عمـل ، وإنـه رغـم عـدم رضـاه عـن أداء السـلطة ، إلا إنـه يـرى أنهـا ضروريـة ، حيـث توفـر الأمـن للمواطـن ضمـن حـدود إمكانياتهـا ، ووجودهـا «أحسـن مـن اللجـوء للقضـاء والأمـن الإسـرائيلي كمـا كان زمـن الاحتـلال .» ويعتبـر حركـة فتـح هـي الأسـاس ، وأنهـا طليعـة القـوى الوطنيـة ، لكـن حسـب تعبيـره «فتـح صـارت فتحيـة» ، في إشـارة إلـى تراجـع دورهـا .

14. فـاروق وبـراء يقومـان بعمـل فنـي إبداعـي باسـتعمال كاميـرا تفاعليـة ، يقومـان بحملهـا داخـل المظاهـرات وأثنـاء المواجهـات ، فتصـور الحـدث بحيـث يبـدو للمشـاهد كأنـه وسـط الميـدان ، مـا يزيـد مـن درجـة التفاعليـة مـع الأحـداث . ويعتبـران عملهمـا هـذا نوعـاً مـن المقاومـة الإبداعيـة ، إضافـة إلـى ذلـك ، لديهمـا مشـاركات وعـروض في مسـرح الشـارع ، منهـا مـا هـو منشـور علـى قنـاة «يوتيـوب» .

صابريـن نصـار موظفـة (28 عامـاً) ، مقيمـة في البيـرة ، تحـب مشـاهدة الأفـلام الواقعيـة الاجتماعيـة والوثائقيـة العلميـة ، وتشـارك بشـكل متقطـع في أنشـطة ثقافيـة وأدبيـة ، وهـي منتسـبة لإحـدى الجمعيـات الثقافيـة ، وتسـتمع للموسـيقى الكلاسـيكية وأغانـي الطـرب ، وتعتبـر الأدب الفلسـطيني جيـداً وفي طريقـه للتحسـن ، وتـرى أن السـلطة فيهـا الكثيـر مـن مظاهـر الفسـاد ، وهـي غيـر راضيـة عـن أداء الفصائـل الوطنيـة كلهـا ، وتعتبـر أن موجـة التطـرف الطائفـي في المنطقـة تصـبّ في مصلحـة الاحتـلال فقـط .

15. أميـرة الشـافعي (19 عامـاً) طالبـة في سـنتها الأولـى بجامعـة بيرزيـت ، كتبـت بشـأن انتخابـات مجالـس الطلبـة ، تحـت عنـوان «إقـرار واعتـراف» : «اصطفـافي علـى الحيـاد هـو بالدرجـة الأولـى حفاظـا علـى مبادئـي الوطنيّـة والسياسـية أوّلا ، والأدبيّـة أخيـراً ، وترفّعـي عـن منـح صوتـي لأي

جهـة لا يعنـي أنّـي لا أفقـه في السياسـة شـيئاً ، فـلا داعـي أن تشـرح لـي عـن حصـار عرفـات وحـرب غـزة ومـا إلـى ذلـك ، ولا داعـي أبـداً لإقناعـي بفكـرة أن المجلـس ممثّـل طلابـي داخـل حـدود الجامعـة وأن لا صلـة لـه بماهيـة الحـزب وحركتـه الطلابيـة ، الانتخابـات مسيّسـة بطريقـة مقرفـة ، والمعايـرات بمـا اقتـرف هنيّـة ونسّـق عبّـاس هـي مسـخرة لا بـد منهـا ، كمـا أن كونـي طالبـة سـنة أولـى لا يعنـي أنّنـي أجهـل آليـة وحقيقـة انتخابـات المجلـس ، أتابعهـا منـذ أعـوام وأقرفهـا كذلـك ، لا داع لمحـاولات اسـتقطاب تسـتحمر وتسـتتفه الإبـداع والعقـول ، وتجعـل مـن طالـب جامعـيّ بكافـةً تجاربـه وكونـه مجـرّد صـوت يـزج في صنـدوق انتخابـي ، ولـو كانـت الحـركات الطلابيـة فعـلا تدعـو بشـكل أساسـي لإنصـاف الطالـب وصيانـة حقوقـه لمـا كانـت الحـركات تتنافـس بهـذا الكـم مـن العنصريـة والسـذاجة ، وكأنّ بيرزيـت صـارت فلسـطين ، والانتخابـات وطنيـة لا جامعيـة . لـن أنتمـي .»[70]

16. وحيـد حمـدان ، طالـب جامعـي ، (22 عامـاً) يتابـع الجرائـد مـن خـلال مواقعهـا الإلكترونيـة ، ويشـاهد المحطـات الإخباريـة والوثائقيـة والرياضيـة ، قـرأ مجموعـة غسـان كنفانـي كاملـة ، ومعظـم دواويـن محمـود درويـش ، وبعـض الروايـات مـن أدب أمريـكا اللاتينيـة ، يشـارك في حمـلات التوقيـع التـي تطالـب بالإفـراج عـن معتقلـين ، أو قضايـا البيئـة ، وغيرهـا مـن القضايـا العالميـة ، سـافر عـدة مـرات في دورات تدريبيـة ومخيمـات شـبابية ، ولديـه أصدقـاء أجانـب ، ومنهـم يهـود ولكـن لا يؤيـدون إسـرائيل ، عـن الجيـل الجديـد قـال «لازم نتركهـم ونعطيهـم هامـش حريـة ، حتـى لا يطلعـوا يشـبهوا الجيـل القـديم .»

17. كريسـتين حدادين ، طالبـة جامعيـة ، (21 عامـاً) قـرأت بعضـاً مـن كتـب إدوارد سـعيد ، تحـب السـينما والمسـرح ، وسـبق أن كانـت في فرقـة فنيـة ، تعتبـر الثقافـة شـيئاً مهمـاً في حيـاة الشـعوب ، وتعتقـد أن أهـم أسـلوب لمقاومـة الاحتـلال هـو مقاطعـة منتجاتـه ، وتؤمـن بالمقاومـة الشـعبية ، وعـن رأيهـا بالمفاوضـات والكفـاح المسـلح ، قالـت : «المفاوضـات طلعـت كلهـا فاشـلة ، والكفـاح المسـلح إذا كان عشـوائي ، بكـون عالفاضـي ، وبجيـب نتائـج عكسـية .»

18. عواطـف نعمـان (24 عامـاً) ، ربـة بيـت ، قالـت أنهـا لا تهتـم بالقـراءة ، وليـس لديهـا شـغف بالشـعر أو الروايـات ، ولـم يسـبق لهـا أن دخلـت سـينما أو مسـرح ، ولكـن لديهـا صفحـة علـى فيسـبوك ، وتطالـع العناويـن والمـواد الخفيفـة ، وخاصـة الدينيـة ، وفي رمضـان تكثـر مـن قـراءة القـرآن ، وعـن رأيهـا بمشـاركة الشـبان في الانتفاضـة قالـت : «الله يقويهـم ، هـذول أبطـال» ، وعـن رأيهـا بالقيـادة والفصائـل ، قالـت : «يعنـي بعرفـش [لا أعـرف] عنهـم كثيـر ، بـس ، بظلـوا هـم القيـادة ، ولازم نـرد عليهـم .»

19. محسـن فـارس ، سـنة رابعـة كليـة الهندسـة ، (22 عامـاً) مواظـب علـى مطالعـة الكتـب الدينيـة والتاريخيـة ، لا يشـاهد السـينما ، ولا يسـتمع للموسـيقى ، ولا يعـرف شـيئاً عـن المسـرح أو مـدارس الفـن الحديـث ، ويعتبرهـا «فنـون لا لـزوم لهـا» ، ملتـزم دينيـاً ، ومؤيـد لحركـة حمـاس ، منتسـب

70 زيـاد خـداش ، الصفحـة الخاصـة بالكاتـب زيـاد خـداش علـى موقـع فيسـبوك . https://www.facebook.com/permalink.php?story_fbid=939825329449390&id=100002657960463

لأكثر من جمعية خيرية ، ويشارك في أعمال تطوعية ، لا يؤمن بالمفاوضات والحل السلمي ، ويؤيد بتحفظ العمليات «الاستشهادية» ، وهو رغم تأييده الظاهر لحماس ، إلا أنه غير راضٍ عن أدائها ، والسبب على حد تعبيره «أنها ابتعدت عن المقاومة ، وصارت تتحول لفتحٍ ولكن بثوب إسلامي .»

20. جمانة غانم ، (21 عاماً) من كلية الآداب في جامعة بيرزيت ، تحب المطالعة الحرة ، لديها إلمام بالمسرح والفن المعاصر ، تتابع الأفلام السينمائية عن طريق الإنترنت ، تفضل الكتّاب المحليين ، تحب الأغاني الحديثة ، والمسرحيات الكوميدية ، تؤمن بالأعمال التطوعية ، لكنها لم تشارك بها حتى الآن ، وقالت عن الجيل الجديد : «بهتمش [لا يهتم] بالسياسة والثقافة ، وكل همّه كرة القدم ، ومباريات البرشة والريال .»

21. إياد خواجا ، (27 عاماً) ناشط اجتماعي ، ومهتم بقضايا الشباب ، ويشارك في أعمال تطوعية ، يحب الأدب الروسي ، ويقرأ لمحمد الماغوط ، ومدوح عدوان ، ويحب أشعار أحمد فؤاد نجم ، ويستمع لسميح شقير والشيخ إمام ومارسيل خليفة ، يهتم بالفنون التعبيرية ، ويواظب على حضور فعاليات مهرجان رام الله للرقص المعاصر ، لديه ميول يسارية ، لكنه قال : «زمان كان عنا يسار ، بس هسّا [الآن] عنا يسار متهالك» ، وهو معارض للسلطة ، ونهجها الأمني ، ولديه ثقة بالجيل الجديد ، ولكنه لا يعوّل كثيراً على الفصائل .

22. عوني برغوثي ، (21 عاماً) ، جامعي ، شارك في العديد من المواجهات ، خاصة في بدايات الانتفاضة الحالية ، يطالع الأدب الفلسطيني ، يقرأ لغسان كنفاني ، وسحر خليفة ، وأحمد عوض ، وإبراهيم نصر الله ، وعبد الرحمن منيف ، لا يهتم كثيراً بالشعر ، وغير مطلع على المسرح والفنون التشكيلية ، يستمع للأغاني الوطنية ولأم كلثوم وفيروز ، يشارك بشكل متباعد بالأمسيات الثقافية ، قال في وصف الحالة الفلسطينية : «بعد موت أبو عمار ، خربت الأوضاع ، وخربت فتح ، والسلطة ، وحالتنا بتصعب عالكافر .»

23. غزل الناطور (20 عاماً) طالبة في جامعة بيرزيت ، تقرأ باستمرار ، وتفضل الكتب السياسية والشعر والمسرح والموسيقى ، وهي عضو في فرقة الفنون الشعبية ، وتشارك بصورة دائمة في الفعاليات الثقافية ، وخاصة أمسيات توقيع الكتب والإصدارات في متحف محمود درويش ، ولديها اهتمامات بيئية ، وتشارك في الأنشطة التطوعية ، تتابع الأخبار بصورة يومية ، وتعتبر أن المقاومة لا تقتصر على شكل المواجهات العنيفة فقط ، فهي تؤيد بشدة حملات مقاطعة المنتجات الإسرائيلية ، ولا تثق كثيراً بالفصائل ، وهي مستقلة ، رغم أن ميولها يسارية ، وتعتبر أن السلطة لا تلبي طموحها الوطني .

24. حمودة كعابنة من الصف التاسع (15 عاماً) ، قال إنه عادة لا يقرأ كتباً من خارج المنهاج المدرسي ، ولا جرائد ، ولا يتابع الأخبار ، ولا يهتم كثيراً بالسياسة ، ولا يهتم بالأدب ، ولا يشارك في أنشطة ثقافية ، ولا في فعاليات الانتفاضة ، ويعتبر ذلك خطأ ، لأنه سيعرضه وأهله للخطر . يتابع مباريات الدوري الإسباني ، وهو غير قلق من المستقبل ، مع أنه سمع

في الأخبار أن القادم سيكون سيئاً على فلسطين ، لديه صديقان كانا ينويان عمل شيء للانتفاضة ، لكن إدارة المدرسة كشفتهما وأبلغت أهليهما .

25. وائل سلامه (17 عاماً) من الصف الحادي عشر ، ثانوية بيتونيا ، قال إنه قليلاً ما يتابع نشرات الأخبار ، ولديه هواية ألعاب الكمبيوتر ، ويتابع المباريات الرياضية ، وآخر الأفلام السينمائية التي يحب مشاهدتها في السينما ، ويهتم أيضاً بآخر الاختراعات الإلكترونية ، خاصة في مجالات الهواتف الذكية والكمبيوتر ، يقول إن الانتفاضة لن تؤدي لتحرير فلسطين ، والأهم من ذلك هو «تنظيم مجتمعنا» وتطويره والاهتمام بالتعليم والحريات العامة .

26. رزق عطاونة ، (26 عاماً) ، يعمل متطوعاً في بيت الإبداع ، وهو مركز شبابي مستقل ، يقع في رام الله ، يستقطب الشباب من الجنسين ، ويسعى لتأطير جهودهم والتعبير عن مشاكلهم ، وإطلاق إبداعاتهم ، وينظم المركز بشكل دائم أنشطة ثقافية وفنية مختلفة ، وليس له أي توجه حزبي أو ديني ، ويضم عشرات الشبان المتطوعين ، إضافة لأعداد كبيرة ممن شارك في أنشطة المركز واستفاد منها .

عبّر «رزق عطاونة» ، عن رؤيته وهمومه وأوجاعه كالتالي : «ببلد في هالقد وجع ، قديه [كم] في بعد مجال لنحبّ ونعطي اللي بنحبهم؟ ببلد في هالقد وجع وبعدنا عاضّين عَ وجعنا ، مشان لقمة العيش . تروح لقمة العيش بلاها . بس مين أنا لقرّر هالشي؟ أنا ما عندي ولاد ولا عندي مريض بالبيت بدي امنّلو الدوا ، ولا عندي قسط إذا ما سددته بفوت عَ السجن . كل هالشي بيخليني أفكّر إنّو يمكن هون ما في أمل ، يمكن ما في أمل بالتغيير أو بالتعديل أو أو . . كل هالشي كمان بيخليني أقول إحنا عَشو بنفتش هون؟ على وطن؟ على أرض تلمنا؟ عَ أهل وأصحاب بنحبهم؟ بس إذا بنضل هيك ، اللي منحبهم رح يروحوا ، رح يموتوا بكسلنا وتراجعنا!! شو الحل؟ الحل ما نسكت؟ ما بعرف شو الحل بس الأكيد منه إنو كل يوم بس أروح عَ البيت ، واتطلع بالناس ، بعرف إنو بدنا وقت لنزت كل شي ونقول خلص حياتنا مش لعبة!»

وأضاف رزق قائلاً : «أعشق القراءة في الأدب والفن وعلم الاجتماع ، والتبحر في دراسة تجارب المجتمعات ، وكيف حققت نجاحاتها وتقدمها ، ما انعكس إيجاباً على مواطنيها ، مع علمي الكامل بأن التجارب لا تُستنسخ ، ولكن الاطلاع عليها مهم جداً ، من أجل التعلم منها ، مع الانتباه إلى خصوصية مجتمعي وقضيتي الوطنية العادلة . وفي الوقت نفسه أهرب من أيادي وأفكار تمتد حولي ، حتى لا أكون جزءاً من أي حالة تعصب لفكرة أو شخص ، تقودني إلى اصطفاف لا يسمح لي برؤية الآخر واستيعابه ، ما يمزق المجتمع من حولي ، ويجعلنا بعيدين كل البعد عن رؤية قضايانا واحتياجاتنا . كما أسعى لتعزيز العمل التطوعي كقيمة مجتمعية عليا في المجتمع الفلسطيني ، من أجل تعزيز الترابط المجتمعي .»

27. علاء عبد العزيز ، (29 عاماً) ، موظف في البنك العربي ، ناشط اجتماعي ، ومواظب على حضور الأمسيات الأدبية ، ومهتم بشكل خاص بالروايات ، والكتب التاريخية ، وهو قبل ذلك ينظم الشعر ، ومتطوع في بيت الإبداع ، قال : «إن المراقب لوضع الشباب الفلسطيني يلاحظ حالة التخبط والتيه التي يعيشونها . بسبب التحديات والصعوبات الكثيرة التي يعاني منها

هـذا الوسـط ، وبسـبب عـدم اسـتغلال طاقاتهـم وقدراتهـم الكبيـرة ، وأيضـاً بسـبب أوقـات الفـراغ التـي أصبحـت منبتـاً للأفـكار السـلبية . فمثـلاً ، نلاحـظ أثـر الانقسـام السياسـي علـى آراء الشـباب في الشـارع كمـا هـو في المؤسسـات الرسـمية ، وأصبـح يـدب أيضـاً في الأوسـاط الثقافيـة والفكريـة ، ويزيـد مـن حـدة التجاذبـات والتنافـرات الفكريـة والأدبيـة والسياسـية ، مـا أدى إلـى زيـادة الهـوّة بـين أطـراف المجتمـع الفلسـطيني . وإلـى جانـب ذلـك ، يعانـي الشـباب مـن الخـوف مـن البطالـة وحالـة عـدم الاسـتقرار الاقتصـادي ، وانغـلاق الأفـق السياسـي ، ومـا يرافـق كل ذلـك مـن حالـة اختـلال في تـوازن المجتمـع واهتـزاز الرؤيـة الاجتماعيـة والثقافيـة . ومـع ذلـك ، فـإن الشـباب الفلسـطيني مـع كل هـذه الصراعـات والدوامـات التـي يعيشـها ، مـا زال يعمـل جـاداً وجاهـداً لإيجـاد مـكان آمـن يقـف عنـده ، لينطلـق منـه نحـو المسـتقبل .»

28. هـدى كايـد (28 عامـاً) ، ماجسـتير علـوم سياسـية ، اختصـرت الموضـوع بقولهـا : «إهمـال الثقافـة ، هـو مـا أدى إلـى تـردي أوضاعنـا ، وبالتالـي ، يتوجـب التركيـز علـى إعـادة الاعتبـار للثقافـة والأدب والفـن والبحـث العلمـي ، لأن هـذه الأعمـدة قـادرة علـى رفـع البيـت الفلسـطيني ، ووضعنـا علـى مسـار الحـل الصحيـح .»

29. رزان الأحمـد (21 عامـاً) ، كليـة التربيـة في جامعـة القـدس المفتوحـة ، عبـرت عـن أسـفها لعـدم وجـود مبـادرات ثقافيـة وفنيـة بالمسـتوى المطلـوب ، وقالـت : «نحتـاج مثـلا مكتبـة وطنيـة ، نفسـي أحضـر مسـرحية ، وبتمنـى لـو يتطـور مجتمعنـا شـوية ، ويصيـر عنـا حريـات شـخصية أكثـر ، واحتـرام لخصوصيـات النـاس ،وهـاي بدهـا تربيـة وثقافـة ،وهـاي يمكـن أهـم مـن تحريـر فلسـطين .»

30. خالـد البديـري (23 عامـاً) ناشـط ومنتسـب لأكثـر مـن جمعيـة ، ولديـه موهبـة في الكتابـة الإبداعيـة ، قـال : «نحتـاج مـن السـلطة أن تدعمنـا ، أتمنـى أن أنشـر كتابـي الأول ، ولكـن ليـس بمقـدوري ذلـك ، ولـدي عـدد مـن الأصدقـاء لديهـم مواهـب متعـددة ، لا أحـد يلتفـت إلينـا ، لمـاذا علينـا أن ننتظـر MBC مثـلاً حتـى تكتشـف مواهبنـا! لمـاذا ليـس لدينـا برامـج متخصصـة لدعـم وتطويـر قـدرات الشـباب!»

آراء شبابيّة من الأراضي الفلسطينيّة المحتلّة عام 1948

رشا حلوة

مقدمة

بلـغ عـدد الفلسـطينيين في الأراضـي المحتلّـة سـنة 1948 ، في بدايـة 2016 ، نحـو 1,350,000 (لا يشـمل القـدس والجـولان السـوري المحتلـين) [71] ، ويشـكّل جيـل الشّـباب أكثـر مـن نصـف المجتمـع الفلسـطيني في الداخـل ، إذ تشـكل الفئـة العمريّـة حتـى سـن 29 نحـو 62% مـن الفلسـطينيين ، والفئـة العمريـة مـا بـين 15 – 29 عامـاً قرابـة 25% .

أظهـرت الدراسـة الميدانيـة التـي أجرتهـا جمعيـة الشـباب العـرب – بلدنـا ، عـام 2012 ، والتـي أعدّهـا كلّ مـن الباحثَـين امطانـس شـحادة وهمّـت زعبـي ، وسـاعدت في البحـث نـداء نصّـار ، بعنـوان «احتياجـات الشّـباب الفلسـطيني في إسـرائيل» ، أظهـرت وجـود نقـص حـاد في المعلومـات والأبحـاث عـن قطـاع الشـباب الفلسـطيني في الأراضـي المحتلـة سـنة 1948 ، وكان هـذا النقـص أحـد الأسـباب التـي خلقـت حاجـة إلـى دراسـة ميدانيـة عـن هـذا القطـاع . يقـول مديـر جمعيّـة «بلدنـا» ، نـديم ناشـف في مقدمـة الدراسـة : «رأينـا أهميـة قصـوى لإجـراء هـذا البحـث لاسـتبيان الواقـع ورصـد احتياجـات الشـباب ووضـع التوصيـات وأسـس الخطـط اللازمـة لتلبيتهـا ، ولـو جزئيـاً .» [72]

أتطـرق إلـى دراسـة جمعيـة «بلدنـا» الميدانيـة ، وإلـى اقتبـاس نـديم ناشـف ، لأننـي سـأرتكز في مقدمتـي هـذه عليهـا ، مـن حيـث المعلومـات عـن الشـباب الفلسـطيني في الأراضـي المحتلّـة سـنة 1948 ، لتكـون قاعـدة للرّصـد الـذي قمـت بـه مـن آراء لمجموعـة مـن الشـبان والشـابات ، فيمـا يتعلـق بموضـوع البحـث هـذا . وكذلـك في رؤيـة الشـباب لواقعهـم في الأراضـي المحتلّـة سـنة 1948 ، سـواء فيمـا يخـص تمثيلهـم السياسـي كشـباب فلسـطينيين ، أو علاقتهـم مـع الدولـة الاسـتعمارية ، وموضوعـات أُخـرى .

تتطـرق دراسـة جمعيـة الشـباب العـرب – بلدنـا إلـى محـاور عديـدة ، منهـا : التعليـم ، وسـوق العمـل ، ومركّبـات الهويـة ، ومواقـف اجتماعيـة ، ومؤسسـات وأطـر شـبابية ثقافيـة . وفي هـذه المقدمـة ، سـوف أسـلط الضـوء علـى محـور الهُويّـة بشـكل خـاص ، بمـا فيهـا مـن ارتبـاط بموضـوع ورقـة البحـث التـي أقدّمهـا ، والحديـث الـذي دار مـع المحاوَريـن ، قبـل أن أتطـرق إلـى محـور الهويـة الـذي تشـير إليـه الدّراسـة . مـن الجديـر أن هـذه الورقـة حـاورت مجموعـة مـن الشـباب والشـابات المنخرطـين بشـكل أو بآخـر بالعمـل السياسـي والثقـافي والاجتماعـي ، انطلاقـاً مـن الهاجـس الـذي يعيشـه الشـباب الفلسطيني الواعي لهويته ، وجذوره ، وامتداده الثقافي .

تقـول دراسـة جمعيـة الشـباب العـرب – بلدنـا في مقدمـة بنـد مركـب الهويـة : «لقـد شـغل هاجـس جدليّـة العلاقـة بـين الانتمـاء والهويـة القوميـة للفلسـطينيين في إسـرائيل ، وبـين دورهـم في مسـيرة مشـروع التحـرر الوطنـي مـن جهـة ، وبـين مطالـب النـاس وحقوقهـم المدنيـة اليوميـة في ظـل الظـروف

71 http://www.cbs.gov.il/publications16/yarhon0516/pdf/b1.pdf_

72 «احتياجات الشّباب الفلسطينيّ في إسرائيل» ، دراسة ميدانيّة ، تمّوز 2012

الموضوعية التي يعيشونها من جهة أُخرى ، شغل العديد من باحثي علم الاجتماع والسياسة .»[73]

اعتمدت دراسة جمعية الشباب العرب – بلدنا على استقطاب شريحتين عمريتين ، واعتمدت منهجيتين أساسيتين ، تطرقت كل واحدة منهما إلى شريحة واحدة من شرائح البحث : الأولى كانت بمثابة إجراء استطلاع رأي في صفوف الثاني عشر (وفي بعض الحالات صفوف الحادي عشر) ، من تسع مدارس عربية موزعة على كل المناطق الجغرافية ، حيث شارك في الاستطلاع 862 طالباً وطالبة . أما المنهجية الثانية فقد اعتمدت على تسع مجموعات بؤرية احتوت على 110 شباب وشابات ، ما بين 18 و30 عاماً ، من مختلف الطوائف والفئات الاجتماعية .

تقول الدراسة : «يبدو أن هناك مساراً لتعزيز الهوية القومية الفلسطينية ، برز لدى الأجيال الأكبر سناً من المشاركين/ات في البحث مقابل الطلبة الثانويين ، حيث ظهر تباين ما في وضوح تعريف الهوية ومركّباتها بين المجموعتين . فقد أظهر معظم المشاركين في المجموعات البؤرية وعياً سياسياً عالياً ، برز في تعريفهم لهويتهم العربية والفلسطينية ، هذا إلى جانب بروز الهوية الدينية في بعض المجموعات ، كإحدى مركبات الهوية الأساسية للتعريف على الذّات . كما أكد معظم المشاركين/ات المنخرطين في أطر حزبية و/أو سياسية و/أو اجتماعية على ضرورة تطوير الهوية الفلسطينية/ العربية وتعزيزها لدى الجيل الشاب ، وذلك لأهميتها في بناء هوية جمعية وخاصة للفلسطينيين في الداخل .»[74]

في هذه الورقة ، حاورت ستة أشخاص ، اثنان منهم من الحراك الشبابي الذي يحمل اسم «أرفض ، شعبك بحميك» الرافض للتجنيد الإجباري المفروض على الشباب العرب الفلسطينيين الدروز ، بالإضافة إلى كتّاب وصحافيين ونشطاء سياسيين وحزبيين . وكانت محاور الحوار موزعة بين الحديث عن واقع الشباب الفلسطيني في الأراضي المحتلة سنة 1948 ، والآراء حول الأحزاب السياسية الفلسطينية في الداخل ، والعلاقة مع دولة إسرائيل ، والسلطة الفلسطينية ، ومنابر التعبير الشبابية ، والمأزق الفلسطيني وتصوّر الخروج منه .

لقاء مع حراك «أرفض ، شعبك بحميك» الشبابي

كانت أولى اللقاءات مع حراك «أرفض ، شعبك بحميك» الشبابي . التقيت بكل من ميسان حمدان (من عسفيا ، 25 عاماً) ، إحدى مؤسسي الحراك ، ومع آصف نجم (من بيت جن ، 23 عاماً) ، أحد أعضاء الحراك .

أولاً ، آراء حول الهوية الوطنية ؛ العمل على إعادة بلورة هوية وطنية جامعة

في استفسار عن واقع الشباب الفلسطيني ، قالت ميسان حمدان : «إذا بدي أحكي عن الناشطين إشي ، وإذا بدي أحكي بالعموم إشي ثاني . من جهة بشوف في دوائر شبابية معينة ، اللي هي جداً واعية ومثقفة ، بتسعى لبلورة أو لصياغة رؤية سياسية كمان محلية وكمان عربية ، اللي [التي] هي جامعة . من جهة ثانية ، هاد بلغيش [لا يلغي] قسم من شرائح المجتمع اللي هي ما إلها علاقة بالسياسة ، مش مسيّسة ومش واعية سياسياً . اللي أصلاً ما إلها علاقة بشو

73 المرجع السابق .

74 المرجع السابق .

بصير ، ما إلها علاقة بشو بدو يصير . مش فارق معها . وهاي نتيجة لعدة سياسات اللي انشغلت من وقت النكبة لليوم . قسم منها هاي الشرائح مسيسة بس من الجهة الثانية ، اللي هي مؤسرلة جداً . . . أنا بشكل خاص بفكر إنه كيف أنا بتطلّع على الإشي ، كمان من خلال نشاطاتي الفردية ونشاطي في الحراك ، بفكر من أهم النقاط اللي بشتغل عليها هي إعادة نسيج ، وإعادة بلورة هويّة فلسطينيّة جمعيّة ، مجردة عن المناطق ، مجردة عن واقع كل منطقة المختلف ، وشاملة جداً . حتى إذا الواقع بقول إنه أنا بقدرش [لا أقدر] أتواصل فعلياً مع الشتات وغزة ، هاد بجبرنيش [لا يجبرني] ما آخدهن [ألا آخذهم] بعين الاعتبار ، بل بالعكس تماماً . بحطني من نقطة انطلاق (هي ضرورة) إلغاء كل الحدود الموجودة .»

حول «واقع الشباب الفلسطيني في الداخل» ، قال آصف نجم : «واقع الشباب الفلسطيني عموماً اليوم بالداخل ، حسب رأيي مقسم لثلاث أقسام : اللي بس وقت الشغل والجد ، هي لا مبالية . بفضّل ما يشارك . النوع الثاني ، هو غير الواعي ، مش واعي لكل الفكرة نفسها بوجود شعب فلسطيني ، هو أكثر عايش بالتيار الإسرائيلي . النوع الثالث ، واعي وفعّال . قلائل بس إلهن تأثير ، لازم يشتغلوا أكثر... خلال السنة الأخيرة اشتغلت بالمدرسة الثانوية ، وكان تعاملي مع شباب من عمر 16–17 سنة وتعاملي مع هالناس ، بكفي إنه كنت ببلد درزي والتجنيد فيها إجباري ، بكفي إنه... أنا اللي بعلّمهن مش خادم جيش ، وعندي أصدقاء من مختلف الطوائف والأجناس ، هون بخلق فكرة أولى إنه في أشياء تانية غير الدوائر اللي عايشينها . في نقاشات مع الطلاب . . .»

ثانياً ، آراء حول الأحزاب السياسية : الأحزاب «بعيدة» عن عامة الشعب وقضاياه . حول رأيها بالتنظيمات السياسية الفلسطينية في الداخل ، قالت ميسان حمدان : «بالنسبة إلي منظومة الأحزاب كلها وبالذات في واقعنا تحت احتلال ، لا ما بتفرق عن منظومة الأديان ، أو فكرة منظومة القطيع في العالم . وهاد بنعكس على كوادر الأحزاب الشبابة . ما بلغي شغل الأحزاب ، اللي بقدّره في أحيان معينة ، بس أنا شخصياً ولا مرة كنت محزّبة ، ولا بشوف حالي رح أكون ، لأنه أولاً أنا ضد وجود تمثيل إلنا في الكنيست ، لأنه هاد بس بعطي شرعيّة لدولة إسرائيل ، وبس بعطي صورة ديموقراطية إلها في العالم ، وفي جملة كمان بستعملها وبالحراك وحكاها توفيق زياد : مظاهرة وحدة عن 100 سنة شغل في الكنيست . بالنسبة إلي هاي مقولة كتير صحيحة . اللي موجودين في الكنيست صح هني أبناء الـ 48 بس هني [هم] ما بقدر أقول من عامة الشعب اللي عم بعانوا أكثر من سياسة الاحتلال . وإذا بدي أفوت على الخاص أكثر ، كحدا جاي من عائلة درزية ، ولا مرة حسيت أصلاً إنه مش فكرة لازم يكون حدا درزي بالكنيست . . . في الحراك ، إحنا مستقلين ، برغم من إنه كثير جهات بتحاول تتقرب مننا من ناحية أحزاب أو تنسبنا إلها ، ولكن إحنا من الأول ، رؤيتنا إنه نحافظ على استقلالية ، مرحّب في وجود أشخاص محزبين ، وموجودين بالحراك ، ولكن إحنا كحراك مستقلين... الإشي إيجابي إلنا إنه عدم وجودنا تحت أي نطاق حزبي... بدي أضيف كمان شغلة ، كمان الإشي نسبي ، موضوع الأحزاب ، يعني الانتخابات مش الأخيرة ، مش اللي فيها القائمة المشتركة اللي قبلها ، من كثر وجود أعضاء كنيست في أحزاب صهيونية بأثر على واقع الشباب ، كنت أشجع إقامة حلقات بيتية للجبهة والتجمع ، بس عشان الشباب ينكشفوا على أشياء ثانية ، حتى لو أنا ضد . بس مجرد بدي فكرة إنه الشباب يعرفوا إنه في

إشي ثاني مختلف ، مش بس شو إنتو متربيين عليه . ممكن تلاقي الجبهة أو التجمع بمثلك . وطرح تساؤل جديد .»

تتابع ميسان ، حول رأيها بالأحزاب : «حسب رأيي غير إنهن بعاد عن عامة الشعب ، الحلول اللي بطرحوها كيف بعالجوا قضيتنا كفلسطينيين في 48 هني عملياً بلغونا . كيف إنت كتيار فكري بتحكي إنه حل دولتين لشعبين؟ هل إنت بتوافق إني أضل إسرائيلية بالتعريف والهوية والجنسية؟ بكل ما يمثلني داخلياً وخارجياً؟ وثاني إشي إذا بدي أحكي عن قضية التجنيد ، من سنة الـ 56 في تنجيد إجباري ، ولا مرة في حزب الكنيست ناقش الموضوع ، وهاي قضية مفصلية بتاريخ شعبنا الفلسطيني . هالقد انشغل على تفتيت النسيج من خلال فرض التجنيد على شريحة دون أُخرى ، وما حدا بحكي عنه ، بالعكس بتعاملوا مع الموضوع كأنه مفهوم ضمناً ، وبالعكس بلوموكِ إنتِ [يوجّهون اللوم إليكِ] . كتير شباب واعية ومحزبة كانت تشوف الشباب الدروز إنهن خون [خائنون] . الموضوع الثاني ، الأحزاب بعاد عن عامة الشعب ، أنا بتذكر إنه في حزب معين حاول يشتغل على موضوع الحضانات ، ما بطلعلهن حقوق الحاضنات بعد ما يخلصوا شغل ، بكونوا مشتغلين 40 سنة ، وبخلصوا ولا كأنه في إشي بحياتهن ، هاد موضوع شعبي وعمالي وفي شريحة من المجتمع جزء منه ، اذا إنت موجود بالكنسيت وعم تشتغل على حقوق الفلسطينيين بإسرائيل ، وينك من هاد الشغل؟ صرت أحس إنه موضوع الأحزاب إشي تجاري ، ونابع من مصلحة حزب أو أفراد ، يعني كمان كله نابع من الواقع اللي إحنا عايشينه ، إحنا ببلد ما حدا ملتكش فيكِ [يتصل بكِ] ، عندك ببلدك 50% بيوت مرخصة ، 200 بيت مش موصولين للكهرباء ، مشاكل الله ، ما حدا بلتكش فيكِ طول مفش انتخابات ، ولما بتصير انتخابات بصير بيع وشراء ، بعرف ناس لا مبالين صوّتوا لأحزاب لأنه اندفعلهن أو أخدوا منحة . هاد موضوع بنفّرك [مُنفّر] من لجوئك للأحزاب أو تعاملك معهن .»

أما أصف نجم ، فقال : «ولا مرة تدخلت بالسياسة من ناحية أحزاب ولا مش أحزاب ، ومش فارقة معي بالتصويت ، ما عندي موقف من الأحزاب السياسية ، كل الأحزاب بشوف إنه قد ما بتشتغل بشوف مش كافي شغلها . ما بحس إني منتمي لو لأي حزب . كوني أنا من بيت جن ، فيها عضوين كنيست ، واحد تجمع وواحد جبهة ، بس ولا مرة كان في فرع بالقرية للأحزاب ، مع إنه في قرى ثانية في . ولا مرة كان عندي انتماء لأي حزب ، مش لأنه ما بشوف إنه الحزب بمشي صح ، لأنه ولا مرة حسيت انتماء لأي إشي . لأنه مكنتش [لم تكن] الأحزاب حاضرة ببلدنا وإحنا صغار ، بمعظم البلاد في فروع إلها ، الشباب بتنتمي إلها ، وحتى لو بغير رأيه بعدين ، بس عالأقل بربى بجوّ في وعي سياسي .»

ثالثاً ، آراء بالسلطة الفلسطينية ؛ جهودها مكرسة لتخدير الشعب ، وهي لا تمثل الفلسطينيين في 1948 ، والتواصل السياسي بين أراضي 48 والضفة محدود

تقول ميسان حمدان عن السلطة الفلسطينية : «رأيي الشخصي إنه هي لا تختلف عن منظومة الاحتلال ، ولا في إشي ، بالعكس تماماً ، هي بتكرّس جهودها لتخدير الشعب ، لتسكيته عن أي قول أو فعل أو عمل ثائر . إذا بدي أحكي عن التواصل ، وكيف بنعكس الموضوع على تواصلنا بين 48 والضفة ، بالمجمل إحنا منقدر نروح لهناك ونمارس نشاطات أو أُخرى ، بس هني

بقدروش . يعني ممكن أقول وهاد صحيح على النخب . إنه شو بعرفني ناس من البلد شو عملوا بجنين؟ شو شكل التواصل تبع [الذي يخصّ] الناس؟ بشتروا أغراض لأنه أرخص ، تواصل ودّي وحلو ولكن غير سياسي . إذا منيجي للسياسي ، التواصل محدود . ما بتقدري تعملي أشياء مشتركة اللي هي بعيدة المدى ، الإشي دايماً محصور بدوائر وأطر معينة . بس من جهة ثانية ، لما عم بحكي عن كل إشي نسبي . كمان هاد نسبي .

أما أصف نجم ، وفي إجابة عن السؤال نفسه ، قال : «الأحزاب زي ما هي ما بتمثلني ، كمان السلطة ما بتمثلني . أنا عربي فلسطيني ما بشوف إشي بمثلني . ولا عندي انتماء سياسي أعلى ، لا للسلطة ولا لأحزاب عربية . من ناحية تمثيلية ، أحزاب عربية بالحكومة الإسرائيلية والسلطة ، السلطة ما بتقدر تعطيني أي خدمات زي ما الأحزاب العربية ما بتعطيني أي خدمات . كمان شغلة إنه السلطة الفلسطينية قليل جداً من الناس بالداخل اللي بتحس إنه موجودة السلطة الفلسطينية علينا في الـ 48 .»

رابعاً ، آراء بدولة إسرائيل ؛ علاقة خدماتية فقط وعلاقة خوف ويوظف المؤسسات الدينية والمدارس كسلطة علينا ، نعيش تحت احتلال

حول العلاقة مع دولة إسرائيل ، قالت حمدان : «أنا شخصياً بحاول أفصل حالي عن كل مؤسسات الدولة ، عدا عن اللي لا مفر منها ، الخدمات الصحية ، البنك مع إني بتعاملش معه تقريباً . التأمين الوطني ، لا مفر منه . علاقة خدماتية بحت ، بس لأنه ما عندي بديل . بينما الأمور اللي فيها إلها بديل قدرت ألاقي البديل . . . لّما أقعد لحالي وأفكر شو ممارسات هاد الجسم [دولة إسرائيل] وكيف انعكست على واقعي وواقع مجتمعي ، ما بقدر أعطيه شرعية لّما عندي الإمكانية . غير عن ما بقدر ألغي إنه في علاقة خوف مع هاد الجسم ، بحس حالي كتير ملاحقة . بحس حالي كتير مراقبة . بخاف إنه نشاطي يتوقف بأي لحظة بأمر من هذا الجسم . لأنه بعرف هاد الجسم ذكي كفاية ، لدرجة وينتي بده برخيلنا الحبل ووينتي بده يشده ، وبخاف يشده لأنه بالوقت الحالي حاسس إنه معاي حبل طويل . فيما يخص ذكاء هاد الجسم ، يعني عنده آليات محكمة جداً في التعامل معنا كنشطاء ، هو ما بيجي بشكل مباشر كاحتلال أو كحكومة يقمعك ، هو بوظّف المندوبين اللي عنده ؛ الهيئة الدينية والمجالس المحلية والمدارس ، وكإنها هاي الأجسام [الهيئة الدينيّة والمجالس المحليّة] إلها سلطان علينا . بالتالي إنتِ بتصيري بتوضعي مسار الحقد ، بتصيري تحقدي على المشايخ ، على إدارة المدارس والمجالس المحلية ، على الأجسام اللي من مجتمعك ، وبتنسي الاحتلال . بصير شغلك الشاغل فيهن . . .»

آصف نجم يصف العلاقة مع إسرائيل كالتالي : «إحنا عايشين تحت حكم إسرائيل ، تعامل اقتصادي يومي ، بعدين أي إنسان بده يتعلم لازم يتعامل مع الجامعات الإسرائيلية كاحتمال أول ، في كثير عوائق منشان ينقبل للجامعات . . . إلخ . . . وكمان كوننا شباب عرب دروز ، ومفروض عليه التجنيد ، وشاب مش واعي سياسي هو مجبر يتعامل مع الاحتلال بأبشع صورة . مش كل إنسان عنده إمكانية يختار الطريق الصح . تاني شغلة قضية السفر ، خلينا نقول إنه لما تسافري لأي مكان إنتِ بحاجة لجواز السفر الإسرائيلي ، إنتِ معرّفة بأي مطار كأنك إسرائيلي . اللي قبالي رح يطلع عليّ كإسرائيلي مش كعربي فلسطينيِ تحت الاحتلال .»

خامساً ، الحل العادل والخروج من المأزق السياسي ؛ تفكيك السلطة ، مقاطعة الكنيست ، وتشكيل هيئة تمثل كل الفلسطينيين ، ودولة علمانية ديمقراطية لكل مواطنيها ، وعودة اللاجئين

تقول حمدان : «حسب رأيي الواقع الفلسطيني اليوم جداً مشتت ، يعني من ناحية إنه في حواجز وحدود ، حواجز وحدود مرئية ونفسية ، إذا بدي أحكي عن الأول ، كمان مناطقياً إحنا مقسمين ؛ داخل ، ضفة ، قدس ، غزة ، وشتات . وهاد جداً بنعكس على صقل الهوية الفلسطينية عند كل حدا حسب وين موجود . وهاد اكتشفته من المرات القليلة اللي قدرت فيها من إمكانيات التواصل القليلة اللي كانتلي [أتيحت لي] مع الفلسطينيين من أماكن مختلفة ، إن كان غزة ، ضفة ، قدس وشتات . كل حدا عايش واقع مختلف ، كل حدا عنده حربه اليومية المختلفة ، عم بحكي عن اليومية غير الحرب الكبرى . كل واحد عنده أولويات مختلفة ، مع كل محاولات التواصل الثقافية والفنية والسياسية والاجتماعية ، مع هيك ، بالنسبة إلي إنه واقع جداً مفتت ومشتت . وبفكر إنه محاولات أكثر ممكن توصل لواقع أحسن . محاولات تواصل . زي المجاورات اللي منعملها اللي بتجمع فلسطينيين من كل محل ، هاد كتير بساعد تتعرفي على الشخص ، وتفهمي شو مارق ، وشو أولوياته ، وشو عايش ، وبالتالي بصير عندك القدرة إنتِ ويّاه تصيغوا رؤية مشتركة اللي هي بعيدة عننا .»

وحول الحل و الخروج من المأزق الوطني ، تقول ميسان : «حتى لو إنه غير واقعي ، بس بالنسبة لي لما بحكي حل بروح على مفهوم العدل والعدالة بالعالم . أكثر حل عادل هو عودة اللاجئين بالأول . فش [لا يوجد] إشي عن زي حل للواقع الفلسطيني وبقاء اللاجئين برا فلسطين . وطبعاً إنهاء التقسيمات كلها ، وفش ضفة وفش قدس فش 48 وفش غزة . اليهود ما عندي مشكلة شو يصير فيهن ، اللي بدو يبقى يبقى اللي بدو يروح يروح . آخر سلم أولوياتي بالحل بيجي اليهود . إذا رجعوا اللاجئين بصيروا الفلسطينيين أكثرية . وعشان هيك حسب رأيي كل فكرة التواصل بأي طريقة كانت وبأي مجال كان ، هي خطوة في إنه إذا صار هالحل ، ما يصير إشي أسوأ من الاحتلال . نكون على وفاق ، على وعي شو كل فلسطيني مرق بمكانه اللي موجود فيه ، وكيف ممكن نعيش سوا بعدين . نفس الخوف اللي عايشة فيه بسبب الاحتلال ، نفس الخوف بحسه إذا صار حل ، هل رح نكون على حل واحد؟ هل رح نكون متفهمين؟ كل تواصل بساعد إنه الحل يكون في طريقه الصح . هاد الحل بخلي إنه يكون في جسم واحد ممثل للشعب الفلسطيني . الحل العادل هو دولة علمانية ديمقراطية لكل مواطنيها . أما إذا منحكي عن حل أوسع ، أنا بدي بلاد الشام كلها ترجع» .

وعن الواقع الفلسطيني يقول آصف نجم : «أنا بشوفه ضايع بين الألوان والأرقام ، أخضر وأزرق و48 و67 والشتات . المجتمع [الشعب] الفلسطيني اليوم بعد 70 سنة من الاحتلال ، وضعه زي وضع اليهود قبل 70 سنة . كل واحد موجود مع ثقافة معينة غير ثقافته العربية ، مع انتماء وأفكار ثانية . كمان رجوع اللاجئين رح يكون الفكرة المثالية اللي إحنا متخيلنا كشعب فلسطين إيد وحدة . لأنه في ثقافات متنوعة ، في كتير أشياء فايتة ببعض ، وفي كتير شرخ كتير بين بعض . الواقع الفلسطيني كثير صعب .»

أما عن الحلّ ، فيقول آصف : «الحل اللي بفكر فيه ومع إنه ما بشوفه واقعي ، أول إشي محلياً

عودة اللاجئين ، إنه يكون حكم ذاتي شرق أوسطي . بدنا شرق أوسط حر ، من غير حدود . نطلع بالسيارة ونلفّ .»

حول الخروج من المأزق الفلسطينيّ ، تقول ميسان حمدان : «تفكيك السلطة بالضفة وغزة ، ومقاطعة الكنيست وتفكيك التنظيمات السياسية الموجودة في المخيمات . العمل على تشكيل هيئة تمثيلية لجميع الفلسطينيين بكل مناطق تواجدهن . وبالتالي كمان على المستوى الشعبي تكثيف نشاطات التواصل الإقليمية بهدف خدمة تشكيل هاي الهيئة وخدمة رؤيتها .»

عن الخروج من المأزق ، يقول آصف : «لازم يكون جسم يدوّر [يبحث] على نقاط مشتركة لكل فئات المجتمع الفلسطيني وما يدوّر على الاختلاف .»

ب . لقاء مع كاتب وصحافي

أولاً ، واقع الشّباب الفلسطينيّ ؛ أزمة الشباب جزء من أزمة عامة ، الشباب ليسوا شريحة ، بل يتبعون تيارات مختلفة ؛ دور الأحزاب تغيّر ؛ منظومة المبادئ والأخلاق لم تعد واضحة

في إجابة عن السّؤال : «كيف ترى واقع الشباب الفلسطيني؟» قال مجد كيال (25 عاماً ، حيفا) : «فش عنجد [لا يوجد حقيقةً] ملامح متكاملة للواقع ، الأزمة تبعت [الخاصة بـ] الشباب هي جزء من أزمة عامة ، مش بالضبط بتقدري تفصليها . بشكل عام في أزمة بتعكس على الشباب بكتير أصعدة ، وكتير مشكلة إنك تعرّفي إنه الشباب هي شريحة متجانسة من حيث تطلعاته وأهدافه وكيف بتفكر وطرق تنظيمها . في شباب إسلامي ، بالنسبة إلي إسا [الآن] أزهى لحظات حياته ، في عندك شباب عنده طموحات اندماج بإسرائيل ، عم بلاقي حاله بشكل أو بآخر وإشكاليته مختلفة ، في شباب بعرف حاله كيساري وكمان هو بمأزق . في مشكلة إنك تيجي تصنفي بأنه في تجانس واحد لحركة شبابية . الإشي إنه في عندك ملامح مشتركة بالأساس بتكمن بإنه بالداخل الشباب نفسهن في كمان انقسامات ، في تيارات اللي هي بتقدري تصنفيها بثلاثة :

تيار متمسك بما هو تقليدي من حيث ما هو تقليدي بالأحزاب السياسية . وتيار عنده رغبة واهتمام سياسي واجتماعي ، بس ما في إطار فيه يشتغل من خلاله وعنده ثقة فيه . وتيار عنده نفور تام من السياسة أو أي إشي إله علاقة بالجماعة . طبعاً في دايماً هاد كمان بنطبق بشكل مركّب ، وصعب نفوت فيه ، بده عالم لحاله ، وهو الإسلامي . منكون نكذب ع حالنا إنه ما نقول إنه في نسبة كبيرة من الشباب اللي الخيارات تبعتها والتخبطات هي بالفلك الإسلامي ، تتراوح بين عنده ثقة بالحركة الإسلامية أو لا ، هني «داعش» أو لا . هاد جو مختلف تماماً سياسياً . عم نحكي عن فلك معين ، تبع الأحزاب الوطنية التقليدية واليسار نوعاً ما ، العلمانية نوعاً ما . هو كل ما هو خارج الإسلام السياسي .»

«عندك في إشي جذري اللي هو بتعلق بإنه كيف الحياة الجديدة تبعت [الخاصة بـ] الميديا [وسائل الإعلام] والإنترنت عنجد غيّرت المجتمع وغيرت وسائل الإعلام ، لأنه وسائل التواصل هي الإشي الوحيد اللي ببني مجتمع . طالما إنت ما بتقدر تتواصل مع الشخص اللي بتعرفُش [لا تعرفه] وتنقله رسائل ، معناه إنت ما عندك مجتمع ، المجتمع هني الناس اللي ما بتعرفهن .

المجتمع هي الجماعات المتخيلة ، ما بتعرفي كلهن ، بس عندك قنوات معينة للاتصال معهن ، بشكل بتنقل فيهن مضامين ، بتصفي الشكل هاد بأثر على شغلك السياسي وكيف تنظم مجتمع وعلى شو تلتقي الجماعة . . . في إشي اسمه حياة حزبية ، مصطلح مثير ، زي في مدرسة وجامعة وبعدين تتخرج ، الإنسان كيف دايماً بحاول يلاقي أطر مرتبة يقدر يقيّم قديش تقدمه ، نفس الإشي في الحزب . . . بالحزب الشيوعي في أبناء الكادحين والشبيبة والحزب ، هاي كلها ملامح بطلت موجودة ، وفي إشكالية كبيرة بإنه شو تلاقي وتعبي محلها . لأنه هيك غابت عن إخفاق مش بس لأنه الحياة تغيرت ، أخفقت بأن تمشي وتستمر وتنظم حالها بطرق جديدة .»

«من ناحية تفكير بالمجتمع في إشي كتير مفتوح وحرّ بشكل كتير رأسمالي ، وسوق مفتوح على الآخر ، اللي ما فيه ولا أي ضابط وإطار . كل منظومة الالتزام انضربت . أكتر إشي بميّز هالجيل إنه في خلل بمنظومة الالتزام ، ما بتقول إنه هاد الناس أقل مبدئية أو وطنية ، بس إنه الأطر اللي بتنظم الأخلاق والمبادئ ما عادت إلها حدود تقيم ما هو ملتزم وما هو لأ . ما في أدوات تنظيمية للمجتمع إنه تقول هاد وطني أو مش وطني أو أخلاقي أو مش أخلاقي . هاي أزمة كمان ، ومش إنه بعمل الناس أقل أخلاقية من قبل بس منحكي عن أدوات السياسة في ضبط مجتمع .»

ثانياً ، رأي في الأحزاب السياسية ؛ الأحزاب هي الأجسام الوحيدة التي لا تزال تمتلك برامج سياسية أيديولوجية و بدونها يفقد المجتمع البوصلة .

عن الأحزاب السياسية ، يقول مجد كيّال : «بعدها بتتطلب من الإنسان إنه الحزب جزء من هويته وحياته بمعنى إنه هي بتطلب من الشخص إنه زي ما عنده انتماء ديني وجندري بصفي كمان انتماء هوياتي . هاد ممكن بس معاق بالحياة اللي فيها تقليص للحد الأدنى للهويات... زمان لأنه الإعلام كان مختلف ، وسائل الاتصال مختلفة ، كانت طريقة تعبيرك لهاي المواقف إنه تنضمي لأقرب حدا بقول عنك إشي . بتقولي رأيك عن طريق إعطائك ثقل جماهيري لإطار قريب منك ، بتعطيه ثقل إنك بتصوتيله بتنضميله . . . اليوم عندك إمكانية تقولي رأيك لحالك إنت مش بحاجة تنضمي لحدا منشان .»

«بهاد [في هذا] الوضع بصفي الحزب بطلب منك أشياء ويكون جزء من مركب هويتك ، بالمقابل هو مش بعطيك قيمة إضافية بالفعل الأسوأ من هيك ، هو عم بمثلك بأماكن اللي إنت مش مؤمنة بجدوى تمثيلك فيها . هو بمثّلك بصحافة اللي الناس فقدت ثقة فيها لأنها صفت بتخدم أجندات بشكل فقد حس بالخجل بأنه منتفع . بمثّلك بهيئات زي الكنيست اللي مش عنجد إنت مؤمنة فيها . بتصفي الأحزاب هي المؤسسات عم تطلب من الناس أشياء بدون مبرر . في مبرر ليش الأحزاب بتطلب من الناس تنضم ، غير مبررات تقليدية لأنه إحنا منعرفش إشي ثاني والمجتمع معندوش [لا يملك] وسائل ثانية يتنظم فيها؟ الأحزاب السياسية بنهاية المطاف عم تطلب من الناس انتماء هوياتي معين بالوقت الإشي الوحيد اللي صفى من ناحية هوية ، هو العصبية تبعتها . منرجع للنقطة لما إنت بتقدر تقول شو بدك ببطل بحاجة للهوية الحزبية ، لما أنا بقدر أقول شو بدي ووينتى [ومتى] بدي ، ببطل في معنى للهوية . كل الهويات بتصير عصبية زي لعبة فطبول [كرة قدم] بس هي بتقلش عني إشي بالمجتمع . بصفي الحزب كل هاد عم بزيد عليك كمان هوية بالوقت اللي إنت كإنسان عم بتجرب تتخلص من هويات عديدة .»

«الشغلة الثانية ، في قنوات كثير عم تنفتح قدام الناس تعبر عن حالها وتطور حالها بدون الحزب . والحزب فشل إنه يبني علاقته معها ، فشل بأنه ينظم علاقته مع الجمعيات والأكاديمية على سبيل المثال ، الحركات الشبابية ، فشل لأنه ما حاولش ، كمان لأنه باقي القنوات هاي في إلها تاريخ عدائي مع الأحزاب ، هي نفسها رافضة إنها تشكل مع الأحزاب حوار ما . لأنه في مشكلة ، واللي هي بالدول الطبيعية والعادية الأحزاب هي مجموعات تسعى للحصول على السلطة ، هي بدها تكون بالحكم بشي مرحلة ، بالتالي وظيفتك كصحفي أو جمعية أهلية وظيفتك ما ترتبط بهاي الأحزاب لأنه بدك تضلك بمكان يصلح السلطة ، إنت بمجتمع مدني مقابل سلطوي . الأحزاب ما عندها سلطة تسعى لها ، بس بنفس الوقت خالقة وهم إنه هي سلطة بس هي لأ [ليست] ، والجمعيات ما بدها [لا تريد] تتعامل مع الأحزاب ، لأنها سلطة بس هي مش سلطة . ونفس الإشي الصحافة ، مع إنه ولا مرة بالأفق تبعهن يكونوا سلطة - الأحزاب . بتصفي إنه المنظومة تشتغل بشكل عبثي . إنت دايماً كصحافة أو مجتمع مدني إنه نجمة الشمال هي السلطة بتحدد موقعك تبعها . محلياً فش سلطة ، في سلطة استعمار اللي كله ضدها . جزء منه إنه الأحزاب بتتعامل مع نفسها كأنها سلطة بس ما عندها سلطة على إشي . هاد كتير إشكالي . إنت دايماً لما بتفكري بإشكاليات الأحزاب مفروض تسألي سؤال : شو لو بدونها؟ لو اليوم قالوا سلامات ، رح نحل حالنا . شو بصير؟ منوكل خرا . ليه؟ لأنه فش ولا أي جسم ثاني اللي في إله برنامج سياسي اللي خاضع لبرنامج سياسي قيمي مكتوب . الجمعيات خاضعة للتمويل ، إنه إسا [الآن] الممول مهتم بمشاريع المياه ، ترتب أولوياته جزء صغير منه بتعلق بشو عنجد مهم . الحراكات الشبابية بتطرح نفسها كإشي مش أيدولوجي . الأحزاب هي الأجسام الوحيدة اللي بعد عندها برنامج سياسي أيديولوجي ، اللي بدونه المجتمع بنضرب ، بصير أسهل تشتته وما يكون عنده بوصلة .»

ثالثاً ، حول مساحات التعبير للشباب ؛ وسيلة التعبير قضية مهمة ؛ مساحات التعبير المتمثلة في وسائل الاتصال الاجتماعي والمتاحة للشباب لا سلطة خارجية ولا مساءلة عما يصدر فيها . ولذا هناك فرق بين التداول في الحيز العام (الجريدة ، الراديو التلفزيون) والحيّز الخاص (فيسبوك وتويتر وغيرها) .

عن مساحات التعبير التي يجدها الشباب الفلسطيني ، يقول مجد كيّال : «بعبر عن حاله بطريقة فش عليها سلطة . هاد [هذا] كتير خطر لأنه لما فش سلطة فش ضد مين تطلع ، فش ولا أي سلطة بتتحداها . . . بتقدر تحكي شو بدك ووينتى بدك [ومتى تريد] . . . مش بحاجة تكون علمي أو دقيق ، ما حدا يراجعك شو قلت قبل سنة . إذا حزب بحكي شغلة بتطولها بعد 10 سنين . هاد إسا حكيت هيك وغيرت رأيي شو بدك؟»

«بنفس الوقت بنية الإعلام الاجتماعي ، ومش بس [ليس فقط] فيسبوك ، هي بنية بتضلها محافظة إنه تحكي مع نفس الناس ، ما بتحكي مع الكل ، إنت بتحكي مع ناس قد ما يكون في اختلاف بيناتهن بضلهن يشبهوك ، وإلا مكنتوش صحاب على فيسبوك أو تويتر أوع الواتساب . هاد الإشي بكسر عندك حواجز أخلاقية كتيرة . إنه أنا لما بعرف إنه كل اللي عندي إسلام بسمح لحالي أنقف [أرمي كلام] بالمسيحية بس لو إني بكتب بجريدة بسمحش [لا أسمح] لحالي أكتب هذا الشي ، لأنه هدول رح يقروها ، لأنه هون عارف مع مين بحكي . أكثر من

هيك إنه هاد أنا هاد التلفون تبعي [لي فقط] ، و المعلومة وصلتني أنا [فقط] . إذا احنا قاعدين على طاولة وحطوا جريدة على الطاولة بالتالي ، إحنا التلاتة بنتعاطى مع نفس المعلومة ، إذا في إشي بنحط بالحيّز العام دغري [فوراً] بوازن حاله . كل معلومة وكل مقولة معينة بتخرج للحيز العام بتوازن حالها تلقائياً . باللحظة المعلومة بتوصل بشكل مباشر إلي بدون وسيط ، اللي هو عام هي بتسمح إنها تكون أكثر متطرفة ، بالتالي عصبية وعنصرية ومش متوازنة ، ومش بحاجة تفكر مرتين إذا إنت ممكن تؤذي حدا . كيف الشباب بعبر في إشي مهم؟ هل الفيس بوك حيّز عام؟ لا ، هو حيّز خاص شوي أوسع . الجريدة حيّز عام ، ما بتقدر تضمن مين بمرق بالشارع ويقرأ الجريدة . بالفيس بوك عندك سيطرة على الجمهور . إنتِ مفكرة حيز عام ، بس هو كتير خاص . الفرق بين شو بتحكي بالفيس بوك وبالبيت كتير قليل . بس الفرق شو بتحكي بالبيت وشو بتحكي بالتلفزيون كتير كبير . إسا [الآن] هاد بالنص بخلق نوع حكي جديد ومقولات جديدة وسياسة جديدة مشبعة منه . اللي هي لا خاصة ولا عامة .»

«هي بتأثر على المجتمع بس هي بتكرس السلطة . هي بتأثر على البيت على الخاص من تأثيرها على العام . ما بتأثر على السلطة . هي غير قادرة على إنتاج حركة سياسية ، لأنه الحركة السياسية بحاجة إنك تتنازل . تتنازل عن أخلاقك . بمعنى ما بتقدر تكون 100% أخلاقي ، وبنفس الوقت تشتغل سياسة . بتقدرش تكون مع حقيقتك كفرد 100% وتشتغل سياسة . عشان أقدر أكون أنا وإنت بحركة سياسة وحدة في أشياء بدي أتنازل عنها . أنا وإنت منتفق مع بعض على برنامج سياسي اللي بصفي هو أساسي . زي ما الجريدة بتقرر عن شو اليوم مهم نحكي؟ عندك الفيس بوك محل اللي حقيقة تبعته ظاهرة بطريقة كثير صعبة تحتويها وتأطرها وبتتعزز . القيمة الذاتية بتضل تتعزز وبتضل تقوى وتتجذر لمرحلة إنت بتبطل تقدر تتنازل عن الذاتي عشان العام . بوهمك إنه فش تناقض بين الذاتي والعام ، لأنه إنت موهم حالك إنك بالحيز العام . هل هاد بقدر يبني حركة سياسة؟ لا . هاد بقدر يبني ماكسيموم (maximum) تتفق على نفس الآكت [الفعل] زي تطلع تظاهر . هاد لا بوصل لسلطة ولا بهدم نظام . ممكن يقلق نظام ويوتره ويهدده بس ما بشكل بديل للنظام .»

رابعاً ، رأي في السّلطة الفلسطينيّة : السلطة ليست نابعة عن ضرورة سياسية لكنها تنتج وظيفة ضرورية ؛ النتيجة ولادة مجتمع غير قادر على المقاومة بنظام بنكي مالي يمسك الشعب رهينة ، وأوهام حول دولة

يقول مجد كيّال : «السلطة الفلسطينية هي تجسيد مؤسساتي للإنسان العميل . معنى إنه العميل ممكن يكون إنسان منيح [جيد] ، ممكن يكون إنسان مجبور ، بده يطعمي ولاده ، ممكن يكون اللي جبره [أجبره] تم إسقاطه لأنه بنفضح ، السلطة نفس الإشي ، جهاز وظيفته عميلة : تنسيق أمني مع إسرائيل ، ويسلم ناس لإسرائيل . جزء من إنه صار هيك هو إنه اضطر . جزء من إنه صار هيك لأنه أُسقط ، لأنه منظمة التحرير بتفقد وجودها إذا ما صارت هيك . سياسياً هو عم بشتغل بوظيفة عميلة ، بس بتقدرش تقول إنه الناس مش محتاجيته والناس بدهاش إياه . بتقدرش تقول إنه مش نابع عن ضرورة سياسية . بس هو بنفس الوقت بعيد بنتج هاي الضرورة . إذا الناس متعلقة فيه هو بزيد تعلّق الناس فيه . بصفي عندك وضع إنه وزير الثقافة

مش عميل وعضو مجلس تشريعي مش عميل وحتى أبو مازن ما بتقدر تقوله عنه عميل ، الزلمة [الرجل] عنده حساباته ، والنقطة اللي شايف [يرى] منها العالم ، بس أداء السلطة أداء عميل لإسرائيل . بسلم الشباب وبضرب المقاومة لإسرائيل .

الأسوأ من هيك بنشأ مجتمع اللي ما بقدر يقاوم . بنشأ مجتمع اللي هو بخضعه لنظام بنكي ومالي ، اللي هو بمسك كل الشعب رهينة ، بعيّشه [يعيّشه] برفاه كاذب ، بعيّشه بوهم تبع دولة . هو بخلق للناس كمية أوهام – كل دولة هيك بدرجات متفاوتة – بس هو في أشياء أساسية مفقودة . بفهم إنه الدولة بتوهم الناس إنه عندها سوق حر ، بس بالنهاية في جيش بالدولة ، في جغرافيا ، في ملكية ، بالآخر الدولة بتضمن شوية [القليل من] أمن وملكية أرض لوهمك ، الدولة بتوفر لك ضمان اجتماعي ، الدولة بتحميك من إنه جارك ما يطخك [يطلق النار عليك] ، بس هون فش دولة ، ناس بتعيش كل أوهام بتفرضها الدولة الحديثة على الناس ، بس من ناحية ثانية ، لأ ، هي بتقدر تدافع على ملكية ولا حياة وأمان الناس . مرات بكون الشعار إنه إحنا دولة تحت احتلال ، صح فيها مشكلة جوهرية ، لأنه ما بتقدر تأمن لك إشي بنفس الوقت بتتعامل معك إنه الحياة مكملة وعادية ، بتقدر تعمل معرض كتاب ومهرجان رقص معاصر وسباق سيارات وماراتون . بصفي الاحتلال بهيك وضع مشكلة زي كيف حدا عنده ماينوس [عجز] بالبنك أو عنده مشكلة مع مرته [زوجته] أو مجاري بالشارع ، في احتلال كمان ما هو كمان مشكلة . المشكلة إنه الاحتلال مش مشكلة ، الاحتلال مش ظاهرة ، مش إشي اللي بتحله ، لما الاحتلال موجود إنت ما بتقدر تحكي عن مجتمع وجماعة وحياة وإشي . بس هي الحيلة تبعت الاحتلال إنه إنت امبلى [أي نعم] بتخلق نوع إدارة ذكية ، اللي هي السلطة اللي هي كيف زي الغواصة ، إنه بتتصرف عادي تحت الماء ، بس إنت بتنسى إنك بنص دين المحيط ، كل وجودك ونفسيتك ومجتمعك خاضع لسيطرة خارجية تبعت [خاصة بـ] شعب ثاني . إنت محكوم فيه .»

«في ناس بتقولك صح الحياة ممكنة لّما في احتلال . . . أنا بفكر إنه الحياة مش ممكنة لما في احتلال . وهاد التعامل هو التعامل اللي بتعامل مع الاستعمار كقدر ، زي [مثل] إنه بدنا نعيش ، حتى لو عارفين بدنا نموت . الاستعمار هو مش قدر هو مش طبيعة . . . هاد استعمار من صنع البشر ومش طبيعة ، وهاي المرحلة اللي فيها المستعمرين بتعاملوا مع الفلسطينيين إنهن القدر تبعنا هني [هم] عندهن إرادة وقدرات ، وإحنا حجار بحركوها ، وإنت دبروا حالكو . هاي هي فكرة الاستعمار ، بنسيك إنه بنفع تعيش حياة ثانية ، بتعامل بنفسه على إنه قدر . وهاي اللي بتعمله السلطة إنك تتعامل مع الاحتلال كقدر . . . «

خامساً ، حول العلاقة مع إسرائيل ؛ إسرائيل تريد هوية فلسطينية فولكلورية (دبكة) ، وليس إرادة سياسية ، هويتك ثقافية والتعامل مع السياسة كمواطن يقرّ بوجود الدولة وشرعيتها

يقول مجد كيّال عن العلاقة مع إسرائيل : « . . . إسرائيل هي زي [مثل] كل استعمار ، هو منظومة ميكانيكية ، هي كمبيوتر ، هي مش بدهن ينسّونا بلادنا ، بتفرقش معهن [لا يهمّهم] . . . شو بتفكر وحاسس ، بتفرق معهن إنك تشتغل بوظيفة ما تغلط إنه هالجهاز يشتغل . اللي عم بصير إنه هالجهاز بطوّر حاله وعم بتطور بطريقة كتير خطرة . . . إسرائيل بتيجي بتقول إنه الفترة

اللي بدنا ننسيكوا هويتكو الفلسطينية تنازلنا عنها ، بس تعاملوا معها على أنها هوية فلوكلورية ، نوستالجيا ، إدبك ، بس هاي مش إرادة سياسية . هويتك ثقافياً إنت فلسطيني ، اقرأ محمود درويش وتوفيق زياد . هاد بنتهي لما بتفوت على السياسة ، بالسياسة إنت مواطن . إنت بتشتغل سياسة كمان . بس وجودك السياسي ببدا من 15-5-1948 وطالع ، وقبله ما كان في إشي ، بمعنى اللي صار بالـ 48 بدي التاريخ من الأول ، هويتك قبل الـ 48 على عيني وراسي ، بس التعامل السياسي ما برجع لقبل 48 . ما بتقدر تحتج على وجود الدولة ، بتقدر تعمل شو بدك بالسياسة بس من منطلق مواطنتك ووجودك بالدولة ، وإنها باقية وشرعية . هاد شو بسمحلك؟ بسمحلك [يسمح لك] تناضل ضد الاحتلال بالـ 67 وتكون مع حماس لأنه محاصرة بغزة . . . بس هاد ملوش [ليس له] علاقة بالنكبة وذاكرتك . بصير إنه الناس مرتاحة مع حالها كتير ، ومنقرأ شعر ، ومنعمل ثقافة وكل إشي ، وبضل هاد الحلم تبع فلسطين ، بضل موجود ، وأخلاقياً مرتاحين ، ومنفكر فيه ، بس ما إله أي ترجمة سياسية . في إسرائيل طلعت من فيلم [لم تعد تبالي] إنه بدها تنسّيك العربي ، ما حدا بدو ينسّيك العربي . وإسرائيل مش كتير بتفرق معها تزور مرة بالسنة قرية مهجرة ، دولة بحجم إسرائيل بتقدر تتحمل هيك طقس . إسرائيل بتفصل بين الهوية الثقافية والهوية السياسية . النقاش هو هل في هويّة مش سياسية؟ أنا بفكر إنه لأ . بكل مرحلة ولحظة بالتاريخ بتقرر شو هويتك ، حتى لو هي مش سياسية مباشرة بس إلها وظيفة سياسية . إسرائيل بتقولك خد هويتك الثقافية ، بدك حكم ذاتي ثقافي؟ خُد ، بس ما تكون هوية سياسية . بتصير مغترب سياسياً وعن مجتمعك ، وبكون ضميرك مرتاح ، وممكن الصحف الإسرائيلية تكتب عنها ، إسرائيل بتكون دولة كتير متنورة ، طلعوا شو سامحينلهم وإحنا مبسوطين . . .»

سادساً ، الخروج من المأزق ؛ الحاجة إلى لأنموذج يحتذى به ، وإن تدريجياً ، من الناس ؛ بحاجة إلى خلق تيار رافض لإسرائيل والسلطة ، الموضوع هو : كرامة الإنسان الفلسطيني ، تعني التحرر من المقيدة للحرية ؛ ضرورة توليد تناقضات داخل النظام الإسرائيلي عبر ضغوط مكثفة وتضييق مساحة ممارسته للديمقراطية

في إجابة حول تصوّره للخروج من المأزق الحالي ، قال مجد كيّال : «أنا بفكر إنه في حاجة- بغض النظر لشو الحل- لإشي بدك تسميه مرحلة فردية ؛ هي إنه كمية ناس تبدأ تجازف بحالها عشان تبني إمكانية بديل . بمعنى ، ناس تيجي تقول إنه أنا بدي أنتج برّيت [خارج] الأكاديمية ، أنا بدي أنتج برّيت الأحزاب ، بدي أنتج برّيت إسرائيل وبدون علاقة معها . أنا بدّي أعيد الربط بين الخلفية الفكرية المكتوبة وبين العمل الفعلي . أنا بديش أترك للأحزاب المونوبول [الاحتكار] . . . في ناس لازم تبدأ تشكّل نموذج ، اللي شوي شوي يصفي محل إعجاب ، واللي تصير الناس بدها تنضملله ، بس ما في نموذج يحتذى به . في حاجة لأنه مرحلة فردية اللي ما تستعجل إنه تتنظم ، تخلق تيار اجتماعي معين ، رافض لإسرائيل رافض للسلطة ، كتير صعب هو ، لأنه بدو ينفصل عن كتير أشياء ، وبدون كتير رفضية بدناش نتعامل مع فلان وأقاطعه ، قول [قل] إني بدي [أريد] أشتغل لحالي . فش حاجة تكتب ستاتوس [تدوينة عبر الفيسبوك] 10 صفحات ضد معرض الكتاب ، ترحش على [لا تذهب إلى] المعرض وخلص . انجح بمعزل عن المعرض ووزارة الثقافة ، واكتب بمعزل عن الأكاديمية ، واشتغل بمعزل عن الاتحاد الأوروبي . هل هاد ممكن؟ على المدى البعيد بده طاقات فردية على الآخر [بالكامل] ، وبده ناس تآمن بالفكرة وتثبت أنه ممكن ينجح . هاد النموذج الناجح اللي فيه أهم مفتاح بكل الوضع ، اللي فيه

اليوم ، اللي هو كرامة الإنسان الفلسطيني . شو يعني؟ كرامته يعني إنه أنا إنسان حر ما بدي [لا أريد] حدا يبتزني بمصاري ولا سلطة ، قدراتي ونجاحي بإيدي ، وأنا بدي أحاول أتحرر من كل هالمؤسسات ومش بشكل عدواني ، إنما بشكل اللي هو أنا .»

حول الحلّ ، تابع مجد كيّال : «الحل الوحيد هو نرجع لنقطة إنه إسرائيل إشي ميكانيكي ، في تصوّرين لكيف تنحل الأشياء :

«في التصور إنه إسرائيل تتراجع ، أنت بتقدم وهي بتتراجع ، تدحر . بس إسرائيل لا تدحر . . . خدي مثلاً ترجمة برافر ؛ مش إنه الدولة تراجعت لأنه خافت من قوة الناس ، الضغط اللي صار خلّى [جعل] المنظومة نفسها تنقسم لقسمين . التناقضات تبعت الجهاز [الخاصة بالجهاز] ما قدرت تتعايش مع بعض وفرطت . التناقض الأساسي إنه في نظام ديمقراطي وفي هوية يهودية .

الحل إنك تضل مشكّل ضغط بمعنى مش مركزي ، وبكثافة . كثافة الضغط هي العامل المهم . المقاطعة هي وحدة من الأشياء ، كثافتها مهمة . نموذج النضال الجماهيري هي واحدة من الأشياء . أعضاء الكنيست اللي بحكوا كمان وحدة .

كمان تسدّ نوافذ ، بمعنى إنه النظام لما عنده إمكانيات يفرّغ ضغط بصير أسهل له . أسهل للنظام يقمعك ويحبسك ويقتلك لما هو بموّل مسرح عربي . إنت بتعطيه مساحات يوازن فيها عنفه ، بمارس قمعه ، بس بنفس الوقت بتعطيه مساحات يمارس فيها ديمقراطيته . إذا بدك تشتغل تسد هاي المساحات ، إنت بس تضيق عليه يمارس ديموقراطيته .

الأول بدك تضغط عشان يمارس عنفه . بس إنت كمان بدك ترفض أي مساحات إنه هاد النظام بظهر ديموقراطيته فيه . هدول الشغلتين رح يأدوا لانهيار الصهيونية . هي بتكمل بس إذا أعطيتها الأسباب إنها تكمل . إسرائيل مستحيل تضل ، من ناحية ثانية إنت ممكن تعطيها أدوات تضلها . كل كمبيوتر رح يخرب بس ممكن تسرّع العملية . تضلك تفتح شبابيك فيه ، لحد ما تطفيه .»

ج ، لقاء مع منسّقة مشاريع في جمعية الشباب العرب - بلدنا ، وعضو لجنة مركزيّة في حزب التجمع الوطني الديمقراطي

أولاً ، نظرة على واقع الشباب الفلسطيني تشير إلى شرخ في الهوية الفلسطينية عند شباب الأراضي المحتلة سنة 1948 بتأثير الاحتلال ونهج التعليم وعدم الانتماء إلى أحزاب سياسية و التواصل محدود بين الشباب في فلسطين ؛ واهتمامات التجمعات المختلفة .

تقول قمر طه (26 عاماً ، النّاصرة) حول واقع الشباب الفلسطيني في إسرائيل ، «بداية نحكي إنه في شرذمة هويّة ، بمعنى إنه أغلب الشباب الفلسطيني بالداخل ، في عندهن الهوية الفلسطينية والانتماء إلها منسية ، وفيها شرخ . عدة عوامل بتأثر عليها من ناحية الاحتلال ، من ناحية نهج التعليم (منهاج التعليم الإسرائيلي في المدارس العربيّة) ، من ناحية الأطر اللي موجودة عنا ، واللي بقدر الشباب العربي الفلسطيني يكون جزء منها ، وكمان عدم انتماء للأحزاب الموجودة ، اللي بتشتغل على موضوع الهوية . في صراع هوياتي . . . واضح اليوم إنه في صراع منقدر نتعايشه ونشوفه . . . إنه في عنا الشعب الفلسطيني وفي عنا هوية وطنية واضحة ، بس كل العوامل اللي بتأثر على

الهوية بتعمل التأثير على الشباب ، والقضية الوطنية . واليوم تعال نقول إنه قليل ، الشباب اللي عم بتواصل مع بعضه في مناطق فلسطين قليل ، وفش برامج كتير عم بتيح المجال . إذا في شباب بالداخل بدهن يروحوا على رام الله ، بس لشمة هوا [للترفيه] . وأغلب التواصل هو عن طريق الإعلام الاجتماعي ، وأغلب النقاش عن طريقه ، ومش عم نقدر [لا نستطيع] نتعايش مع كل القضايا . والانتماءات مختلفة بمناطق تواجد الفلسطينيين . القضايا الأساسيّة اللي بتهم كل جزء من هالأجزاء هي مختلفة . سواء بغزة والحصار ، والجدار بالضفة ، والخدمة المدنية بالداخل ، كلها بتأدي لصعوبة بالتواصل ولغة مشتركة . هون دور الاحتلال اللي بأثر على موضوع الشرذمة .»

ثانياً ، حول الأحزاب السياسية ؛ انتقادات شبابية للأحزاب ، الحزب هو من ساعدني على امتلاك هوية وفكر مستقل

تقول قمر طه : «اليوم بشوف إنه الهدف مشترك للكل ، بس كيفية النضال وتحقيق الهدف بختلف من شخص لآخر . بدي أعطي مثال عن مشروع متحركين[75] في أطياف سياسيّة داخلها ، وفي مستقلين ، وفي خلاف ، وفي نقاشات ، وفي مرات بتأدي للصراع . في متمثل لتيار وفي غير متمثل لغير تيارات . واليوم الشباب في عندهن انتقادات على الأحزاب ، حتى المنتمي حزبياً عندهن انتقادات على الممثلين ، وعلى النهج وعلى قديش [كم] الأحزاب بتمثل القضايا تبعت [الخاصة بـ]سكان الضفة وغزة ، وقديش عم منمثل القضايا الاجتماعيّة اللي بتهمنا ، كعرب الداخل] كفلسطينيين في إسرائيل» .

على المستوى الشخصي ، قالت قمر طه : «أنا اليوم دايماً بقول بآخر فترة ، أنا هويتي الوطنية تمت بانتمائي للحزب . انضميت للحزب بجيل العشرين ، وقبل ذلك ما كان عندي هوية وطنية واضحة . أجيت من بيت مش محزّب ، وما كان فيه هوية وطنية واضحة ، وأنا الحزب ساعدني إني أبني الهوية تبعتي [الخاصة بي] . وساعدني أكون عندي فكر مستقل ، ويكون عندي التساؤلات والانتماء لأي تيار بدي . قبل الانتماء للحزب كان عندي تساؤلات ، أي حزب بمثلني [يمثّلني]؟ التجمع والجبهة ، ولّا [أم] أكون مستقلة؟ وشفت دور إنه الأحزاب عم تلعب دور أساسي ، وبالذات أنا اليوم بدي أحكي عن الحزب ، وجيل الشباب بشوف إنه التجمع (التجمع الوطني الديموقراطي) عم بجرب يوصل لجيل الشباب بشكل مكثّف ، والعمل على الانتماء بشكل ممنهج ، واستراتيجية واضحة ، والتقييدات على الحزب مش جاية [لم تأتِ] من فراغ . إذا عم بتحاربي على رسالتك إنك تواصليها ، فمش رح يكون مقبول من قبل الاحتلال . هاد كمان ما بقصي دور الأحزاب الثانية .»

ثالثاً ، مساحات التعبير الشبابية ؛ دور هام للمنظمات الأهلية والحركات الشبابية (حراك برافر) ، وأهم الحراكات تخرج من الجامعات ومنظمات المجتمع المدني

حول مساحات التعبير للشباب تقول قمر طه : «أول إشي كمان ما ننسى دور المنظمات الأهلية ، دورها بمعنى اليوم عم بتّيح [تتيح] الفرصة للشباب إنهن يجيوا ويعبروا ، وإنه في شباب ما بتحب

75 حملة «متحركين لأجل فلسطين» جاءت ضمن مشروع الشباب الفلسطيني معاً من أجل التغيير الذي سعى لتعزيز مشاركة الشباب الفلسطيني في دعم التغيير الاجتماعي والسياسي على صعيد فلسطين وتطوير مواقف مشتركة بهدف التغلب على الانقسامات الجغرافيّة والاجتماعيّة والسياسية . ينفذ المشروع للسنة الثالثة على التوالي بالشراكة بين مؤسسة الرؤيا الفلسطينية وجمعية الشباب العرب- بلدنا ، و«الشبكة» شبكة السياسات الفلسطينية ، وهيئة الأصدقاء الأمريكية «الكويكرز» .

تتنظم [بالأحزاب] وبدها تطلع بشكل مستقل ، وفي كتير مبادرات مستقلة ، عن طريقة التظاهرات وكتير أنشطة عم تتنظم وحراكات شبابية . وفي عدة حراكات كان المبادر إلها هني الشباب الفلسطيني ، مثل حراك برافر ، وكمان على سبيل المثال الحراك بحيفا . اليوم صار في وعي عند الشباب أكثر من قبل . إحنا منفتحين أكثر على القضايا ، وفي اطّلاع على متابعة الأخبار محلياً وعالمياً . والشباب اليوم عندهن حب الاستطلاع ، وإنه يعرفوا . . . اليوم أنا بكون بأي محل بتعرف فيه على ناس ، وبشوف فيه شرخ بالهوية ، دوري أساعد وأفوت [أدخل] بهاد النقاش . الحركات والأحزاب والمنظمات كلها بتساعد . والجامعات كمان منبر أساسي . أغلب الحراكات عم بتحاول تفوت على الجامعات ، لأنه أكثر تجمع شبابي ، وأغلب الحراكات عم تطلع من شباب جامعيين . الحراكات الفعالة والمستمرة ، وعن طريق استراتيجية عمل عم تطلع من منظمات المجتمع المدني . في حراكات صارت فردية من أشخاص مستقلين ، بس اليوم كل المنظمات مع هوية وطنية واضحة كانت دافع أساسي . مشروع «متحركين» كانت أول مبادرة مع استراتيجية ، عن طريق بلدنا ، وفيها من الضفة وغزة والقدس . «متحركين» حكوا إحنا بدنا نعمل خطة واضحة ونجح ، رغم كل الإخفاقات والصعوبات ، بس قدر يجمع 60 شخص على مدار 3 سنين ، اللي كانوا يتشاركوا قضايا من عدة مناطق مختلفة جايين [جاؤوا] مع أفكار مسبقة ، وكيفية كسر الأفكار النمطية واشتغلوا على توسيع الدائرة عن طريق أيام دراسية ، وضم 120 شاب وصبية ، عم بتيح كمان أشخاص من المناطق المتنوعة ، تعالوا نتناقش على قضايانا ، القضية الأساسية هي الهوية بس في قضايا ما منعرفها [لا نعرفها] عن غزة وعن الضفة . في كسر للأفكار المسبقة عن الشباب بكل منطقة .»

رابعاً ، حول العلاقة مع إسرائيل ؛ خوف عند الشباب من السياسة والمستقبل ؛ العديد من الطلاب «يتأسرل» (فعل من كلمة إسرائيل) ؛ قلائل من المعلمين من يحمل رسالة وطنية ؛ نعمل مع الشباب على موضوع الانتماء الفلسطيني في مواجهة الرواية الصهيونية ؛ إسرائيل دولة احتلال ولا تمثلني

حول العلاقة مع دولة إسرائيل ، تقول قمر طه : «إذا بدنا نحكي عن شباب الداخل ، في شقّين [قسمان] ، في شقّ بقولك أنا عايش مرتاح داخل دولة الاحتلال ، وباخد حقوقي . هاد التفكير المغلوط والتفكير اللي إحنا منتعايش عليه من وإحنا وصغار ، لقلة احتضان هالأشخاص ، والعمل معهن على موضوع إنه هاي دولة احتلال ، وهي مش عاملة منيح إنك هون ، وكونك موجود هون وهي احتلت فهي مجبرة إنها تعطيك حقوقك . وفي خوف للشباب من السياسة ، الخوف من المستقبل ، وإذا بعمل إشي بحطوا عليّ نقطة سودا . وكمان في دور للأهل إنه إذا عاشوا النكبة والنكسة ، لازم يكون في دافع ، يكون في ترابط بين الابن والأرض . منشوف قسم كبير من الناس إنهن عم بتناسوا الهوية وعم بتأسرلوا وبعيشوا فقط المواضيع الاجتماعية . في ناس بتقبل برموز الدولة الإسرائيلية ، في كتير طلاب بشوفوه عيد الاستقلال مش النكبة . كمان المعلمين بالمدارس في خوف عندهن ، لأنه إنت بإطار تبع وزارة المعارف ، وقلائل المعلمين بكونوا حاملين رسالة وطنية . وهون بتطرق لمشروع القيادة الشابة (مشروع في جمعية الشباب العرب - بلدنا) ، واللي أول سنة منقدر نتواجد بـ 16 بلد من الجنوب للمثلث للشمال والجليل ، وافتتحت مشروع المدن المختلطة ، اللي هني 6 بلاد ، اللي مش بالقيادة الشابة . إحنا اليوم في 22 بلد بكل مجموعة في 10- 25 شاب وصبية ، وفي شغل على موضوع الانتماء الفلسطيني . وكمان اليوم في رواية صهيونية تُمرر بالمدارس ، وكيف النازيين تعاملوا مع اليهود ،

وكيف هالأرض كان أرض الميعاد ، وكيف الفلسطينيين مش صحاب الأرض . بالقيادة الشابة منحكي عن القضية والنكبة والتهجير والتطوع والانتماء للبلاد العربية ، ومحاربة الخدمة المدنية . لأنه في كتير مدراء ورؤساء البلديات ومجالس ومدراس ، كل واحد فيهن بفوت شاب على الخدمة المدنية ، بوخد مقابل مادي . وكل واحد منهن بطلع بشكل علني ضد الخدمة المدنية يُعاقب ، ممكن يكون العقاب مادي ، وممكن يكون بالفصل من وظيفته .

الجزء الثاني يتعلق بمشروع القيادة ، منحاول نقرب اللي متأسرل ونشتغل على الهوية . التحدي هاي وكيف أنا بقدر أشتغل معهن ، وشو التغيير والتأثير اللي منعمله ، وإذا هني بصيروا يعرّفوا حالهن بشي مرحلة كفلسطينيين . وأكيد ما منسى [ننسى] إنه في أهالي وطنيين عم بشتغلوا مع ولادهن على الهوية خارج هالأطر . اليوم تعال نقول إنه أغلب الشباب الوطني مرق بسيرورة ما ، ما تعلمها بالمدرسة . وهاد ممكن كله يساعد ، ومنحاول نفوت على المدارس ، مع إنه في تضييقات على الجمعية بالدخول على بعض المدارس ، بس عم منحاول عن طريق أطر ثانية نوصل للشباب . أنا على صعيد شخصي ، في مدرسة ما حكوا من قبل المعارف لمدرسة ما في النقب ، إنه ممنوع أفوت عليها . النقب كحالة صعبة من التضييقات الاجتماعية والسياسية ، والقرى غير المعترف فيها ، والتضييقات على المرأة ، خاصة بما يتعلق بالعمل وبالنقب من أعلى نسبة للتجنيد للخدمة المدنية .»

على مستوى رؤيتها الشخصية ، تقول قمر : «أنا بشوفها [إسرائيل] كدولة احتلال لا تمثلني ، قامت على أراضي شعبي ، وأدت لتهجير الآلاف من سكان الشعب الفلسطيني ، وأنا اليوم مع تحرير وإرجاع كل المهجرين بالشتات ، وأنا اليوم لإيصال الرسالة الوطنية ضد النهج الاستعماري المفروض عليّ ، من خلال شغلي ونهج حياتي ومقاطعتي إلهن . وباعتبار جداً واضح أنا فلسطينية ، عايشة داخل دولة احتلال فُرضت علي ولا أنتمي إلها .»

خامساً ، رؤية للسّلطة الفلسطينية ؛ الشباب لا ترى أن السلطة تمثلها

حول رأي الشباب ورأيها بالسلطة الفلسطينية ، تقول قمر طه : «الشباب بالداخل ما بحسوا [لا يشعرون] بانتماء للسلطة وما بحسوا إنه مواقف السلطة تمثلهم ، وضد نهج السلطة . وأنا موقفي ذات الإشي .»

سادساً ، الخروج من المأزق ؛ وحدة الشعب هي المدخل

تقول قمر طه : «المأزق الفلسطيني عنوان كبير ، بس يمكن الخروج من المأزق . . . إنه نكون كلنا بترابط ، إنه إحنا بدنا نطلع من هاد المأزق . بس تبحسي بانتماء . بدي أعطي مثال : اليوم لما قلنا بدنا نوقف قدام السياسة العنصرية بالكنسيت ، قررنا نطلع بقائمة مشتركة . . . وأنا بآمن إنه إذا نحن جادين بدنا ننجح كشعب فلسطيني ، لازم نتوحد مع بعض كلنا كفلسطينيين في كل مكان . مع الاختلاف على توجه شكل الدولة ، علمانية أو دينية ، بس هاد نقاش مؤجل للمرحلة الجاي . والحل؟ فلسطين من البحر للنهر وعودة اللاجئين .»

د . لقاء مع جامعي من الجبهة الطلابية في جامعة حيفا

أولاً ، واقع الشباب الفلسطيني ؛ حراك شبابي ميت بعد برافر ، لأن تجربة «القائمة المشتركة»

قتلت التنافس بين الأحزاب ، شبكات التواصل الاجتماعي أثرت سلباً ، هناك لامبالاة حالياً

يقول طارق ياسين (عرابة – حيفا ، 25 عاماً ، طالب جامعي من الجهة الطلابية في جامعة حيفا) : « . . . بعد برافر ، الحراك الشبابي ميت بشكل بخوّف ، الحركة الطلابية والأطر الشبابية ، كتير عوامل أثرت ، تجربة المشتركة قتلت التنافس بين الأحزاب وأثرت كتير بالجامعات ، ما بذكر سنة ميتة مثل هالسنة اللي مرقت [السنة السابقة] وهاد إله تأثير سلبي من القائمة المشتركة . الإشي خصه إنه ما بتقدري توخدي الشباب اللي هون بمعزل عن العالم ، كل شبكات التواصل الاجتماعي أثرت سلباً ، اليوم الناس بتفكر إنه بتقعد على الفيس بوك هي قامت باللي فيه وبطل في زخم نشاطات .

«المرحلة اللي إحنا فيها وكل الحكومة كيف عم بتروح لليبرمان[76] وشاكيد[77] وكل الهجوم الموجود على الوسط العربي وتهديدات الحروب ، ردة الفعل تبع [الخاصة بـ] الشباب ما وصلت للسقف المطلوب منها ، وهاد الإشي واضح باللامبالاة الموجودة ، وكل هالأمور بتفرجي [تُظهر] إنه بطل زي قبل [لم يعد كالسابق] . . . ممكن قلة وعي وعدم تثقيف ، مش هالقد متابعين شو عم بصير معهن ، بس بالناحية امتحان النتيجة منقدر نقول إنه الشباب الفلسطيني مش عم بكون بسقف التوقعات اللي مفروض يوصله .»

ثانياً ، مساحات التعبير الشبابية ؛ الأحزاب هي مجال تأثير الشباب ، ومجال تأثر الشباب وهو ما لم يعد قائماً ؛ القيادات لا تزال تواصل تمسكها بمواقعها ، والشباب تهرب من الأحزاب . . .

يقول طارق ياسين : « . . . تأثير الشباب داخل الأحزاب هو أكبر محل بيأثر فيه ومنه الشباب الفلسطيني . هاد الإشي للأسف مش عم بكون موجود ، وبقدر أعمم على كل الأحزاب . في تغيرات إيجابية بالفترة الأخيرة ، بس برضه مش عم تصل للمتوقع والمطلوب . عم منشوف [نرى] شباب عم بوصلوا لمحلات [لمواقع] داخل الأحزاب ، بس برضه في تمسك من القيادات القديمة بالمناصب ومواقع صنع القرار ، وهاد الإشي بأثر سلبياً ، الأدوات اللي كانت تنفع من 20 سنة اليوم تغيرت ، الجيل القديم مش عم بلاحق التطورات الموجودة ، حتى لو بده [يريد] هو يؤثر وعنده قدرة ، التطورات اللي عم بتصير ما راح تعطيه مجال ، ومفروض الشباب يكون إله دور أكبر . . . الشباب دايماً كانت بقيادة أي عمل وطني وتقدمي بالأحزاب ، ومش المؤسسات والجمعيات ، إنما الناشطين الحزبين والحراكات السياسية . . . الشباب عم بهرب من الأحزاب ، ويأس وعم بطلع لكتير محلات [مواقع] مثل الحراكات الشبابية .»

ثالثاً ، الأحزاب السياسية ؛ فجوة بين الشارع والأحزاب والمشكلة هي بالعمل النضالي وليس با لتمثيل

يقول ياسين : «من ناحية تمثيل السياسي تعالي نفصل إشي : قيادة العمل الجماهيري والنضالي من جهة بالشارع ، ومن ناحية آراء سياسية وبيانات ، في شوي فجوة بين شو الشارع بفكر ، وبين الرؤية السياسية اللي بتعبر عنها قيادات الأحزاب ، الإشي الواضح إذا كان بالداخل عن نهج المشتركة ، والخطاب تغير ، وكمان بالضفة الفجوة بين المنظمة والشارع شو بفكر ، بس حسب رأيي شوية دراسة علمية أكثر وناس بتابع ممكن نقول إنه الرؤية السياسية وتمثيلنا كأقلية هون

76 افيغادور ليبرمان ، وزير خارجيّة إسرائيل منذ 31 آذار/مارس 2009 .

77 أيليت شاكيد ، عضو كنيست عن حزب «البيت اليهوديّ» .

بمستوى لائق ، بالنهاية التمثيل السياسي بيوازن بين الخط المسؤول والعقلاني ، وبين تحدي وطرح مسؤول ومش طرح انهزامي ، حسب رأيي إنه المشكلة الأساسية مش بالطرح ، نفسه إنما بالعمل النضالي .»

رابعاً ،العلاقة مع إسرائيل ؛ الدولة تتعامل معنا كأعداء وليس مواطنين

يرى ياسين : «أول إشي ، كل التغييرات التاريخية اللي صارت من الـ 48 لليوم وكل إشي مرقناه [مررنا به] كشعب من سياسات الدولة ، أكيد رح يؤثر على توجهك وتعريف علاقتك مع المؤسسة ، بقول برضه إنه يكون إشي عقلاني بعلاقتنا مع الدولة ، إنه يكون إشي مدروس ، الشعارات تبعت [الخاصة بـ] الـ 48 مش زي وقت الحكم العسكري ، ومش زي شعارات اليوم ، وفي أشياء عم بتتغير نتيجة للنضالات ومفروض نطور خطابنا . علاقتنا بدولة تدعي إنها ديمقراطية ، وهي عنصرية وتوجهها معنا كأعداء ، مش كمواطنين ، وكل تعامل المؤسسات الدولة معنا هو توجه عنصري وهاد فش نقاش عليه وهاد بالتالي بأثر على علاقتي كفلسطيني مع الدولة ، وفي النهاية النضال كله اللي بده يكون على تغيير هاد التعامل للدولة معنا ، وبالنهاية ممكن نوصل لوضع فيه مساواة تامة كفلسطينيين سكان إسرائيل ، من ناحية حقوق وحقوق قومية .»

خامساً ، الرؤية للسلطة الفلسطينية ؛ السلطة لا تلبي طموح الشعب ؛ موجهة أكثر للرأي العالمي ولإسرائيل وليس للشعب

حول السلطة الفلسطينيّة ، يقول طارق ياسين : « . . . السلطة ما بتلبي طموحات الشعب ، وبمرحلة ما بوصل لتخاذل على حقوق الشعب . التوجه الملحوظ لسياسة رئيس السلطة هو أكثر على الرأي العالمي وأوساط إسرائيلية ، وكأنه الحل رح يجي [يأتي] من تأثير أوروبا على إسرائيل ، وفي إهمال للشعب الفلسطيني كرأس حربة للنضال ضد الاحتلال ، والتاريخ بعلم إنه لا يمكن التعويل لا على الاتحاد الأوروبي ولا أوساط إسرائيلية يسارية ، بالتالي أي تحرر من الاحتلال بكون من الشعب . . . السلطة تحوّلت لذراع للاحتلال في قمع مظاهرات ومسيرات ضد الاحتلال وبناء المستوطنات بالضفة . وفي النهاية حتى الادعاء إنه النضال السلمي أو السياسي حتى بهذا المجال ، السلطة مش عم تنجح ، والتنازلات اللي عم بتقدمها باستمرار . . . مش عم تنجح .»

سادساً ، الخروج من المأزق ؛ تقوية الأحزاب السياسية وتفعيل منظمة التحرير ، ربط النضال ضد الاحتلال بالنضال ضد الفساد والاستبداد ؛ وربط نضال الداخل بالنضال ضد الاحتلال ومن أجل العودة

يرى ياسين : «بالآخر إنه أي حل بدو يجي [يأتي] من الشعب نفسه ، لازم يكون دور أكبر للأحزاب السياسية في النهاية إعادة تقوية الأحزاب السياسة في الضفة وغزة ، وإعادة تفعيل منظمة التحرير كونها إطار جامع للشعب الفلسطيني ، والاتكال على الشعب الفلسطيني بقيادة النضال لأنه التحرر رح يجي من الشعب نفسه ، ومش عن طريق ضغوطات من برا [من الخارج] على إسرائيل . بالنهاية حسب رأيي لا يمكن فصل النضال ضد الاحتلال وضد الفساد والاستبداد اللي بتمارسه السلطة اليوم في غزة والضفة ، عشان تقدري تناضلي ضد الاحتلال بدك قيادة تمثل الشعب الفلسطيني ، وتوجه النضال للمكان الصح . للأسف الإشي اليوم مش موجود ، النضال ضد السلطة وحماس لا يقل أهمية عن النضال ضد الاحتلال نفسه ، لأنهم صاروا

ذراع من الأذرع . عم منشوف اليوم كتير تحركات سياسية بالعالم عم تضغط على إسرائيل ، بس بالنهاية هاد مش لازم يجي على حساب نضال الشعب الفلسطيني .

بما يتعلق بالداخل الفلسطينيّ ، يضيف طارق : «بالأساس في لازم يكون رؤية مميزة للداخل والأحزاب هون ، بحكم الواقع اللي إحنا فيه ، من ناحية موقع جغرافي ونضال من أجل المواطنة ، لازم يكون ما يميز نضال الفلسطينيين بالداخل عن الآخرين ، بس ما يكون في عزل عن نضال الداخل عن نضال التحرري بالضفة والشتات وغزة . الحل اتجاهين : مساواة القومية والمدنية داخل إسرائيل ، والثاني وضع كل وزن الجماهير العربية من أجل إحداث تغيير على القضية الفلسطينية وإنهاء الاحتلال وحق العودة .»

هـ . لقاء مع كاتب وناشط سياسي

أولاً ، واقع الشباب الفلسطيني : ثلاثة اتجاهات بين الشباب ، السير نحو : المخدرات والأسرلة ، والثقافة الوطنية ؛ أغلبية الشباب غير مسيسة .

حول واقع الشباب الفلسطيني ، يقول رامي يونس (31 عاماً ، ناشط سياسي وكاتب من اللد) : «عندنا مشكلة عويصة جداً ، في عنا مشكلة بالداخل إنه في جهة المتأسرلين ، الميّالين للأسرلة ، وفي عنا من الطرف الثاني جيل اللي طالع اليوم ، جيل المخدرات ، إحنا ما كنا هيك ، مرقنا بعمر العشرينات وما كنا هنا ، وفي الجهة الثالثة الناس الواعين أكثر لتاريخهم وحضارتهم وثقافتهم ووطنيتهم . وكل فئة من هالفئات بتواجه مشاكل كبيرة ، يعني الشاب الفلسطيني اللي عمره 20 سنة ، اللي بدو يجرب [المخدرات] ، بقدر أفهمه لأنه فش حدا يوجهه ، كتير مرات بتشوفي اللي بجربوا بضلهن يجربوا وما بعرف يطلع منها ، بعكس الشاب اليهودي ، اللي بجرب سنة و3 احتمال إنه يطلع من الإشي احتماله دايماً أكبر .

«بالنسبة للمتأسرلين ، بما إني جاي من اللد ويافا والرملة ، كل «الواتساب» تبعه بالعبري والفيس بوك بالعبري ، هدول بنقسموا لقسمين : المتأسرلون رسمي ، واللي بحكوه بالإعلام العبري هو مقدّس . وفي من هدول [هؤلاء] اللي من وقت مجزرة غزة 2014 ، بشوفهم بتوجهولي ، عمالهم برجعوا لأصولهم الفلسطينيّة . بالأساس بعد موجة العنصرية الكبيرة اللي صارت هون . بس هدول أقلية ، هني مناح [هم جيدون] ، بدنا يزيدوا بس هني قلال [هم قلائل] .

«إذا بدي ألخّص اللي عم بحكيه : المشكلة إننا من ناحية سياسية معظمنا في الداخل مش مسيسيّن ، جزء كبير مننا متأسرل كمان . لما الدولة مش معنية تساعدنا نتطوّر ومش عم تعطينا خدمات أساسية اللي المواطن لازم ياخدها ، إحنا هون بمأزق . من طرف واحد إحنا مش متصلين مع بقية شعبنا زي ما لازم ومع العالم العربي ، واتصالنا مع دولة الاحتلال مشكلة . وأكبر دليل ، حتى لو متأسرلين ، يعني مين من اليهود بصوّت لنتنياهو؟ هني الشرقيين ، المستضعفين ، وبالتالي معظم المتأسرلين همي ناس مش متعلمين بكونوا مستضعفين ، بكونوا هني كمان ضعاف ، بفكروا إنه لما بلجؤوا للأسرلة هاد ممكن يساعدهم .»

ثانياً ، الأحزاب السّياسيّة : قيادة سياسية غير مبادرة ، لكنها تحارب الأسرلة ، مطلوب أن تطرح فكرة بديلة للبرلمان الإسرائيلي ؛

يقول رامي يونس : « . . . القيادة الرمزية هي مش بطالة [ليست سيئة] ، بس هي باسيف passive [غير مؤثرة] ومش [ليست] أكتيف active [مؤثرة] ، قيادة جرّ ومش قيادة مبادرة . والمفروض إنه بالسنين الأخيرة ، إنه يبلشوا [يبدأوا في] يبلوروا فكرة بديلة للبرلمان الإسرائيلي ، وهاد مش عم بصير .

«بلومش [لا ألوم] حدا وبلومش القيادة ، وضعنا كتير صعب ، وضعنا تقريباً غير معقول ، عشان هيك بحبش [لا أحب] اللي بلوموا القيادة . هي بتحارب الأسرلة ، من ضمن الأشياء اللي بتعملها بتحارب الأسرلة ، بتعطي للفلسطيني بالداخل إنه كأنه في قيادة وفي مين يسمعهن ، تخيلي إنت بحضانة والأولاد دايرين ، وجود المعلمة بالحضانة بيعطيهم إحساس بالأمان حتى لو هني [هم] مش بحاجة إلها ، نفس الإشي هون . إحساس الأمان إنه في عندك أم وأب ، السؤال هل إشي بساعد؟ الإجابة هي لأ . بس هاد الموجود . إذا القيادة بتبلش [تبدأ] تفكر عن بديل عن التمثيل بالبرلمان الصهيوني ، ساعتها منبلش [نبدأ] نفكر بحلّ مشاكل .»

ثالثاً ، مساحات التعبير الشبابية ؛ الصحافة العربية غير مهنية كافية ، والعبرية مهنية أكثر ولذا لها مصداقية أعلى رغم أنها وسيلة لغسل الدماغ

حول مساحات التعبير الشبابية يقول يونس : «فيسبوك ، من هاي الناحية عنا كمان مشكلة ، هون . . . إحنا مشاكلنا إنه الصحافة العربية بالداخل هي مش مهنية كفاية ، عم بحكي عن مساحات أكثر شعبيّة ومش نخبوية ، الإنسان الفلسطيني بالداخل مش أهبل ، لما بشوف الميديا [وسائل الإعلام] العبرية مهنية أكثر ، بشكل طبيعي ومن غير ما يحس بعطيها مصداقية أكثر ، وهو إذا مش واعي سياسياً بكنش [لا يكون] عارف إنه وسيلة لغسيل الدماغ ، ومع جريدة هآرتس هي أقل بروبوغاندا [دعاية] وأكثر أسرلة ، بكون في مشكلة ، حتى الناس اللي بكتبوا وبدهن يعبروا عن آرائهم الفلسطينية ، بدهن ينشروا بهآرتس و»سيحا ميكوميت»[78] أكثر من الميديا العربية . إذا بتشوفي كمية التعليقات ، في تعليقات بموقع «واي نيت» بالصحافة العبرية لقراء عرب أكثر من تعليقات في أي منصة عربية ثانية . بلحظة اللي فيه فرصة منستغلها . إحنا الإعلام العبري بقبلناش [لا يقبلنا] ، بقبل الناس اللي بتشبه عقليتهم مش لله ، لما كان هالقد توصل منشورات للعرب بالعبري على موقع «سيحا ميكوميت» ، تمام ، يعبروا عن رأيهن بلغة العدو ، وكمان حتى المتأسرلين بيناتهم . ناقصنا مساحات للتعبير عن الرّأي ، والفيس بوك هو مش مساحة كافية .»

رابعاً ، حول السّلطة الفلسطينيّة : لا تمثل صاحبي المعلم في رام الله ولا تمثلني

يقول رامي يونس : « . . . لما أنا وصلت لمرحلة إني بحس إني بقدر أطلع باللد ، عنا رئيس بلدية كان يهتف بالموت للعرب بشهر 11 مع المستوطنين اللي إجوا ، بس إذا بشعر بأمن أطلع أتظاهر بدوار دهمش باللد وأرفع علم فلسطين ، وما أكون خايف من الاعتقال . وصاحبي برام الله اللي كان معلم أو ناشط سياسي بخاف يطلع يتظاهر برام الله ، لأنه عارف رح يلتعن ربه ، هاي السلطة ولا ممكن تكون لا ممثل إله ، ولا إلي ، فهي عدو ، وهاد جزء من التنسيق

78 موقع إلكتروني صحافي بالعبرية .

الأمني . كمان إنه السلطة بتمنع ابن رام الله والضفة إنه يطلع على الشوارع ويعبر عن رأيه هاد جزء من تنسيق أمني . طبعا التنسيق الأمني بشكل عام ، مش عمالي بحكي إنه بمنعوا عمليات بإسرائيل ، لسه ما وصلنا لهناك ، بحكي عن مستوى التعبير . . . «

خامساً ، حول العلاقة مع إسرائيل ؛ الإسرائيليون يجهلوننا ويقومون بأسرلتنا ومحي رواية الجيل الجديد بالتدريج ، ليست دولة لكل مواطنيها ؛ التحول الأهم ، هو أننا بدأنا نتخلى عن خوفنا من إسرائيل

يقول رامي يونس : «بدي أحكي عن حالي ، أنا واحد اللي عاش بين حارات يهود وصحاب طفولتي بس كانوا يهود ، مدارس يهود ، بفهم تفيكرهم كيف بشتغل ، بعرفوش إشي علينا [عنا] ، ولا أي إشي ، صعب لما إنت بتحاربي . عشان تعملي سلام مع عدوك ، عدوك لازم يعرفك ويفهم قصصك وشو عمل بالماضي ، بس عدونا اليوم ، اللي هو دولة الاحتلال ، ما بعرفوا إشي ولا رح يعرفوا إشي . هني [هم] مسيطرين على الإعلام وبأسرلوا فينا ، الجيل الجديد شوي شوي [شيئاً فشيئاً] عم بمحي النراتيف [الرواية] narrative تبعه [قصته] تأثيراً بهاد الإعلام . دولة اللي فيها بتوقفي على منصة ما أو بتكوني بمقابلة بمحل [بمكان] ما بتقولي دولة كل مواطنيها ، في إشي هيبي [hippie] أكثر من هيك؟ لما تقولي إنه هاد اللي بشرب بيرة بشنكن [منطقة في تل أبيب] وابن مخيم جنين يكونوا متساويين ، في جملة أكثر يسارية من هيك؟ لما هيك جملة بتنعد [تعتبر] هون إنها متطرفة ، ولما منحكي بباريس هالجملة بصقفولنا ، بتفهمي قديش غسيل الدماغ اشتغل عليهم .

«يعني في شغلة بدي أضيفها عن فلسطينية الداخل ، علاء كتب مقال لذيذ عن جيل النشطاء الجدد من الفلسطينيين إنه بخفش [لا يخاف] ، مزبوط [صحيح] ، عمالنا [بدأنا] شوي شوي [شيئاً فشيئاً] منتحرر فكرياً ، كميات المقالات بالعبري كتير مهمة وهاد بدل إنه بطلنا نخاف . تتوقعي مع مواجهة الأسرلة هاي ، يصير إشي بغزة ، الناس رح تضل تطلع ، رغم كل موجة الأسرلة الموجودة . أكثر إشي بضحك اللد ؛ بمنكون نتظاهر 50 واحد ، ببلش البوليس [الشرطة] يضرب ، فجأة 200 واحد بطلع من تحت الأرض ، بتحس إنه اللد إذا في مشاكل مع البوليس .»

سادساً ، المأزق والحلّ ؛ لدينا عدة مآزق وليس مأزق واحد ؛ الحل سيأتي من المخيمات ، وليس من «الداخل» ، ومطلوب قيادة نزيهة

حول المأزق الفلسطينيّ يقول يونس : «فش مأزق واحد ، حسب رأيي غلط نطلع عليه هيك . إنه إذا حلیناه خلص . في عنا مشكلة حصار غزة ، وعنا مشكلة تواصل مع غزة ومع الضفة ومع المخيمات زي ما لازم [كما هو مطلوب] ، والفلسطينيين بالخارج وبأوروبا مش منظمين زي ما لازم . هاي مآزق عدة مش مأزق واحد . الحل مش رح يجي من الـ 48 ، إحنا مش رح يجي الحل من عنا ، ولا من عكا ولا من اللد ، الحل رح يجي من وين أكثر هو مدعوس عليه ، لأنه من هناك بتكون الجرأة الكبيرة ، الانتفاضة من المخيم ، والانتفاضة الحالية ، اللي هي انتفاضة ، هي انتفاضة مخيمات ، رح يجي من هناك . وهيك قصدي عن السلطة الفلسطينية بلحظة اللي فتح بتتجدد وكل القيادة بتتبدل ، بس المشكلة حالياً بالقيادة

بالضفة . وجود قيادة نزيهة ومش شرط شجاعة . . . «

استخلاصات : الحاجة إلى بعث روح جديدة بين الشباب ، وتحديداً في أوساط الحركة الطلابية ؛ هناك قلق من حالة «الأسرلة» المستمرة بين الشباب الفلسطيني ؛ ابتعاد الشباب عن الأطر الحزبية بسبب غياب أطر تعبير لهم عن ذواتهم فيها ؛ يُنظر إلى سلطة الفلسطينية بشكل سلبي ؛ دعوة إلى إيجاد كيان سياسي وطني جامع .

التقيت بالأساس بأفراد فاعلين في مجموعة شبابيّة وفي الحقل السياسي والثقافي والاجتماعي ، وبالتالي ، أعطوا صورة ، كما يرونها ، إلى ما يشهده واقع الشباب الفلسطيني في الأراضي المحتلّة سنة 1948 ، لقربهم الفعلي واليومي منه . غالبيتهم ، تطرقوا إلى واقع الشباب من منظوره السياسي والنضالي والمأزق الذي يمرّ به نتاج مأزق الواقع الفلسطيني عامة ، وإن كان واقع الشباب غير مفصول عنه ، إلا أنه – أي الشباب – يتحمل مسؤولية الواقع عامة ، حتى وإن كانت هنالك محاولات مستمرة من الجيل الأكبر سناً ، لاستثنائه .

سواء في الحراكات الشبابية المستقلة – واستقلالها لا يعني أن عدداً كبيراً من المنتسبين مستقلين حزبياً ، بل جزء كبير منهم هو ضمن أحزاب وحراكات سياسية ، لكن نشاطه داخل الحراك الشبابي هو كعضو من هذا الحراك المستقل – أو في الأحزاب السياسية ، فكان واضحاً أن هنالك حاجة وضرورة لبعث روح جديدة في أوساط الشباب ، هذه الروح التي فُقدت نتاج الحال السياسي عموماً للأحزاب السياسية ، والتي تظهر بوضوح في أوساط الطلاب الجامعيين وركود الحركة الطلابية التي كانت شعلة النضال الجماهيري لأعوام طويلة في الأراضي المحتلة سنة 1948 .

ضمن الحوارات التي أجريتها ، كان هنالك تركيز على هوية الشباب الفلسطيني في الداخل ، أو كيف يعرف الشباب الفلسطيني نفسه ، وهنالك قلق واضح من حالة الأسرلة المستمرة التي يتعرض لها الشباب الفلسطيني من قبل مؤسسات الاحتلال ، وابتعاده عن هويته القومية ، لكن بالمقابل ، تعمل المؤسسات الشبابية ومؤسسات المجتمع المدني والأحزاب السياسية (بتفاوت وتيرة العمل وشكله) باستمرار حول مواجهة الأسرلة والتوعية حول الهوية العربية والفلسطينية من خلال برامجها المتنوعة في قرى الداخل ومدنه .

هذا الواقع ، مرتبط أيضاً بمساحات التعبير الحاضرة اليوم في واقع الشباب ، وهي في غالبيتها ، مساحات تعبير حديثة ، فُرضت عليه ضمن عصر الإنترنت والتكنولوجيا ، وسهولة التواصل مع العالم والانكشاف على معلومات هائلة من كل بقعة في الأرض . هذا يمشي يداً بيد مع حقيقة ابتعاد الشباب عن الأطر الحزبية ، التي لم يعد يجد فيها مساحة للتعبير عن ذاته ، ومنحت له تكنولوجيا العصر الحديث إمكانيات تعبير فردية مباشرة ، بغض النظر عن مدى تأثيرها .

تتفاوت الآراء حول الأحزاب السياسية الفلسطينية في الدّاخل ، عن الثقة فيها ، عن ضرورتها ، عن الإيمان بدورها ، لكن حتى تلك الآراء التي تجد ضرورة للأحزاب وأهمية لها ، تعتبر أيضاً أن هنالك حاجة إلى تغيير نهجها ، وإلى منح مساحة أكثر للشباب ولدورهم الريادي .

فيما يتعلق بالسلطة الفلسطينية ، فإن أغلبية الآراء ترى بالسلطة جسماً سياسياً بائساً ، لا

يفي بالغرض الذي وُجدت من أجله ، ولا حتى بالدور الذي يجب أن تقوم فيه ، في ظل الاحتلال ، بل العكس تماماً ، فوجودها هو تكريس لوجود الاحتلال العسكري ، المتجسد خاصة في منظومة القمع الداخلية ، بما في ذلك قمع حرية التعبير عن الرأي .

الجميع يرى المأزق الوطني التي تمر به القضية الفلسطينية ، وباختلاف الحلول التي يتصورها الشباب المحاوَرين ، هنالك دعوة متكررة نحو ضرورة إيجاد بديل سياسي جامع ، لا يقتصر على فئة من الفلسطينيين دون غيرهم ، بديل قادر على احتواء الشباب فيه ، الموجودين في فلسطين والشتات ، سواء كان هذا البديل جسماً سياسياً أو نهجاً سياسياً آخر ، للخروج من المأزق .

الهبّة الشبابية الأخيرة (شمال الضفة) ؛

حديث مع : أسر الشهداء والكتل الطلابية وأسرى سابقين وشباب من مخيم بلاطة

علي موسى

أولاً ، مقدمة ، أسئلة البحث والمنهجية

تحاول هذه الورقة الإجابة ، من خلال المشاركين في المقابلات ، عن عدة أسئلة واستيضاح عدة أمور تتقاطع غالباً بين الأفراد والمجموعات الذين جرت مقابلتهم مع وجود خصوصية لكل فئة منهم .

أولاً ، أهالي الشهداء : انصبّ الاستماع للاهتمامات العامة والوطنية للشهداء ومصادر ثقافتهم ، ورأيهم بالسلطة الفلسطينية والفصائل والمؤسسات ، وعلاقتهم بجيل الآباء والأمهات والمعلمين ، وشملت الأسئلة ما يلي : هل هناك ثقة واقتداء أم العكس؟ وعلاقتهم بوسائل الإعلام التقليدي والاجتماعي ، ودور الفصائل والأحزاب والمؤسسات الوطنية ، والدوافع الوطنية والدينية والاجتماعية ، وعلاقاتهم بشهداء سبقوهم أو أسرى ، وهل هناك مؤثرات فردية شكلت دافعاً لهم للانتفاض ، وكيف ينظر الأهالي إلى الوضع الحالي وإلى أين يتجه وكيفية الخروج من المأزق السياسي الراهن ، وكيف ينظرون إلى دور الفصائل والسلطة والمؤسسات المحلية .

ثانياً ، ممثلو الكتل الطلابية والنشطاء الشباب والأسرى السابقون : تركزت الأسئلة على : دوافع ومحفزات مشاركة الطلبة والشباب في الهبّة ، وأسباب انحسارها ، ودور الفصائل في تحفيز المشاركة أو انحسار الهبّة ، ومدى تأثير قمع الاحتلال وتدخل الأجهزة الأمنية في الحد من المشاركة في الهبّة وتراجعها ، ومدى ثقتهم بالسلطة ، بشقَيها ، ومختلف الفصائل ومؤسسات المجتمع المدني والحراكات الاجتماعية الجديدة ، وهل يجرى تشكيل تحركات خارج المؤسسة السياسية الرسمية الفلسطينية والمجتمع المدني والحركات الاجتماعية لتبني قضايا ملموسة من دون تحديد هدف سياسي ختامي لها ، والنظرة إلى مؤسسات السلطة وظواهر الفساد والتفاوت الطبقي وتأثيرها على مسار الهبّة ، ومفهوم التحرر وكيف يجري ، وأولوياتهم الوطنية ، واهتماماتهم الشخصية ونظرتهم إلى مستقبلهم الشخصي والمهني ، والموقف من الهجرة ورأيهم بالعمل التطوعي وأين يجدونه في السياق الوطني والسياسي العام الحالي ، وتقييمهم للحالة السياسية ومستقبل الهبّة والانقسام ومساعي المصالحة ، وخصوصية لطلبة الأراضي المحتلة سنة 1948 في مجتمع الطلبة .

ثالثاً ، الأسرى السابقون : بالإضافة إلى أسئلة المجموعة السابقة ، أضيف الأسئلة التالية : لماذا لا يشاركون في الهبّة ، وما هي أوجه التشابه والفروق في نظرتهم إلى الهبّة الحالية مقارنة بانتفاضة الأقصى سنة 2000 ، ورؤيتهم لواقع الهبّة ومستقبلها وإمكانات نجاحها واستمرارها والأهداف ممكنة التحقيق التي يمكن أن تضعها لنفسها .

مزجت هذه الورقة في منهجيتها في استقصاء آراء الشباب بين اللقاءات الجماعية والفردية . وقد قام الباحث بعقد ستة لقاءات جماعية وأربعة لقاءات فردية عقدت جميعها في الفترة ما بين 19 نيسان/أبريل و2 أيار/مايو 2016 .

اقتصرت اللقاءات الفردية على أربعة من الأسرى المحررين الذين شاركوا في انتفاضة الأقصى ، وهم : أسير محرر من الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين وأسيران محرران من حركة الجهاد الإسلامي من محافظة جنين والأسير الرابع من حركة «فتح» من محافظة طولكرم . هذا وتنوعت اللقاءات الجماعية ما بين عائلات عدد من شهداء الهبّة الشبابية في محافظة نابلس ، وممثلين للكتل الطلابية في أربع جامعات فلسطينية ، ونشطاء شبابيين في مركز يافا الثقافي من مخيم بلاطة في محافظة نابلس .

بالنسبة إلى عائلات شهداء الهبّة الأخيرة ، التقى الباحث بمجموعة منها من محافظة نابلس (المدينة والقرى والمخيمات) . ومن أصل اثنتي عشرة عائلة استشهد أحد أفرادها خلال الهبّة ، استجابت مشكورةً سبع عائلات ، وهي عائلات الشهداء : أشرقت قطناني (والدها) ، وبسيم صلاح (شقيقه ووالدته) ، ومرام حسونة (والدتها وشقيقها) ، وإيهاب حنني (والده) ، وعلاء حشاش من مخيم عسكر (والده) ، ولبيب عازم من قريوت (والدته وشقيقه وصديقه) ، ومحمد زغلوان من قريوت (والداه وشقيقته) .

بالنسبة إلى ممثلي الكتل الطلابية في الجامعات ، فقد كانوا كالتالي : من جامعة النجاح الوطنية حضر ممثلون للكتل الطلابية لحماس وفدا وحزب الشعب والجبهة الديمقراطية ، ومن جامعة بيرزيت حضر ممثلون لكتل لحركة «حماس» والجهاد الإسلامي والجبهتين الشعبية والديمقراطية وفدا إضافة إلى رئيس مجلس الطلبة السابق ، ومن جامعة فلسطين التقنية- خضوري حضر ممثلون لكتل الجبهتين الشعبية والديمقراطية وحزب الشعب والمبادرة الوطنية ، ومن الجامعة العربية الأمريكية- جنين حضر ممثلون لكتل «فتح» و«حماس» والجبهتين الشعبية والديمقراطية وفدا وحزب الشعب وأعضاء من مجلس الطلبة . وبذلك بلغ مجموع المشاركين في اللقاءات كافة نحو خمسين شخصاً تفاوتت نسبة مشاركتهم في اللقاءات والوقت الذي منحوه للمشاركة في الحوار (لم يستكمل الجميع اللقاءات حتى نهايتها) .

الصعوبات التي واجهت الباحث

أ . صعوبات تنظيمية : اضطر الباحث إلى عقد اللقاء مع طلبة جامعة النجاح في مكتب حزب الشعب في نابلس ، جراء وجود إشكالية بين الحركة الطلابية في الجامعة وإدارتها خلال فترة عقد اللقاء . وهو المكان الذي استضاف مشكوراً أيضاً ، اللقاء مع أسر الشهداء . كما كان من الصعب عقد اللقاء مع طلبة الجامعة العربية الأمريكية من خلال التنسيق مع عمادة شئون الطلبة جراء رفضها التعاون مع الباحث لأسباب غير واضحة ، مما اضطر الباحث إلى التنسيق مباشرة مع الطلبة ، مع الشكر لرئيس مجلس الطلبة الأسبق الطالب يوسف كميل على تعاونه وتسهيله عقد اللقاء . ولا يفوتنا شكر عمادة شئون الطلبة في جامعة فلسطين التقنية- خضوري ممثلة بعميد شؤون الطلبة الدكتور جمال أبو بشارة ، وفي جامعة بيرزيت ممثلة بنائب عميد شؤون الطلبة الأستاذ فضل الخالدي على مساعدتهما في عقد لقاءين مع ممثلي طلبة جامعتيهما وفي حرمهما .

ب . صعوبات أمنية : في اليوم المقرر لمقابلة طلبة جامعة النجاح كان ممثل كتلة الجهاد الإسلامي معتقلاً أو مستدعى للاستجواب لدى الأمن الفلسطيني ، فلم يتمكن من الحضور . أما ممثل كتلة الجبهة الشعبية فقد خشي المشاركة لوجود حملة اعتقالات إسرائيلية طالت عدداً من رفاقه . في

جامعة فلسطين التقنية لم تتمكن عمادة شؤون الطلبة من التواصل مع ممثل كتلة «حماس» أو الجهاد الإسلامي في الجامعة نتيجة الاعتقالات أيضاً .

ج . مسألة الثقة : في مركز يافا الثقافي ، في مخيم بلاطة ، كان الحضور متردداً في الحديث والتفاعل بداية اللقاء ، وذلك جراء تجربة مسبقة قام خلالها شخص أجنبي بإجراء مقابلات في المخيم بادعاء أنها تخص رسالة ماجستير ، ليفاجأ المقابلون أن مقابلاتهم استخدمت ضمن مادة إعلامية تحريضية على الفلسطينيين وجرى تزوير ما قالوه . وفي جامعة فلسطين التقنية ، حضر اللقاء أحد موظفي عمادة شؤون الطلبة بدون تبرير واضح . وفي الجامعة العربية الأمريكية قد يكون غياب الثقة سبباً في عدم تعاون الجامعة .

د . مشكلة الالتزام : خلال جميع اللقاءات الجماعية ، كان من الصعب المحافظة على حضور جميع المشاركين ومشاركتهم وتفاعلهم . من المؤكد أن بعضهم كانت لديه مشاغل ، لكن كان عدم الاكتراث والاهتمام سبباً لذلك أيضاً . أيضاً لاحظ الباحث ضعف التزام واهتمام ممثلي طلبة فتح بحضور اللقاءات في الجامعات بشكل عام .

ثانياً ، آراء المشاركين

أ . أهالي الشهداء

1. عائلة الشهيدة أشرقت قطناني (16 عاماً ، مخيم عسكر ، طالبة مدرسة ، استشهدت في 22-11-2015 ، أعدمها الاحتلال بعد أن دهسها أحد قادة المستوطنين قرب حاجز حوارة جنوب نابلس بحجة محاولتها طعن جنود) . والدها أسير سابق اعتقل عدة مرات وعايشت تجربة اعتقاله التي كانت عنيفة في بعض الأحيان ، إذ جرى ضربه وتعريته أمام ناظريها لتفتيشه خلال اعتقاله سنة 2008 . وعاشت تجربة زيارة والدها في السجن ، وكان كلا الأمرين مؤثراً عليها . امتلكت حساً وطنياً ومقاوماً ، وأكثر ما أثر فيها حرق الطفل محمد أبو خضير ، وعائلة الدوابشة . كانت تلوم الناس والأمة على التقصير في التعامل مع هذا الواقع . وعندما حُرقت عائلة الدوابشة اعتبرت أن الانتفاضة قد بدأت وقالت لمضيفيها في الأردن إنهم ربما لا يرونها لاحقاً ، وكانت تدعو الله في رمضان قبيل الهبّة أن تنال الشهادة . وحزّ في نفسها عدم التمكن من الصلاة في المسجد الأقصى في رمضان . كانت الشهيدة نشيطة عبر الفيس بوك تعبر عن مواقفها مما يحدث في فلسطين ، والمحيط العربي . أما التلفاز فكانت تتابع قبيل استشهادها فضائيات الأقصى وفلسطين اليوم والقدس وترجمة الأخبار العبرية عبر فضائية معاً . وكانت نشيطة في المدرسة عبر الإذاعة المدرسية . وكانت متحمسة لانتفاضة جديدة وتتهم من يخالفها الرأي بالجبن وعدم الرجولة .

يرى والدها وبحكم تجربته أن الانتفاضات المتتالية كانت ذات أثر سلبي على الشعب الفلسطيني . وأن شهداء الهبّة جاءوا من بيئة واعية وطنياً ونضالياً ، ومارسوا نشاطاً وطنياً كبيراً ختموه باستشهادهم ، خلافاً للكثير من الشبان الذين تحدثوا أعواماً طويلة ، لاسيما عبر مواقع التواصل الاجتماعي ، منتقدين الواقع وداعين إلى الانتفاض ، وعندما حدثت الهبّة لم يكن لهم مشاركة فيها .

ينتقد والدها دور الفصائل بإرسال الشبان إلى الحواجز وتركهم لمصيرهم ، ويقول إنه تحدث بذلك مسبقاً كخطيب مسجد في المخيم . أما الشعور الحالي فهو إحباط من السلطة والفصائل ومن عدم استعدادهم للتضحية ، ومثال على ذلك كوادر الانتفاضة الأولى الذين ذهبوا إلى العمل في الأجهزة الأمنية وكوادر انتفاضة الأقصى المحبطين . يضاف إلى ذلك أن الفصائل تريد انتفاضة لا تخوض غمارها ، أو تقودها .

أما على الصعيد المجتمعي ، فلفت والدها الانتباه إلى أمر لمسه وهو الخذلان المجتمعي المتمثل في لسان حال الناس : «ما حدا استشهد إلا بنتك؟» أو «جننتنا» «ما تحملناش جميلة» ، متجاهلين أن الشهيد قطعة من ذويه سبقتهم إلى الموت . ويتحدث عن أفكار تسود منها أن عائلات الشهداء انتفعت مادياً من استشهادهم ، ما يجعلهم تحت الأضواء ، ويرى أن هذا يعكس أزمة فكرية وثقافية وحرص الناس على مصالحهم اليومية والمادية التي يفضلونها على المقاومة والانتفاضة والشهداء .

من جهة أُخرى ، فهو يرفض ، محاولة بعض عائلات الشهداء سرد رواية تناقض الواقع مفادها أن أبناءهم قتلوا بدم بارد ولم يذهبوا إلى مواجهة الاحتلال ، في تساوق مع الرواية الرسمية التي تحاول بهذا الأسلوب استدرار عطف العالم . وهو يرى أن واجبه كوالد شهيدة أن يسرد الحقيقة المتعلقة بالعمل الفدائي لابنته ولبقية الشهداء ، الذين لو قدر لهم أن يحملوا السلاح لفعلوا أكثر مما فعلوا .

قالت الشهيدة لوالدها مرة خلال أحد النقاشات : «إن استشهدت فأنا ابنة فلسطين ولست ابنة فصيل .»

لاحظ والد الشهيدة أن الانقسام والملاحقة الأمنية في الضفة الغربية وقطاع غزة أسهم في منع الفصائل من القيام بواجبها تجاه عائلات الشهداء . ثم إن الفصائل المقاومة ، لاسيما حماس والجهاد الإسلامي ، اكتفت بالضخ الإعلامي ولم تنخرط في الهبّة بثقلها الحقيقي . وهو يرى أن من الضروري إيجاد جسم حقيقي يمثل أسر الشهداء ، ويعبر عنهم ويتابع قضاياهم اجتماعياً ووطنياً .

2. عائلة الشهيد بسيم صلاح (37 عاماً ، نابلس ، خيّاط ، متزوج ، استشهد في 29-11-2015 ، أعدم بعد طعنه جندياً إسرائيلياً في باب الواد بالقدس) . الشهيد بسيم أسير سابق أمضى نحو تسعة أعوام من خلال عدة اعتقالات منذ الانتفاضة الأولى ، ينتمي إلى حركة «فتح» لكن عمليته الفدائية فردية ، وله شقيق استشهد سنة 1987 ، وشقيقان أسيران سابقان ، وخلال انتفاضة الأقصى سنة 2005 حاول القيام بعملية طعن قرب حائط البراق في القدس وتعرض للضرب الشديد من المستوطنين ومكث في المستشفى عدة أشهر ، وأمضى في هذا الاعتقال خمسة أعوام . كان دائم التردد على القدس للصلاة تهريباً ، حيث أصيب بجروح خلال محاولته تسلق الجدار الفاصل والدخول إلى القدس قبيل استشهاده . تركت تجربة السجن أثراً كبيراً على حياته ونفسيته ، حيث تعرض لعنف السجانين خلال الاعتقال أيضاً . كان يلوم الناس دوماً على التقصير ، ويتمنى الاستشهاد في القدس . ويوم استشهاده غادر البيت في الخامسة صباحاً ، مصطحباً سكيناً من مطبخ بيته . بعد استشهاد بسيم ، سحب تصريح العمل

من شقيقه الذي كان يعمل في الداخل المحتل ، حتى وقت المقابلة وهذا ما حدث مع والد الشهيد محمد زغلوان ، من دون توفير فرصة عمل أو بديل لهما .

3. عائلة الشهيد علاء حشاش (16 عاماً ، مخيم عسكر الجديد ، عامل ، استشهد في 23-11-2015 ، أعدم بزعم محاولة تنفيذ عملية طعن على حاجز حوارة) . كان علاء شاباً محبوباً مشاركاً في الحياة الاجتماعية والوطنية في المخيم ، ومن ذلك التضامن مع عائلة الأسير نور أبو حاشية الذي تعرض منزله للهدم من قوات الاحتلال بعد تنفيذ عملية فدائية قبل الهبّة . ترك المدرسة في الصف العاشر ليساعد والده على تأمين حاجات الأسرة التي تعيش في بيت مستأجر في المخيم . متابع لوسائل الإعلام والفيس بوك ، تأثر بحرب غزة سنة 2014 ، شارك في مواجهات في بيت فوريك ، وشاهد لحظة استشهاد إيهاب حنني ، قبل استشهاده بيوم أخبر والده أنه رأى مشهد استشهاد أشرقت قطناني التي استشهدت في ذلك اليوم ، ثم إنه تأثر بمشهد استشهاد الشهيد مناصرة من القدس الذي بثته وسائل الإعلام . توقع علاء استشهاده وطلب من والدته تسمية جنينها على اسمه ، وقد أنجبته في ذكرى مولده السابع عشر (4-2-2016) ، بعد استشهاده .

يرى والده ، الذي لم يخل محيطه الاجتماعي من الشهداء ، إذ إن عمته شهيدة في الانتفاضة الأولى وابن عمه شهيد في انتفاضة الأقصى ، أن جيل شهداء الهبّة الحالية أراد القيام بالواجب بإمكانات بسيطة ، ولم يكن لديه تجربة سابقة محبطة كالأجيال التي خاضت الانتفاضة الأولى وانتفاضة الأقصى .

في يوم استشهاده اغتسل وصلى قبل مغادرة البيت ، وودع أشقاءه وأخبر أحدهم أنه لم يستطع وداع والدته ، ولاحقاً أخبر شهود عيان والده أنه كان في محيط مكان عمله ينظر إليه من بعيد من دون أن يتمكن والده من وداعه ، وهذا يشير إلى نية مسبقة لعمل فدائي . عندما هدأت الهبّة ، يقول والد حشاش إن همّ عائلة الشهيد أصبح أمراً مقتصراً عليهم وحدهم من دون مساندة من أحد .

4. عائلة الشهيدة مرام حسونة (20 عاماً ، نابلس ، طالبة سنة ثانية في كلية التربية في جامعة النجاح الوطنية ، في 12-1-2016 أعدمت على حاجز عناب شرق طولكرم بزعم محاولتها تنفيذ عملية طعن) . الشهيدة أسيرة سابقة مدة ستة أشهر ، اعتقلت وهي على مقاعد الدراسة الجامعية بتهمة محاولة طعن حيث كانت تكرر أمنيتها بطعن جندي إسرائيلي ، نتيجتها في الثانوية العامة 89% . ملتزمة دينياً وحافظة للقرآن ، عبرت والدة الشهيدة عن اعتزازها بشهادة ابنتها واعتبرتها تكريماً إلهياً لها ولأسرتها ، كانت مستقلة حتى داخل السجن ، دافعها الأكبر الانتماء الوطني والقناعة الدينية والرغبة في «الجهاد» ضد الاحتلال . بعد اعتقالها ، وجدت والدتها أنها قد جمعت عبر أعوام صور عدد كبير من الشهداء مع معلومات عنهم وعن استشهادهم . أما بعد استشهادها فقد وجدت أسرتها قصاصات أوراق خطت عليها عبارات من قبيل : «من السهل نقل الإنسان من وطنه ، لكن من الصعب نقل وطنه منه» ، «فلسطين أرض الرباط والجهاد» ، «فلسطين لا تركع إلا لله» . كانت حسونة تتمنى الشهادة ، وتجربة السجن كانت حاضرة لديها وتستذكر

الأسيرات دائماً . لم تكن تتحدث في السياسة بتاتاً ، إنما تقتصر متابعتها للأخبار عبر التلفاز والإنترنت على اعتداءات الاحتلال وأخبار الشهداء لاسيما الأطفال ، وتنتقد إحجام قطاعات واسعة عن المشاركة في الهبّة . لكن كل ذلك لم يكن يمنعها من الاهتمام بدراستها والتخطيط لمستقبلها فيما بعد التخرج من الجامعة . تؤكد والدتها أن شهادتها رسالة أن تحرير فلسطين لا يكون إلا بالمقاومة والوحدة الوطنية ودعم الأمة العربية والإسلامية للشعب الفلسطيني .

5. عائلة الشهيد إيهاب حنني (19 عاماً ، بيت فوريك ، استشهد في 16-10-2015 بعد إصابته برصاصة في مواجهات اندلعت في البلدة) . عبر والد إيهاب عن فخره بشهادة ابنه البكر ، لكنه عبر عن حالة إحباط من الوضع السياسي الحالي . والأكثر إحباطاً هم أهالي الشهداء من تعاطي المستوى السياسي والمجتمع بشكل عام ، لاسيما مع تراجع الهبّة وعدم استمرارها وغموض المستقبل .

6. عائلة الشهيد لبيب عازم (17 عاماً ، قريوت ، طالب ثانوية عامة ترك المدرسة خلال الإضرابات على أن يعيد التقديم لامتحانات العام القادم ، استشهد في 2-3-2016 بعد طعن مستوطن في مستوطنة عيلي جنوب نابلس) . كان لبيب كتوماً وملازماً لصديقه وزميله وجاره محمد ، وملتزماً بالصلاة في المسجد منذ 3 أشهر ومداوماً على قراءة القرآن ، عمه لبيب الذي سمي على اسمه ، استشهد سنة 1995 في رمات غان بعد تنفيذه عملية فدائية هناك ، وجرى تسليم رفاته سنة 2013 ، وربما أثر مشهد تشييع رفات عمه فيه بحسب والدته . ثم إن خال لبيب معتقل إداري ، وشقيقه اعتقل مرتين . تأثر الشهيد بالحرب على غزة سنة 2014 ، وكان يستغرب كيف يجلس الناس إلى مائدة الإفطار بينما الحرب دائرة هناك . أما شقيقه الذي اعتقل مرتين ، فيقول إن استشهاد لبيب وغيره لا يحبط الشباب ، وإن لبيب ومحمد كانا كمن يودع الناس في آخر يوم لهما ، كان لبيب يتابع مواقع التواصل الاجتماعي والفضائيات الفلسطينية ، لاسيما فضائية الأقصى .

7. عائلة الشهيد محمد زغلوان (17 عاماً ، قريوت ، طالب ثانوية عامة ، استشهد في 2-3-2016 بعد طعن مستوطن في مستوطنة عيلي جنوب نابلس) . يربط والده سياق استشهاده بواقع قريوت المنكوبة بالاستيطان والتي صادر الاحتلال معظم أراضيها خلال فترة تمتد على نحو ثلاثين عاماً ، وتحيطها أربع مستعمرات ، ويضطر أهاليها للسفر 18 كيلومتراً إضافياً للوصول إلى طريق رام الله- نابلس الرئيسي . ثم إن منزل والد محمد هدمه الاحتلال سنة 1994 بزعم عدم الترخيص ، مما اضطره إلى العيش في بيوت مستأجرة في أحوال سيئة خمسة أعوام .

أما بالنسبة إلى ولده محمد وصديقه لبيب الذي استشهد معه في اليوم نفسه ، فلم يكن لهما انتماء سياسي ، لكنهما كانا يشاركان في المواجهات التي تندلع في القرية لاسيما محاولة فتح طريقها المغلق . بعد صلاة العشاء ليلة استشهادهما اختفيا وقام الأهالي بالبحث عنهما ، حتى وردت أنباء فجراً عن استشهادهما ، بعد اقتحام المستعمرة . تراجع أداء الشهيد واستعداده الدراسي مع اندلاع الهبّة نتيجة اهتمامه بمتابعة الأحداث والأخبار عبر التلفاز والإنترنت ، وعندما سألته والدته لم لا تدرس؟ رد عليها : «مادام اليهود ماخذين أحسن أراضي في قريوت

مـا بعرفـش أهـدى» . ومـن الأمـور التـي أثـرت فيـه حـرق الشـهيد أبـو خضيـر وعائلـة الدوابشـة . وقبـل 4 أعـوام مـن استشـهاده ، وهـو في سـن الـ13 منعـه الاحتـلال مـن الوصـول إلـى القـدس للصلاة في الأقصـى خـلال شـهر رمضـان ، وخلّـف الأمـر لديـه غصـة بحسـب والـده . قبـل استشـهاده بيـوم قـال لزميلـه : «بكـرة رح تسـمع لـي عـرس مـا صـرش» ، وأخبـر شـخصاً آخـر أنـه سـيقوم بعمـل «يرفـع رأس» والـده . عبـرت والدتـه عـن الافتخـار بشـهادة ولدهـا .

يسـتنكر أهـل الشـهيد النظـرة السـلبية للمجتمـع المحلـي حـول الشـهداء والهبّـة ، والإحبـاط الـذي يحـاول بعـض الأشـخاص بثـه ، كـون عمليـات الشـهداء لـم تكـن مؤذيـة للاحتـلال .

كان الشـهيدان محمـد ولبيـب ملتزمـين بالصـلاة في المسـجد ، والعمـل التطوعـي فيـه ، ومحمـد كان يـؤم المصلـين في صـلاة التراويـح في رمضـان 2015 . وأثـر استشـهادهما ، علـى جـو القريـة ، حتـى الأطفـال تحولـت لعبتهـم المفضلـة إلـى جنـازة شـهيد .

ب . طلبة الجامعات

أولاً ، جامعة النجاح الوطنية

1. كتلـة الوحـدة الطلابيـة (حـزب الشـعب) : إحسـاس الطلبـة بعـدم جـدوى الاشـتباك مـع الاحتـلال على نقـاط التمـاس ، ووجـود تمايـز طبقـي بـين عامـة الشـعب والمسـؤولين ، الأمـر الـذي جعلهـم يشـعرون بعـدم جـدوى المشـاركة في الاحتجاجـات علـى الحواجـز . أحـد الطلبـة قـال «إذا بنـزل ابـن أبـو مـازن علـى الحاجـز ، أنـا بـدي أروح أستشـهد .» عسـكرة انتفاضـة الأقصـى أدت إلـى قناعـة الطلبـة بـأن لا شـيء مجـدٍ إلا المقاومـة المسـلحة . بعـد المواجهـات في حـوارة ، تنبهـت الكتـلٍ الطلابيـة إلـى ضـرورة تعزيـز الانتمـاء الوطنـي وتعبئـة الفـراغ النـاتج عـن نقـص التوعيـة سـابقاً . لاحقـاً قـررت الفصائـل القيـام بمهرجانـات داخـل المدينـة بعيـداً عـن حاجـز حـوارة ، إضافـة إلـى زراعـة أشـجار الزيتـون ، ومسـيرات داخـل المدينـة . خـلال الهبّـة وقعـت عـدة اشـتباكات بـين السـلطة ومسـلحي «فتـح» ، مـا أحبـط محـاولات القـوى السياسـية في نابلـس لتفعيـل الهبّـة بسـبب شـبح الفلتـان الأمنـي الـذي حـدث في نهايـة انتفاضـة الأقصـى . في كل كليـة في الجامعـة هنـاك نحـو «عشـرين مندوبـاً» للأجهـزة الأمنيـة الفلسـطينية ، وهنـاك مكتـب طلابـي في المخابـرات الفلسـطينية مختـص بالجامعـة ومديـره يـداوم في حرمهـا . طلبـة الداخـل يخشـون المشـاركة باسـتثناء الأمـور النقابيـة والتثقيفيـة البحتـة ، داخـل أسـوار الجامعـة ، وهنـاك ممثـل لهـم وآخـر لطلبـة القـدس لـدى إدارة الجامعـة خـارج إطـار الحركـة الطلابيـة ومجلـس الطلبـة (ذكـر أنـه في إحـدى المـرات تدخـل أيمـن عـودة رئيـس القائمـة العربيـة المشـتركة لـدى إدارة الجامعـة لحـل مشـكلة تتعلـق بتسـجيل مجموعـة مـن طلبـة الداخـل) . ثقـة النـاس بالسـلطة في الضفـة ضعيفـة بسـبب الفسـاد والاعتقـال السياسـي واحتـكار القـرار ، يجـب إصـلاح السـلطة مـن الداخـل لأنهـا إنجـاز تاريخـي للشـعب الفلسـطيني . كذلـك لا بـد مـن إصـلاح المنظمـة لضـم القـوى التـي هـي خارجهـا : حمـاس والجهـاد والمبـادرة ، وتفعيـل دوائـر المنظمـة ، وإخراجهـا مـن سـلطة الرجـل الواحـد . والنقطـة الأخيـرة تنطبـق علـى بعـض الأحـزاب وهـو أمـر لا بـد مـن تغييـره . الحـراكات الشـبابية معظمهـا مـن الفصائـل مـع وجـود بعـض المسـتقلين . والحـراكات الجديـدة لا تشـكل بديـلاً بـل مكمـلاً للجهـد السياسـي ، ويجـب ألا يجـري تحويلهـا إلـى أداة سياسـية تحقـق أهدافـاً مؤقتـة . التركيـز علـى الحقـوق المرحليـة أمـر مجـدٍ في ظـل التعثـر السياسـي . الشـباب يائسـون جـراء التفـاوت الطبقـي واحتـكار المـوارد لطبقـة معينـة وعـدم وجـود قـدوة وطنيـة ، وتبـدل الأولويـات نحـو الحاجـات

الماديـة للأفـراد . تحريـر الأرض يمكـن أن يجـري بصـورة تدريجيـة عبـر آليـات سـلمية وشـعبية علـى نمـط الانتفاضـة الأولـى ، بعيـداً عـن مظاهـر العسـكرة في الانتفاضـة الثانيـة ومظاهـر البلطجـة التـي قـادت إليهـا ، وعـن مقاومـة ردة الفعـل القائمـة في قطـاع غـزة . وإن كان لا بـد مـن مقاومـة مسـلحة فالأولويـة يجـب أن تكـون في المناطـق المحتلـة سـنة 1967 . ومـن جهـة أُخـرى يصعّـب الانقسـام مـن إمـكان الوصـول إلـى حـل سياسـي أو تحقيـق تمثيـل حقيقـي للفلسـطينيين أمـام الاحتـلال والعالـم . ثـم إن تحويـل الصـراع إلـى صـراع دينـي مـن قبـل حمـاس مثـلاً مضـر بالقضيـة الفلسـطينية . إنهـاء الانقسـام أكثـر قضيـة ملحـة حاليـاً مـع صعوبتـه ، علـى غـرار صعوبـة توحيـد اليسـار ، مـع أن الانقسـام بـين فتـح وحمـاس أكبـر وأصعـب نتيجـة المصالـح التـي ينقسـم علـى أساسـها الفصيـلان . أوضـاع العمـل وقلـة الفـرص تدفـع الشـباب إلـى الهجـرة مضطريـن ، والفصائـلٍ لا تسـتطيع توفيـر بديـل في هـذا السـياق يحـول دون الشـباب والهجـرة . العمـل التطوعـي ليـس بديـلاً عـن العمـل السياسـي ، وفي الوقـت الحالـي تحـول نحـو عمـل اسـتعراضي وإعلامـي غيـر مجـدٍ علـى المـدى الطويـل ، ثـم إن بعـض المؤسسـات التطوعيـة الممولـة أمريكيـاً أصبحـت قنـاة إنفـاق أمـوال فقـط . الهبّـة الشـعبية خمـدت ، لكـن عوامـل وجودهـا وتكـرار مظاهرهـا مـا زالـت موجـودة ، ثـم إن محاولـة تسـليح الهبّـة مـن جهـة أو إخمادهـا وقمعهـا مـن جهـة أُخـرى كانـت خاطئـة .

2. الكتلـة الإسـلامية (حمـاس) : الاعتـداءات الإسـرائيلية ، لاسـيما علـى المسـجد الأقصـى والمرابطـات كانـت حافـزاً للطلبـة للمشـاركة في المواجهـات علـى حاجـز حـوارة ، أدت سياسـة السـلطة الرسـمية إلـى ممارسـات مـن الأجهـزة الأمنيـة التـي منعـت الحافـلات مـن نقـل الطلبـة إلـى نقـاط التمـاس . تراجـع النشـاط الطلابـي في الجامعـة لاسـيما الثقـافي منـه ولإدارة الجامعـة دور سـلبي في هـذا السـياق ، لكـن الكتلـة الإسـلامية تحـاول الدمـج في نشـاطها بـين القضايـا السياسـية العامـة والقضايـا السياسـية الخاصـة بحمـاس . السـلطة تحـارب بـث الوعـي والثقافـة كمـا حـدث في إحـدى المـرات ، حيـث صـادرت عـدداً مـن الصناديـق المملـوءة بالكتـب التـي تخـص معـرض كتـب للكتلـة الإسـلامية . كانـت الكتلـة منسـجمة مـع قـرار «حمـاس» وتوجههـا بدعـم الهبّـة بـكل الطـرق ، وهـذا ينسـجم مـع توجـه باقـي الفصائـل باسـتثناء «فتـح» التـي كان خطابهـا ضـد توسـع واسـتمرار الهبّـة . بالنسـبة إلـى المصالحـة ، فالمشـكلة في نهجَـين لا يتفقـان : نهـج التسـوية والمقاومـة ، وحتـى بعـض كـوادر فتـح لا تقنعهـم سياسـة حركتهـم الرسـمية لكنهـم مغلوبـون علـى أمرهـم . خـلال الهبّـة لـم تتوقـف الأجهـزة الأمنيـة عـن اعتقـال طلبـة الكتلـة بسـبب نشـاطهم . لا تفضـل الكتلـة الإسـلامية وغيرهـا مـن الكتـل تمثيـل طلبـة الداخـل بصـورة خاصـة ، بهـم وتفضـل إدماجهـم بالحركـة الطلابيـة . الشـعب و«حمـاس» ثقتهـم عاليـة بمـن يسـعى لتحريـر فلسـطين ، ممثـلا بفصائـل وتشـكيلات المقاومـة ، لـذا تنعـدم الثقـة بالسـلطة ، أمـا «حمـاس» وحكومـة غـزة فلـم تعـط الفرصـة الكافيـة لتحقيـق رؤيتهـا وبرنامجهـا .

هنـاك طابـع حزبـي للمجتمـع الفلسـطيني وصعوبـة في الخـروج مـن الإطـار الحزبـي لاسـيما في العمـل التطوعـي . يركـز الفلسـطينيون علـى القضايـا السياسـية المرحليـة في مقابـل القضايـا الكبـرى لأننـا نمتلـك ذاكـرة قصيـرة . موضـوع التحريـر يجـب أن يكـون بالمفهـوم الشـامل التقليـدي الـذي يعنـي جـلاء كل الصهاينـة عـن أرض فلسـطين التاريخيـة . موضـوع الفسـاد يقتـل طمـوح الشـباب . قضيـة الأسـرى رغـم أنهـا هـي القضيـة التـي مـا زالـت الأبـرز إلا إنهـا لا تحظـى بالاهتمـام الـكافي . علـى الصعيـد الشـخصي التعـرض للاعتقـالات المتكـررة يطيـل فتـرة الدراسـة ويؤخـر فرصـة الحصـول علـى عمـل لاسـيما مـع الفسـاد الإداري والوسـاطة ، لذلـك يبقـى قـرار الهجـرة المؤقتـة وارداً . أمـا الهبّـة الشـعبية فقـد فتـرت ، لكـن احتمـال اسـتمرارها وتصاعدهـا لا

يـزال وارداً . بالنسـبة إلـى المصالحـة فيصعـب تحقيقهـا بصـورة كاملـة نتيجـة التضـارب في المصالـح والبرنامـج السياسـي والأيديولوجـي ، ثـم إن فـرص المصالحـة تتعلـق بتوافـق القواعـد لا القيـادات . تتكامـل الحالـة السياسـية والمقاومـة ، ولا يمكـن لواحـدة منهمـا القيـام بمهمـة التحريـر وحدهـا .

3. كتلـة اتحـاد الطلبـة (الجبهـة الديمقراطيـة) : منعـت إدارة الجامعـة الكتـل الطلابيـة مـن تعليـق الـدوام حتـى يتـاح للطلبـة المشـاركة في الاحتجاجـات ، نقـص وعـي الطلبـة بأهميـة الاحتجـاج والمشـاركة فيـه . وهـذا يعـود بشـكل مـا إلـى تقصيـر الكتـل الطلابيـة في التوعيـة والتثقيـف داخـل الجامعـة ، بحيـث يفهـم الطلبـة أهميـة المقاومـة والاحتجـاج بعيـداً عـن العواطـف التـي أدت إلـى وجـود عـدد كبيـر مـن الشـهداء مـن دون إيـذاء حقيقـي للاحتـلال ، فالعواطـف مؤقتـة عكـس الأفـكار التـي يمكـن أن يـؤدي إليهـا التثقيـف . وإذا وجـد التثقيـف علـى أسـاس حزبـي فقـط فلـن تسـتطيع الكتـل الطلابيـة مخاطبـة جميـع الطلبـة . شـاركت الكتـل الطلابيـة في الهبّـة مـن خـلال حضـور بيـوت عـزاء شـهداء الهبّـة ، وحاولـت القيـام بمعـارض في الجامعـة ، لكـن إدارة الجامعـة منعـت بعـض الأمـور في المعـارض كصـور الأسـلحة (بمـا فيهـا ملصـق يدعـو إلـى مقاطعـة البضائـع الإسـرائيلية يحتـوي علـى صـورة قنبلـة) ، وصـور شـهداء الهبّـة ، وعملـت الكتـل علـى تفعيـل قضيـة مقاطعـة البضائـع الإسـرائيلية ، داخـل الجامعـة وفي محيطهـا وفي مدينـة نابلـس . لـم تنفصـل مشـاركة طلبـة الجبهـة الديمقراطيـة عـن حزبهـا ميدانيـاً ودعمـاً بالقـرار . كان الوضـع أكبـر مـن قـدرة الكتـل الطلابيـة علـى مواجهتـه ، بـل وأكبـر مـن قـدرة الفصائـل علـى مواجهتـه ، كقمـع مسـيرات الجبهـة الديمقراطيـة قـرب حاجـز بيـت إيـل في رام الله في ذكـرى انطلاقتهـا ، وقطـع مخصصـات بعـض فصائـل المنظمـة ، فالأمـر كلـه بيـد رئيـس السـلطة . تغييـر الواقـع الفلسـطيني يجـب أن يسـبق المواجهـة مـع الاحتـلال ، مـن خـلال إعـادة بنـاء منظمـة التحريـر بضـم حمـاس والجهـاد الإسـلامي ، وإخراجهـا مـن سـيطرة تنظيـم واحـد بـل شـخص واحـد ، يتعامـل مع الفصائـل كمديـر مدرسـة أو ولـي أمـر يهـدد أبنـاءه «بقطـع المصـروف» . ويجـب أن يجـري أيضـاً إعطـاء الأولويـة للمصالـح الوطنيـة علـى الحزبيـة . أمـا داخـل التنظيـم نفسـه ، فيجـب تغييـر القيـادات التقليديـة المرتبطـة بسياسـة منظمـة التحرير باسـتثناء الأمين العـام الـذي تجمـع عليـه الجبهـة ، ثـم إنـه يجـب أن يـزداد إدمـاج الشـباب في الفصائـل ومواقعهـا المتقدمـة . يشـكل طلبـة القـدس والداخـل نحـو 10% مـن الطلبـة ، يخشـون المشـاركة في الفعاليـات الوطنيـة لتبعاتهـا التـي تختلـف عـن تبعـات مشـاركتهم في القـدس والداخـل ، هنـاك تأثيـر للثقافـة الإسـرائيلية عليهـم . الثقـة بالسـلطة معدومـة وبالمنظمـة ضعيفـة ، وبالجبهـة عاليـة ، لكـن بالنسـبة إلـى الشـارع فالأمـر مختلـف ، حـث الثقـة أقـل . التغييـر داخـل الجبهـة والمتمثـل في تمثيـل الشـباب موجـود ، لكنـه بطـيء ويعيقـه التكلـس في عمـل المنظمـة وعـدم عقـد المجلـس الوطنـي ، الأمـر الـذي يشـكل مصلحـة لبعـض كـوادر وقيـادات الفصائـل . العمـل السياسـي مـن جهـة وموضـوع المقاطعـة والنشـاطات الشـبابية الأخـرى ، تكمـل بعضهـا ولا يغنـي أحدهـا عـن الآخـر ، ثـم إنـه لا بـد مـن التـدرج في إصـلاح الأمـور مـن الأسـهل إلـى الأصعـب . كان التفـاوت الطبقـي والفسـاد ضـاراً بشـكل كبيـر في منحـى الهبّـة ، والانقسـام أكبـر قضيـة ملحّـة لحلهـا ، الـكادر الطلابـي لا بـد مـن اسـتمرار عملـه الحزبـي عندمـا يصبـح في سـوق العمـل ، مـن خـلال الأطـر المهنيـة الحزبيـة ، العمـل التطوعـي أسـلوب نضـال لا يقـل أهميـة عـن المقاومـة المسـلحة . تراجـع الهبّـة أمـر مؤقـت لأن الأوضـاع التـي أدت إليهـا مـا زالـت قائمـة مـن اعتـداءات علـى الشـعب الفلسـطيني والمقدسـات ، المسـتقبل يضمـر ثـورة شـعبية قادمـة ضـد الفصائـل والسـلطةمن دون عنـف ، وضـد الاحتـلال .

4. كتلـة شـباب الاسـتقلال (فـدا) : كان للإعـلام ووسـائل التواصـل الاجتماعـي دور في تحريـك الطلبـة وتشـجيعهم علـى المشـاركة الميدانيـة ، لكـن الطلبـة كانـوا ينتظـرون موقـف الكتـل الطلابيـة ومبادرتهـا علـى الأرض . وكان للأجهـزة الأمنيـة وإدارة الجامعـة وبعـض الكتـل للطلابيـة دور في تقليـص مشـاركة الطلبـة وتراجعهـا ، حيـث اسـتخدمت عبـارة «مقاومتـك في جامعتـك» ، في الحـد مـن المواجهـات علـى نقـاط التمـاس ، لكـن هنـاك عوامـل ميدانيـة تخـص تراجـع المواجهـات في منطقـة حاجـز حـوارة . حصـل تقـدم في جامعـة النجـاح تمثـل في زيـادة مشـاركة الطالبـات في المواجهـات والفعاليـات ، كان هنـاك قمـع مـن أمـن الجامعـة حيـث منـع بعـض الطلبـة مـن الكتـل اليسـارية مـن دخـول الجامعـة مرتديـن الكوفيـات الحمـراء . وسـاهم الموقـع الميدانـي لحاجـز حـوارة في تراجـع المواجهـات ، حيـث وقـع نحـو 40 إصابـة في اليـوم الأول منهـا .

في تلـك الفتـرة اسـتخدمت الكتـل الطلابيـة التواصـل المباشـر مـع الطلبـة والمنشـورات والبيانـات و»الـدي جـي» ومواقـع التواصـل الاجتماعـي . اسـتغلت الكتـل الطلابيـة مواجهـات حـوارة لاسـتقطاب عـدد جديـد مـن الكـوادر لهـا خـلال المواجهـات . كان لهـذه الكتـل دور في نشـاطات تطوعيـة خـلال الفتـرة نفسـها كقطـف الزيتـون . وكان هنـاك تشـجيع مـن فـدا خـلال الهبّـة للمشـاركة فيهـا وفي نشـاطات كالتبـرع بالـدم وزيـارة بيـوت عـزاء الشـهداء ومنـازل الجرحـى . في فـدا 50% مـن صنـع القـرار يسـتند إلـى قـرار الجسـم الشـبابي والطلابـي . صحيـح أن المقاومـة تمثـل الجميـع وعلـى رأسـها كتائـب القسـام ، لكـن الـرأي العـام الفلسـطيني يائـس مـن طريقـة الحكـم في الضفـة وغـزة وتوابعهـا .

ثانياً ، جامعة بيرزيت

1. الشـبيبة الطلابيـة (حركـة فتـح) : كان الإعـلام كان مؤثـراً في التحـرك الميدانـي للطلبـة ، أكثـر مـن تأثيـر الحركـة الطلابيـة علـى غـرار الأحـداث السـابقة التـي كان التأثيـر فيهـا مـن الحركـة الطلابيـة والتحـرك مـن داخـل الجامعـة أكبـر . (غـادر ممثـل الشـبيبة بعـد الإجابـة عـن السـؤال الأول فقـط) .

2. رئيـس مجلـس الطلبـة السـابق : الوقفـات داخـل الجامعـة والتوجـه نحـو حاجـز بيـت إيـل وإصابـة واعتقـال بعـض الطلبـة ، إضافـة إلـى نشـاطات سياسـية وإعلاميـة وتعبويـة أُخـرى ، لاسـيما عبـر وسـائل التواصـل الاجتماعـي كان لهـا دور كبيـر في تحـرك الطـلاب ميدانيـاً ومشـاركتهم في الهبّـة . حدثـت خـلال سـتة أشـهر 21 وقفـة في الجامعـة ، في 11 منهـا توجـه الطلبـة نحـو حاجـز بيـت إيـل . القواعـد الشـعبية لحركتـي «فتـح» و»حمـاس» أقـرب مـن القيـادات ومـا يجمعهـا أكثـر ممـا يفرقهـا ، وهـذا ينطبـق علـى الخلافـات الطلابيـة التـي تبقـى محصـورة في الخطـوات العمليـة والتفاصيـل البرامجيـة . المطلـوب إعـادة هيكلـة المنظمـة والجمـع بـين مختلـف البرامـج السياسـية وخلـق التعايـش بينهـا . أدى التفـاوت الطبقـي الكبيـر إلـى ربـط القضايـا العامـة والتفاعـل معهـا بالمسـتوى والمصالـح الماديـة ، وهـذا مـع الفسـاد والمحسـوبية يدفـع قطاعـاً كبيـراً مـن الشـباب إلـى السـعي للهجـرة . وصلـت هـذه الهبّـة إلـى مرحلـة لا يمكـن معهـا العـودة إلـى الـوراء ، سـواء مـن خـلال قمـع الاحتـلال أو الأجهـزة الأمنيـة الفلسـطينية ، وهـي في تصاعـد وتوجـه نحـو مزيـد مـن العمـل والفاعليـة . يمكـن النظـر إلـى العمـل التطوعـي الفلسـطيني بمفهـوم واسـع إذا مـا نظرنـا إلـى تجربـة فصائـل المقاومـة في قطـاع غـزة التـي تضـم الآلاف مـن المقاتليـن المتطوعـين ، ثـم إن هنـاك تجـارب تطوعيـة تعاونيـة ذات أبعـاد عمليـة في المجـالات الاجتماعيـة والاقتصاديـة والثقافيـة مثـل تجربـة سلسـلة القـراءة التـي أسسـها الشـهيد بهـاء عليـان وامتـدت عبـر فلسـطين وأكثـر مـن دولـة في العالـم .

3. القطب الطلابي الديمقراطي التقدمي (الجبهة الشعبية) : كان الحراك الطلابي من داخل جامعة بيرزيت مبادراً وسريعاً على غرار الأحداث السابقة ، عبر البيانات والوقفات والندوات ووسائل التواصل الاجتماعي . لم توجه الفصائل طلبتها عبر قرارات رسمية إلى المشاركة في الهبّة ، لكن حدث ذلك عبر الرؤية العامة للفصائل لدورها وواجب طلبتها . كان للحركة الطلابية دور تعبوي كبير في أوساط الجامعة ، لكن العامل الطبقي والوضع المادي هو الأكثر تأثيراً ، بالنسبة إلى المشاركة في الهبّة أو وجهة النظر حولها ، وروتين الهبّة ، والوضع الأمني ، وتدخل الأجهزة الأمنية ، والامتحانات ، كل هذا ساهم في تراجع مشاركة الطلبة . اتخذت السلطة قراراً بوقف الهبّة وضغطت على الفصائل ، وعلى الكتل الطلابية من خلال كتلة طلابية تستجيب لضغوط هذه الأجهزة . معظم الحملات الشعبية والتطوعية هي امتداد لفصائل أو مؤسسات مجتمع مدني ، لكن بتسميات مستقلة نتيجة الأوضاع السياسية والأمنية السائدة . قللت ثقافة الفردية (النزعة الفردية) والأنانية الإنجاز الوطني ، وساهمت مع سطوة رأس المال والسلطة السياسية في تردي الوضع السياسي . لا تشكل الحملات التطوعية والأطر الشبابية بديلاً ، ولا تلبي الحد الأدنى المطلوب فلسطينياً . منظمة التحرير مسيطر عليها فتحاوياً ، ولا بد من دخول «حماس» والجهاد الإسلامي إليها حتى تمثل جميع الفلسطينيين ، فالحل في إعادة هيكلة المنظمة وحل السلطة . من المهم وقف المفاوضات والسعي لتحقيق المصالحة رغم اختلاف المصالح والأفكار والبرامج والرؤى ، مع أهمية العمل على حل القضايا الجزئية والمرحلية وجعلها أولوية للفصائل . هناك تفاوت هائل بين الطبقة الفقيرة وبين الطبقة الرأسمالية ، وذلك جرى عبر سياسة «تجويع» نفذها الاحتلال والسلطة والمجتمع المدني وكان لحكومة الدكتور سلام فياض دور أساسي فيها . مع ذلك ، فهناك فئة لا يثنيها التجويع والإقصاء وغيرها من السياسات عن التضحية . الكفاح المسلح والتحرر من القيم الاجتماعية المرفوضة ، ورفض كل إفرازات عملية التسوية هي مقومات برنامج التحرير . تشكل مبادرة الشباب خلال الهبّة من دون إيعاز وتوجيه فصائليَين نقطة أمل نحو استمرار الهبّة وتجاوز الواقع السياسي القائم في الضفة الغربية تحديداً . معضلة المصالحة موجودة في الطرفين لكن في قيادة أبو مازن أكثر ، والبديل وجود طرف ثالث كتحالف بين الجبهة الشعبية والجهاد الإسلامي على برنامج موحد على سبيل المثال . ويشكل العمل التطوعي ركيزة أساسية للحركة الطلابية ، ومثال كبير عليه هو عمل كوادر الحركة الطلابية .

4. الرابطة الإسلامية (حركة الجهاد الإسلامي) : يجري تبني رؤية الفصيل من قبل طلبته وتطبيقها . كان حجم المشاركة الطلابية في الهبّة كبيراً لاسيما من قبل الطالبات ، وهذا استمرار لدور وتاريخ الجامعة وحركتها الطلابية . طالما لا يوجد قرار سياسي من قبل السلطة يدعم المشاركة في الهبّة فإنها تبقى ضعيفة ، على العكس من تجربة انتفاضة الأقصى . أضعف غياب العمل العسكري المنظم والرسمي الهبّة ، وساعد في ذلك غياب الوجود الرسمي للفصائل في الضفة الغربية . المطلوب طرح برنامج بديل لإيجاد أطر بديلة ، لأن إيجاد أطر ومؤسسات وأحزاب جديدة على سبيل المثال هو سبب لمزيد من الانقسام والتمزق . المطلوب إعادة ترميم الفصائل عبر إيجاد أطر شعبية جديدة لها في قطاعات وسياقات شعبية واجتماعية جديدة ، ترفد مشروع المقاومة والعمل العسكري والمشروع التحرري . والمطلوب من الأطر الطلابية والشعبية القيام بعملية نقد وتوجيه وإرشاد للفصيل الأساس من واقع تجربتها وعملها ، رغم أن هذا غير موجود حالياً فلدى معظم الفصائل الأطر الطلابية هي مجرد

أدوات تنفيذية . المطلوب من الفصائل حشد جماهيرها في سبيل الضغط باتجاه إعادة هيكلة المنظمة وإعادة بناء برنامجها . من غير المقبول حصر القضية الفلسطينية في المطالب المرحلية والجزئية ، ومن الممكن الجمع بين البرنامج المقاوم والبرنامج السياسي في برنامج واحد . كان منفذو العمليات في الهبّة من عائلات ميسورة نسبياً ، لكن الفجوة هي بين المواطن العادي والنخبة العليا من المجتمع التي تستفيد مادياً في كل المراحل ولا تقدم التضحيات ، ومع ذلك فهناك فئة من الشعب تستمر في تقديم التضحيات من دون الالتفات إلى تضحية أو إحجام غيرها . لا بد من الاستفادة من تجربة الحركة الصهيونية في التمهيد لقيام إسرائيل وبنائها . الوعي بالواقع والإيمان بالذات والعمل عبر خيارات تعبوية وعسكرية ثورية يرافقها ترميم البيت الفلسطيني هي الوسائل التي تؤدي إلى الهدف النهائي بالتحرير . الهبّة الحالية هي تتويج لأحداث تراكمت منذ عامين بما فيها خطف المستوطنين الثلاث سنة 2014 وحرب غزة الثالثة وحرق الطفل أبو خضير وآل دوابشة . الهبّة في تصاعد نحو عمل عسكري مستمر ومنظم ، والمصالحة صعبة في ظل تواصل وجود مسارَين سياسيين متناقضين . إذا استمرت الهبّة ستخلع جذور السلطة والانقسام وتضم حماس والجهاد إلى المنظمة ببرنامج جديد . يؤكد العمل التطوعي على الهوية والثقافة الفلسطينية ويشكل مساهمة في بث أفكار الفصائل والكتل الطلابية .

5. كتلة الوحدة الطلابية (الجبهة الديمقراطية) : قمعت الأجهزة الأمنية الطلبة ومنعت شركات الحافلات من نقل الطلبة إلى نقاط التماس في مرحلة معينة ، ثم إن فترة الامتحانات ، وظاهرة المستعربين منعت الطلبة من مواصلة المشاركة في الهبّة . وجود الأطر البديلة والجديدة يزيد من احتمال استيعاب طاقات جديدة تريد مقاومة الاحتلال من دون الانتماء إلى فصائل . إذا كان الفصيل لم يعد يمثلنا يمكننا التفكير في بديل للعمل الوطني من خلال إطار سياسي أو اجتماعي أو تطوعي آخر . منظمة التحرير بحاجة إلى ما هو أكبر من دخول حماس والجهاد ، جراء التفرد والديكتاتورية في إدارة المنظمة . هناك ضرورة شعبية ملحة لحل القضايا الجزئية قبل الانتقال إلى القضايا العالقة منذ فترة طويلة جداً . أدت النزعة الفردية ومقارنة أوضاع الشباب بالنخبة وأبناء المسئولين ، إلى تراجع الحالة النضالية والهبّة بصورة خاصة .

6. كتلة شباب الاستقلال (فدا) : قصرت الكتل الطلابية في توعية الطلبة ، وركزت على الهموم المادية والسطحية لهم ، ولم تركز على طرق أخرى للمقاومة الشعبية بعيداً عن المشاركة في المقاومة على نقاط التماس التي لا يستطيع الجميع القيام بها . فمثلاً الشهداء والأسرى خلال هذه الهبّة وغيرها لم يولدوا للشهادة والاعتقال فهم أشخاص لهم أحلام وطموحات لم يجرِ التركيز عليها . في كل مرة كان يجري فيها التوجه إلى حاجز بيت إيل كان يشارك فقط نحو مئتين من عشرة آلاف طالب في المواجهات ، معظم المشاركين كانوا من أعضاء وكوادر الكتل الطلابية ، وهذا انعكاس للعمل على المدى الطويل من قبل الاحتلال على تغيير قناعات ومعتقدات وركائز ثقافة المجتمع . تضخمت السلطة الفلسطينية على حساب منظمة التحرير وهمشت دورها . الكتل الطلابية لم تنجح في بث الوعي الوطني بين الطلبة ، ومحاربة السلبيات الثقافية والاقتصادية والاجتماعية ، من خلال تركيزها على نشاطات الدعم المادي لهم . عسكرة الانتفاضة السابقة ونخبوية الهبّة الحالية أدت إلى

تهميش الشعب بقطاعاته الواسعة عن المشاركة في الهبّة ، وهذا ما توصلت إليه الكتل الطلابية في أحد اجتماعاتها بأن العمليات الفردية خلال الهبّة جعلتها تبقى محصورة في شكلها الراهن . إصلاح منظمة التحرير يمر عبر تمثيل شبابي أكبر وإعادة بناء الأطر التمثيلية فيها ، لكن التفكير في أطر تمثيلية جديدة خارج المنظمة والسلطة يمكن أن يسبب نزاعات جديدة . الانتماء إلى الأفكار وليس إلى الأطر ، المشكلات في الأطر اليسارية أقل وجوداً وظهوراً ربما نتيجة حجمها المحدود . تمثيل الشباب في فدا 50% في قيادة الحزب وأطره ، وهذا يتطلب تثقيف الشباب ليكونوا على قدر المسؤولية . اليسار انشق أكثر من مرة جراء خلافات وتعصب لقرارات وعدم القدرة على تجاوز الخلافات والتعصب إلا بتشكيل أطر جديدة . تجري هيكلة جديدة للمنظمة وحل القضايا الجزئية العالقة عبر التخلي عن الخلاف واستثمار الاختلاف بطريقة إبداعية ، عبر العمل المشترك ، ما يؤدي إلى زيادة الثقة على غرار التحالفات الطلابية في الجامعات . تسييل المعتقدات والأفكار واستبدالها بالاهتمامات المادية أدى إلى الارتباط بالسلطة وقراراتها وفصيلها الرئيس ومزيد من النزاعات البينية . السعي إلى التحرر يقوم على الاستقلالية الاقتصادية والفكرية والثقافية ومحاربة الجهل الذي يغذي ويديم الفساد والديكتاتورية . الأولوية الوطنية السعي إلى التحرر الوطني عبر التغيير الثقافي والتحرر من التبعية الاقتصادية ، وصولاً إلى حالة كفاح مسلح تقود إلى تحرير فلسطين .

7. الكتلة الإسلامية (حماس) : في الضفة الغربية تغيب الفصائل بالصورة الرسمية والحقيقية لأسباب عديدة ، وهذه الهبّة أو الانتفاضة نخبوية وهذا ما يميزها عن الانتفاضتين الأولى والثانية ، من دون إنكار دور الفصائل . جرى نقل المواجهة مع الاحتلال من بيت إيل إلى عوفر وعطارة بقرار سياسي من خارج الجامعة . كان دور الكتل الطلابية في الجامعة في الهبّة كبيراً ، ما دفع الاحتلال إلى اعتقال 33 كادراً من الكتلة الإسلامية وحدها خلالها ، جرى تحويل معظمهم إلى الاعتقال الإداري . ودفع غياب الفصائل عن الحراك الحقيقي في الشارع الكتل الطلابية إلى سد هذا الفراغ رغم محاولة جهات عديدة منها الاحتلال والأجهزة الأمنية للسلطة الحد من هذه الهبّة ومشاركة الطلبة فيها . قامت الكتل الطلابية بالدور المطلوب منها في إسناد الهبّة ، لكن روتينية فعاليات الهبّة أدت إلى تراجع حدتها أو «قتلها» . لا يمكن للكتل الطلابية وحدها تحريك الشارع بمعزل عما هو خارج الجامعة . عندما اندلعت الهبّة أوقفت الكتلة الإسلامية كل برامجها ، وحولت جهدها إلى إسنادها حتى من خلال نشاطاتها الخدماتية . أصبح دور منظمة التحرير هامشياً ، لذا فالمطلوب إصلاح حقيقي يغني عن التفكير في إطار بديل يشكل سبباً لمزيد من الانقسامات . الأمر المحوري الآن هو البرنامج السياسي الجديد ، فالمطلوب أن تكون أهداف الناس والجماهير برنامجاً للفصائل والسلطة والمنظمة . المطلوب الآن تبني القضايا التي تشكل قواسم مشتركة ، فمن هم خارج الفصائل فقدوا الثقة بها وخلافات الفصائل والكتل الطلابية شكلت سبب نفور الجماهير ، وهذا ما أدى إلى نخبوية الهبّة الحالية . إن لم يكن هناك قدرة إلى وصول إلى برنامج موحد ، فعلى الأقل يمكن الوصول إلى تعايش البرامج ضمن هدف التصدي للاحتلال . من الطبيعي أن تختفي الفئات الفاسدة أو المنتفعة في فترات الهبّات والانتفاضات ، لأنها تعارض مصالحها . الحرية والتحرر قيمة عظيمة وشاملة ، ووسيلتها فلسطينياً الثقافة وفهم الهوية

وتحديد الأولويات والتركيز على الأمن اليومي ومقاومة الاحتلال سعياً نحو التحرير . الهبّة ستستمر وتنحو منحى منظماً في الفترة القادمة ، وإن كان دور السلطة الفلسطينية يحول دون هذا التحول بصورة سريعة . المصالحة بحاجة إلى إرادة من طرف حركة «فتح» وقيادتها نحو تغيير برنامجها السياسي . تعميق الوعي لدى الجماهير هو الذي يحد من اليأس والإحباط والهروب من الواقع والهجرة .

ثالثاً ، جامعة فلسطين التقنية- خضوري

1. تجمع المبادرة الطلابية (حركة المبادرة الطلابية) : مشاركة الطلبة في المواجهات على نقطة التماس المحاذية لحرم الجامعة كانت فاعلة لكنها عشوائية وغير منظمة ، أكثر تحفيز للطلاب كان اقتحامات قوات الاحتلال لحرم الجامعة . المقاومة الشعبية وحراكات المقاطعة هي الأقرب إلى روح الشباب ، حيث يغيب عن الأطر الرسمية والسياسية تمثيل الشباب . هناك حاجة إلى ترتيب الأولويات وليس تأجيل قضايا كبرى وتقديم قضايا مرحلية ، بحيث تتخصص جهات معينة في كل فئة رئيسية وفرعية من هذه الأمور ، الانقسام يؤثر في أجواء الجامعة وطلبتها ويكرس حساسيات وحزازات في النفوس . الفساد سببه الواسطة والمحسوبية ، وهو يؤدي أيضاً إلى التفرد السياسي ، وحرمان الشباب من التقدم داخل الأحزاب واستفادة أحزابهم من طاقاتهم . يجري التحرر الوطني عبر تحرير أرض فلسطين التاريخية من خلال توقف المفاوضات وقطع العلاقات الاقتصادية مع الاحتلال ، مروراً بالتعبئة الأخلاقية والدينية والفكرية ، وصولاً إلى الكفاح المسلح . السياسات الحالية ، واللامبالاة ، وغياب الوعي ، وعدم توفر مقومات الصمود الاقتصادي ، كل هذه عوامل تساعد في الهجرة ، يضاف إلى ذلك ضغط الاحتلال والأوضاع المادية من دون وجود حوافز تقنع الشباب بالبقاء في البلاد وتوفير أوضاع أفضل تثبت الناس في أرضهم . الهبّة قابلة للاستمرار والتحول إلى انتفاضة في حال وجود تنظيم وتأطير لها .

2. كتلة الوحدة الطلابية (الجبهة الديمقراطية) : كان سقوط شهداء يحفز مشاركة الطلبة في الفعاليات الميدانية ويزيدها ، وكانت فعاليات الحركة الطلابية داخل الجامعة ضعيفة خلال الهبّة . وكان كل من إدارة الجامعة وأمنها والأجهزة الأمنية يحاولون منع مشاركة الطلاب في المواجهات . علقت إدارة الجامعة الدوام فترة ، وبعد تدخل الفصائل جرى الاتفاق على حماية حرم الجامعة ونقل المواجهات إلى مناطق أُخرى . المستوى السياسي خاضع لحسابات السيطرة والتسلط كما حدث في قطع مخصصات الجبهتين الشعبية والديمقراطية ، لدى معارضتهما لقرارات الرئيس الفلسطيني . الحراكات البديلة ذات نفَس فصائلي بطريقة أو بأخرى . لا بد من العمل على التعامل مع القضايا السياسية الكبرى بصورة تدريجية ، وذلك يؤدي إلى إحراز نتائج فيها على المدى الطويل ، مع عدم إهمال القضايا القريبة الأمد والملحّة . ويمكن أن تكون الرقابة المالية داخل الأحزاب اليسارية أكثر فاعلية كون مواردها محدودة ومكشوفة المصادر . ويمكن أن يتخذ التفاوت الطبقي شكل تفاوت حزبي طبقي تمثل في الانتخابات الجامعية ، حيث ظهر تفاوت كبير في ميزانية الانتخابات للشبيبة الطلابية من جهة والتحالف اليساري من جهة أُخرى . مقاومة الاحتلال أمر واجب ضمن إمكانات الشعب الفلسطيني ، التي يجب عدم المبالغة فيها . لا بد من وجود بديل ثالث يجمع بين العمل السياسي والكفاح المسلح بصورة تدريجية . التحرر يشمل جوانب اقتصادية وثقافية .

حالة الجمود السياسي ستستمر فالسلطة لا تريد تصعيداً ضد الاحتلال ، والانتخابات ليست من مصلحة «فتح» و«حماس» ، أما الفصائل الأُخرى فلا يمكن لها تحقيق أي إنجاز إلا بتوحيد قوى اليسار في كتلة انتخابية واحدة ، كما حصل في جامعة خضوري .

3. جبهة العمل الطلابي التقدمية (الجبهة الشعبية) : دور الفصائل والحركة الطلابية كان ضعيفاً في الدعوة إلى المشاركة في الهبّة ، حتى المهرجانات الخطابية لم تحرض الطلاب على المواجهات ، بل إن بعضهم زاود على بعض الطلبة الذين شاركوا في المواجهات واتهمهم بالخروج عن الصف الوطني . قللت الامتحانات النهائية من المشاركة الطلابية في الهبّة ، والجامعة كانت ترفض أي مساس بالفصل الدراسي . يجب أن تجري المحافظة على ثوابت منظمة التحرير ومنطلقاتها ، بعيداً عن سياسات القمع والتنسيق الأمني الفلسطيني ، وهذا ينسحب بطريقة مشابهة على حكومة غزة وسياساتها . في الجبهة الشعبية هناك تثقيف وتوعية للطلبة المنضوين في إطارها الطلابي ، ما يعزز الثقة بين هذا الفصيل وقواعده الطلابية . يساهم العمل التطوعي الخاص بالفصائل في نشر الثقافة الحزبية والوطنية بوجه عام . لا بد من الجمع بين القضايا السياسية الكبرى والمرحلية ومحاولة إنجاز تقدم فيهما بخطين متوازيين . التفرد السياسي والفساد محبط للشباب ، لكن في الجبهة الشعبية هناك محاولة لإدماج قيادات شابة يمكن أن تؤثر على القيادات العليا وقراراتها .

4. كتلة اتحاد الطلبة (حزب الشعب) : كان كل من أمن الجامعة والسلطة يحاولان منع الطلبة من المشاركة في المواجهات ، الجامعة والحركة الطلابية لم تشجع على وجود بديل ، لاسيما أن الحركة الطلابية كانت نشاطاتها متوقفة . يفترض في الفصائل القيام بدور كبير في التعبئة والتثقيف ، لكن هذا يحصل بطريقة غير كافية . العمل التطوعي يشكل نقطة جذب للشباب ، لكنه يبقى محصوراً بالفصائل وميزانياتها والتبرعات التي توفرها . مسألة الانقسام مسألة ملحّة وضرورية ، ولكن القضايا المرحلية كقضية الأسرى لها أولوية أيضاً . التفاوت الطبقي والفساد يؤثر على توجهات الناس ويؤدي إلى إحباطهم ، وتعطيل العمل التنموي . التفرد السياسي داخل الأحزاب يحبط الشباب ولكن هناك وسيلة للتغيير داخل الأحزاب عبر الانتخابات والمؤتمرات العامة . التحرر الوطني يعني تحرير كل فلسطين ، عبر المقاطعة الاقتصادية ورفض التعايش وصولاً إلى الكفاح المسلح . الأولوية الحالية للفلسطينيين ، هي المصالحة وإنهاء الانقسام . الواسطة والمحسوبية في العمل والتوظيف هي العوامل التي تؤدي إلى تعزيز هجرة الشباب إلى الخارج . الهبّة الحالية قابلة للاستمرار إذا ما بقيت الفصائل خارج التأثير عليها ، والمصالحة قابلة للتحقق إذا ما جرى تغيير القيادات الحالية ، «ياسر عرفات وأحمد ياسين كانا أكثر شخصين يحبان بعضهما» .

رابعاً ، الجامعة العربية الأمريكية- جنين

1. كتلة الوحدة الطلابية (الجبهة الديمقراطية) : مواقع التواصل الاجتماعي ووسائل الإعلام كان لها الدور الأكبر في إطلاق الهبّة ، في ظل غياب دور حقيقي للفصائل . الثقة بالمؤسسات الرسمية غير موجودة فهناك شرخ وانفصال بين الشعب من جهة والطبقة السياسية الفلسطينية بصورة عامة ، الحراكات الجديدة لا تشكل بديلاً للحالة السياسية بل ربما تكون رافداً وداعماً لها .

2. الكتلة الإسلامية (حماس) : الهبّة حدثت نتيجة تراكمات سياسية واقتصادية واجتماعية ، مضافاً إليها استفزازات الاحتلال ، ووصول عملية التسوية والعمل الفصائلي إلى طريق مسدود . أما انحسار الهبّة فنتيجة لغياب المقومات الأساسية لاستمرارها ، أو وجود قيادة وخطة لها ، ما يعني استمرار الأحداث بوتيرة متقطعة وبطيئة ، حتى يتبلور برنامج من قبل القوى السياسية أو رؤية من قبل قوى جديدة . هناك أمل في حدوث تغيير داخل الفصائل إذا ما أتيح المجال أمام وجوه جديدة وطاقات شبابية ، وتعزيز النقد والنقد الذاتي المنفتح . العمل التطوعي تحولت فعالياته ومراكزه إلى «دكاكين» تتاجر بطاقات وكفاءات الشباب ، تستهلك التمويل والموارد الخارجية من دون جدوى ، الأمر الذي أحبط الشباب ودمر مفهوم العمل التطوعي ، لاسيما أن بعض هذه المؤسسات تمارس التطبيع ، وليس من الواضح دائماً مدى استقلال الأعمال التطوعية أو ارتباطها بالقوى السياسية . يمكن أن يشكل كل من الحراكات الجديدة وتبني القضايا المرحلية رافعة لحل القضايا الكبرى ولكنها ليست بديلاً عنها . التفاوت الطبقي يؤثر على استعداد فئات مجتمعية للتضحية ، ولا يؤثر على أُخرى ، ومثال عليه فئة النواب الذين يتلقون رواتب باهظة من دون عمل .

3. كتلة شباب الاستقلال (فدا) : غياب نقاط الاحتكاك والمستعمرات في منطقة جنين ، وحذر الاحتلال من خوض مواجهة جديدة مع تجاربه السابقة في هذه المنطقة أدى إلى استمرار الأحداث بوتيرة منخفضة . إدارة الجامعة كانت ترفض تعطيل الدوام لتوفير وقت كاف للقيام بفعاليات الدعم والإسناد مما أسهم في الحد منها . الموقف الوحدوي للكتل الطلابية كان مؤثراً بصورة إيجابية كبيرة على طلبة الجامعة . الأوضاع في الوطن العربي وقضية الثورات العربية وارتباط معظم الفصائل بالتغيرات في عدد من الدول المحيطة وتلقي الدعم منها ، شكل حالة قلق وتخوف وترقب لدى الفصائل وحتى الجماهير ، يضاف إلى ذلك الإنهاك من حرب غزة الثالثة ونتائجها . الثقة بالسلطة غائبة لعدم جدوى المفاوضات وحتى التوجه إلى المحافل الدولية سياسياً وقانونياً لم يكن مجدياً ، يضاف إلى ذلك تحييد الشباب والمؤسسات المستقلة التي يمكن أن تحتوي طاقاتهم . أما داخل الفصيل نفسه فيمكن أن يكون التغيير عبر الانتخابات والحراك الديمقراطي الداخلي . وفي هذا السياق هناك دور كبير للجامعات بأطرها الطلابية وكوادرها وطلبتها في إحداث التغيير . الهبّة الحالية عمل غير منظم لذلك كانت جدواها قليلة ، ولم توصل صوت الفلسطينيين إلى العالم ، وفقط أدت إلى خسارة شهداء ، لكن إذا كان هذا العمل منظماً في إطار كفاح مسلح فهو أكثر جدوى .

4. جبهة العمل الطلابي التقدمي (الجبهة الشعبية) : هناك جهات معينة في الجامعة وخارجها عملت على توليد قناعة لدى الطلبة بعدم جدوى التوجه إلى نقاط التماس ، التي كان المفروض في الكتل الطلابية التوجه إليها كحاجزي الجلمة ودوتان . الأجهزة الأمنية لم تتدخل في مجريات الأمور في منطقة جنين . غياب الثقة بالسلطة وفصائل المنظمة ناتج بشكل أساسي عن الالتزام بالاتفاقيات مع الاحتلال من طرف واحد . في الهبّة ، ظهر ضعف دور الفصائل ، ومن جهة أخرى تراجع الأحداث لا يعني نهاية الهبّة . البديل عن الحالة السياسية الراهنة ، تحسين الوضع الاقتصادي ومقاومة الاستيطان لتعزيز صمود المواطنين ، والتقليل من قلقهم . الحراكات الجديدة لا تشكل بديلاً عن الحالة السياسية القائمة ، والفساد يعزز غياب الثقة بين الشعب والقيادة ، وطريق التحرر تكون عبر الكفاح المسلح والوحدة الوطنية ، والمصالحة بحاجة إلى ضغط على أطراف الانقسام لإنجازها بين مختلف الفصائل .

5. الشبيبة الطلابية (فتح) : مشاركة الطلبة في الهبّة استمرار لعملهم الوطني السابق ، وذلك ضمن وقفات الإسناد وتأبين الشهداء ومنهم طالب من الجامعة وأحد خريجيها ، لكن الوضع الميداني لأقرب نقطة تماس (معبر الجلمة شمال مدينة جنين) وانكشافها التام أمام الاحتلال أدى بالحركة الطلابية إلى اتخاذ قرار بالامتناع عن التوجه إلى هذه النقطة . كون نحو نصف طلبة الجامعة من الداخل الفلسطيني ويصعب عليهم المشاركة في الفعاليات داخل الجامعة وخارجها لأسباب أمنية ، وهناك عامل ثقافي وتعبوي يشكل فارقاً عن طبيعة الطلبة القادمين من مناطق الضفة الغربية ، لاسيما وهم (طلبة الداخل) يتعرضون لاحتلال ثقافي أدى إلى الشعور بلامبالاة وغياب انتماء وطني لدى قسم منهم ، وبشكل غير رسمي هناك لجنة خاصة بهم تمثلهم في الجامعة ونوع من»الكوتة» لهم داخل حركة الشبيبة والكتل الطلابية . في سياق آخر أدى اقتحام قوات الاحتلال حرم الجامعة ومكاتب الكتل الطلابية إلى مزيد من التكاتف والوحدة الطلابية . الانتماء الوطني غالب في هذه الهبّة على الفصائلي . هناك غياب ثقة وفجوة كبيرة بين الشعب والفصائل لاسيما فصائل المنظمة ، التي غيبت دور الشباب بصورة كبيرة ، لكن هذا ليس نهاية المطاف فما زال الباب مفتوحاً للشباب للعمل داخل الفصائل لإصلاحها أو خارجها كبديل . ممثلو الكتل الطلابية متحررون من القيود الحزبية وأصحاب نظرة نقدية تعود إلى بيئة ديمقراطية أتوا منها وهذا يعود إلى المناطق المتحدرين منها .

ج . أسرى سابقون :

1. أسير سابق من «فتح» من محافظة طولكرم ، اعتقل تسعة أعوام خلال انتفاضة الأقصى ، يبلغ من العمر 32 عاماً ، وهو طالب جامعي ، يقول :

هناك فرق بين هذه الهبّة والانتفاضة السابقة التي اتخذت طابعاً عسكرياً فصائلياً عكس الهبّة الحالية ، التي اتخذت طابعاً فردياً غير منظم ، الأمر الذي صعّب اختراقها . وهناك فرق آخر هو تصاعد الأحداث في انتفاضة الأقصى تدريجياً ، وتراجع الهبّة الحالية تدريجياً . الهبّة الحالية حدثت جراء الاعتداء على «المرابطات» في القدس ، ونقل صورة الاعتداءات عبر الإعلام والإعلام الاجتماعي ، في غياب دور تعبوي حقيقي للفصائل . المجتمع الفلسطيني لم يحتضن هذه الهبّة ، لاسيما مع الخوف من تدهور الوضع الاقتصادي من حيث الحركة التجارية وعمل المعابر (الحواجز) والحصول على تصاريح للعمل في الداخل . وهذا يعود إلى خلل في ثقافة المجتمع وتراجعها أدت إليه عدة عوامل ، منها النتائج السلبية للانتفاضات السابقة ، فالفصائل ليست أهم من المجتمع في هذا السياق لاسيما وأن دورها ليس محورياً في الهبّة . وفي هذا الإطار يأتي تأثير التفاوت الطبقي والفساد على قطاعات من المجتمع تحجم عن التضحية نتيجة هذه العوامل . الفصائل تتعارض مصالحها مع الهبّة ، لذلك شارك البعض مشاركة خجولة أو لم يشاركوا تماماً ، أو شاركوا ثم انسحبوا ، ومشاركة أبناء الفصائل جاءت بصورة فردية فلا تستطيع الفصائل التحكم بمجراها . القضايا المرحلية إذا جرى التعامل معها شبابياً بطريقة وطنية يمكن أن تؤدي إلى نتيجة أما إذا ما استمر التعامل معها بطريقة حزبية فستبقى في الإطار نفسه . الهجرة ليست خياراً مطروحاً ، لكن طريقة العمل الوطني والعطاء تتغير من شكل إلى آخر بحسب الأوضاع والمراحل ، فليس من الضروري حمل السلاح في هذه المرحلة ، بل يمكن أن يجري التعامل مع القضية الوطنية

والنضال الوطني بطرق أُخرى وجديدة . المصالحة تحولت إلى أمر ممجوج لدى الناس وحتى متابعة أخبارها لم تعد مجدية . الهبّة تمر بفترة ركود نتيجة طريقة تعاطي المجتمع معها وتراجع صبره وتحمله ، ثم إنها احتوت على أخطاء تمثلت في القيام بأعمال فدائية لا تؤذي الاحتلال ، فلم يكن لها نتيجة بالنسبة إليه .

2. محمد طاهر الزغيبي ، 40 عاماً ، متزوج ولديه طفلتان ، أسير سابق من الجبهة الشعبية من جنين مدة سبعة أعوام ونصف منذ العام 2002 بصورة متقطعة ، المستوى العلمي : ثانوية عامة ، يعمل في سوق الخضار في جنين . يقول :

وجه التشابه بين انتفاضة الأقصى والهبّة الحالية وحتى انتفاضة العام 1987 ، البداية العفوية لكن لاحقاً جرى تسييس انتفاضة الأقصى . استمرار الحالة العفوية للهبّة الحالية ضمان لنجاحها واستمرارها . الخطاب السياسي للقيادة الفلسطينية وتطبيق هذا الخطاب على أرض الواقع أدى إلى حالة إحباط ، يضاف إليها الممارسات الاستفزازية من قبل الاحتلال لاسيما على الحواجز . هذا الإحباط قاد إلى تفجر الوضع الفلسطيني ميدانياً بصورة عفوية لا بد من استثماره سياسياً . تجربة القيادة الوطنية الموحدة والبرنامج الوطني الموحد هي أكثر ما يفتقد حالياً لاسيما مع تسييس النضال وإغراقه في المنحى الفصائلي . أكثر ما يمنع الأسرى المحررين من الانخراط في النضال هو الإحباط لا الخوف ، والإحباط سببه ترهل الحالة السياسية الحالية . فصائل المنظمة ضعيفة سياسياً وضعيفة في الشارع ، والمصالحة الممكن إنجازها هي تقاسم وظيفي بين «فتح» و»حماس» ، لاسيما فيما يتعلق بالمعابر والحدود . العملية السياسية والوضع السياسي الداخلي لن يتغير نتيجة الضعف الذي يعتري فصائل منظمة التحرير وعدم قدرتها على التغيير حتى في أبسط الأمور المعيشية والحياتية . شكل إنهاك المواطنين بالضرائب والرسوم والوضع المادي سبباً من أسباب الاحتقان الذي قاد إلى الهبّة . . . لو وجدت قيادة حكيمة لأمكن للسلطة تحقيق بعض المطالب على الأقل فيما يتعلق بالحدود والمستعمرات ، ولاستثمرت نضال الجماهير خلال الهبّة في تحقيق نتائج لها ، لكن القيادة الحالية تقدم تنازلات كبيرة وتستهتر بتضحيات شعبها في الوقت ذاته . يمكن أن تشكل الحراكات الجديدة بديلاً عن الحالة السياسية الراهنة ، ففصائل منظمة التحرير «توفيت» ، وإن كان هناك طريقة لإحيائها والحفاظ على كرامتها فهي الانسحاب من المنظمة . الحراك الجماهيري لا يقوم إلا عبر حراكات شبابية وجماهيرية وطنية محلية ، في الفترة السابقة حلت مؤسسات المجتمع المدني الممولة خارجياً محل التيار الوطني ومؤسساته . الحراكات الجديدة ميزتها الحماسة والوعي ، وتوفير الحاضنة الوطنية لها سيخرجها من الإطار التقليدي إلى إطار جديد مؤثر . العمل التطوعي يمكنه أن يساند تحقيق إنجازات في بعض القضايا الوطنية ، وهذه الحراكات يمكنها أن تتحول إلى حزب سياسي أو فصيل إذا ما جرى تطوير عملها . بعض الحراكات تأخذ بعداً سياسياً ، لكن لا يمكن للفصائل دعمها ورفدها كونها ضعيفة أصلاً ولا يمكنها دعم هذه الحراكات . الفساد والواسطة والتفاوت الطبقي وانعدام الرقابة والمحاسبة أسباب أُخرى للإحباط وانعدام الثقة لاسيما لدى فئة الشباب . شعار العدالة الاجتماعية يرفعه من يمتلكون الوعي ، ويعبر عنه من لا يمتلكون الوعي بطريقة عفوية بسيطة وغير مباشرة . مفهوم التحرر غير مقتصر على الجانب الوطني ، فهو تحرير أرض وإنسان وفكر وتجسيد نضال ديمقراطي غائب عن السلطة الحاكمة وضعيف داخل الفصائل .

آليات التحرير غير مجمع عليها جراء تشتت الأحزاب ووصول خياراتها إلى طريق مسدود ، لكن خيار التحرر يجب أن يظل مفتوحاً على كل الاحتمالات ، الأولوية الآن تشكيل قيادة وطنية موحدة تسبق تحقيق مصالحة بين «فتح» و«حماس» ، اليسار عندما يدعو إلى تحقيق المصالحة لا يستجاب له لأنه ضعيف ذاتياً ومنقسم مصلحياً ولا يمتلك أوراق ضغط ، بعض فصائل اليسار يقودها برجوازيون ديكتاتوريون مرتبطون بنظام الحكم ، ما أفقد هؤلاء الصفة اليسارية والديمقراطية ، ومنع توحيد اليسار نتيجة التنازع على المناصب والألقاب والمصالح . البديل تشكيل حاضنة جديدة تحتضن طاقات الشباب وتعبر عن مصالح وهموم الجماهير وتلبي الحد الأدنى من تضحيات الشعب الفلسطيني ، ولا يهم أيديولوجية هذه الحاضنة ، المهم أن تكون معتدلة . الهجرة ليست خياراً إلا إذا كانت لفترة مؤقتة ، فالفلسطينيون مروا بأوضاع أصعب وصمدوا في أرضهم من دون تحقيق المطلب الصهيوني بالهجرة . «حماس» تحقق إنجازات جزئية في انتخابات الجامعات مثلاً ، لكنها غائبة عن الشارع وعن الحوار مع الفصائل الأخرى عدا فتح وكذلك لا تعمل على تلبية حاجات المواطنين .

3. أسيران سابقان من الجهاد الإسلامي في منطقة جنين :

الأول (عمره 35 عاماً ، مدة الاعتقال 7 أعوام ، بكالوريس ، عمل حر) يقول : التشابه بين انتفاضة الأقصى والهبّة هو في نسبة الاستعداد العالية من الشباب للتضحية رغم كل التغيرات التي حدثت ومحاولة برمجة الشباب نحو الانغماس في هموم الحياة اليومية . بدايات الهبّة كانت بعد خطاب أبو مازن (في الجمعية العامة للأمم المتحدة) حيث تم تنفيس احتقان الناس والسماح لهم بالوصول إلى الحواجز ، أما الاختلاف فهو غياب مبادرة الفصائل وغياب الوجود الفعلي للفصائل في هذه الهبّة . في انتفاضة الأقصى وبالتحديد بالنسبة إلى حركة الجهاد الإسلامي كان هناك ثقة والتقاط إشارات بصورة حثيثة من قبل قاعدة الحركة ومبادرة للعمل المقاوم ، أما الآن فالقيادة فصلت نفسها عن القاعدة ، وخلقت لنفسها نمط معيشة فارهة ، أما نمط التعامل من قبل القيادة مع اعتقال بعض كوادر الانتفاضة ، فقد جرى إهمالهم وإهمال أهالي الشهداء والتعامل معهم كعائلات فقط بحاجة إلى العون المادي ، والمزاودة على من ضحى أو على عوائلهم واتهامهم بالمادية ، ما حول بعض عوائل هؤلاء الشهداء إلى أشبه بمتسولين . في الضفة ، القيادات التاريخية للحركة ذات موقف سلبي من قيادة الحركة في الخارج وهم جزء من القاعدة ، بعضهم صمت أو استرضي براتب أو مخصص مالي . جزء من حالة غياب الثقة أن قيادة الحركة وأمينها العام لا يقبل الانتقاد بل قد يتهم موجهيه بالخروج على الصف ، وأي انتقاد للقيادة من قبل كوادر الضفة يجري التعامل معه بطريقة سيئة . من جهة أخرى قبل الهبّة كانت الحركة تدعي وجود أزمة مالية ، وبعدها اختلف التعامل وجرى إغداق أموال على أهالي الشهداء وبعض من تتعامل معهم قيادة الحركة ، وهذا الشعار رفعه أحد أعضاء المكتب السياسي «بدك أخضر خذ أحمر» أي إذا كنت بحاجة إلى المال فعليك إغداق الدم : شهداء أو قتلى من الصهاينة ، منذ 2004 جرى طرح فكرة وجود أجسام منتخبة في الضفة «مجالس شورى» ولم يجر تفعيلها . بعض الأشخاص السيئين جرى التعامل معهم واعتمادهم مع أنهم لا ينالون رضا القواعد فقط لأنهم أشخاص أقوياء ومطيعون وذوو عصبة . يغيب الترابط الفكري والأخلاقي بين الداخل والخارج ويتحول إلى مصلحي ، وهذا أدى إلى تشتت قواعد الحركة فكرياً في

قضايا ملحة ، وهذا يعزز غياب التواصل بين القيادة والقاعدة فكرياً وتوجيهياً ، وما يجري توجيهه من خطاب إلى قواعد الحركة موسمي يغيب عنه البعد الفكري والتعبوي ويقتصر على التوصيف والتحليل ، ويعتريه خطأ التحليل وتناقض الرؤية . القيادة سعت لاكتساب تأييد عامة الشعب والفصائل الأخرى ، من دون الالتفات إلى القواعد : رضاها أو غضبها . هناك أزمة أخرى مشابهة لدى «حماس» وانقسام طبقي بين طبقة مضحية وطبقة منتفعة بالانتخابات والمقاعد البرلمانية ، وهذا الانقسام حدث أيضاً بين الضفة وغزة بعد الانقسام لدى حماس . وموضوع غياب الثقة وصل إلى حد الاستهتار بأمن الكوادر في الضفة من خلال وسائل التواصل البدائية ، ووجود اختراق أمني مرجح في صفوف قيادة الفصائل في الخارج ، وهذه القيادة لا تراجع نفسها وأداءها العملياتي والأمني حتى مع استشهاد عشرات الكوادر ، وتحرص على استثمار ذلك إعلامياً .

تجربة الكوادر حدّت من مشاركتهم في الهبّة ، بسبب غياب الثقة وعدم وضوح الأهداف والتراجع عن الشعارات الكبرى ، وركود الآليات النضالية . الانتفاضة الثانية لم تؤد إلى نتيجة إيجابية رغم ضخ طاقات بشرية ومالية كبرى تسهم في العمل النضالي وتساهم في إغاثة عائلات الأسرى والشهداء والمجتمع المتضرر ، فكيف بالوضع الحالي الذي يتضمن غياب وحدة الحركة والفكرة ، وغياب الضمان بتعامل كريم مع المناضل وأسرته . كان هناك إمكان لطرد الاحتلال من الضفة أو خنقه فيها والتضييق عليه في انتفاضة الأقصى ، في حال استمرت وكان لها رؤية واضحة ، يضاف إلى ذلك سوء نموذج غزة بعد تحريرها ، الذي خلق في اللاوعي الفلسطيني خوفاً من التحرر .

الاحتلال طرف عدواني لا يمكن أن يكف عن الاعتداء ، فالمواجهة معه قدر ، وطبيعي أن يصطدم كل فترة مع الأجيال الشابة ، مع غياب الرؤية أو الإنجاز وضعف خطاب فصائل المقاومة وتدجينه وتحوله إلى النمط العربي الرسمي . ثم إن تذرع المقاومة الفلسطينية بالتنسيق الأمني والاعتقالات غير منطقي ، فالأمران لم يتوقفا خلال انتفاضة الأقصى . مقاومة غزة وحجة الإعداد لم تعد مقنعة ، وتعطيل كل آليات العمل المقاوم وحصرها في الردود على اغتيال القادة وخوض الحروب ، هو عبارة عن تحويل المقاومة إلى حاجة سياسية للفصائل فقط . خطاب التحرير غائب حتى بالشعارات ما أدى إلى تراجع خطاب السلطة والفصائل المتعددة والتركيز على إدارة الوضع وخيار الدولة لا التحرير . مستوى المواجهة الحالية كان يمكن أن يكون أكبر لو استمر عمل خلية عملية ايتمار ، وانكشاف الخلية التي نفذت عملية الحافلة في القدس التي نفذها الشهيد أبو سرور من بيت لحم ، مصدر إحباط جديد ينم عن غياب حاضنة ونقص الخبرة والوعي . وغياب الحاضنة يعود إلى نهاية انتفاضة الأقصى عبر «تصنيع مطاردين» سيئي السمعة والسلوك أساءوا لمن ساعدهم وآواهم وللناس بوجه عام في سبيل تخويف الناس من عودة الانتفاضة وترغيبهم في عودة حكم السلطة واستقراره . ومن مخلفات الانتفاضة الماضية مطلوب أن تبدأ انتفاضة جديدة بعناصر غير سوية ، ما يسهل حرفها إلى مواجهة داخلية على طريقة الربيع العربي ومآلاته . أدى غياب المفكر في صفوف الفصائل إلى اجترار المواقف والأفكار القديمة من دون إدراك للواقع والقدرة على تجاوزه وصناعة واقع جديد . لا يمكن التنبؤ الآن بمستقبل الهبّة ، الفصائل تغيب عنها الآن الرؤية السياسية ومن الصعب تحقيق نتائج إيجابية لذلك ، بسبب غياب الإستراتيجية والتكتيك ،

وحتى من يريد قطف الثمار ما زال ينتظر مآل الأمور . الواقع السياسي الفلسطيني يتجه نحو مزيد من التأزم والمراوحة في ملفات المفاوضات والاستيطان والأسرى وغيره ، وهو خاضع لشد وجذب بين الرئاسة والاحتلال ، وهذا يشمل كل مكونات الطبقة السياسية ، المصالحة مستحيلة نتيجة استمرار واستقرار مصالح طرفي الحكم في الضفة وغزة ، وإن حدثت مصالحة فهي تقاسم وظيفي لا أكثر . في سنة 2007 حدث اقتسام سلطات وتتويج للانقسامات السابقة جغرافياً وفكرياً ونفسياً وسياسياً . يمكن أن تكون الحراكات الشبابية والجديدة مجدية إن كان لها برنامج شامل ، وهي بحالتها الراهنة تشكل أمراً رمزياً وهروباً من الواجبات والاستحقاقات الحالية ، وتنفيس الطاقات . التأثير على المجتمع الدولي وهم لا ينساق وراءه إلا المتخاذلون . أما الحراك الخاص بالقضايا المرحلية ففائدته الوحيدة فقط أن يعلم الجيل الجديد بوجود احتلال . الفساد موجود لدى الشعب وما قامت به السلطة هو تنظيم وتقنين لهذه السياسة ، وهذا موجود داخل الفصائل أيضاً حيث يسود نمط المحاسبة السلطوي الانتقائي . مقدمة للتحرر ، التحرر من عقدة الفصائل ، والتحرر من عقدة التمويل الخارجي والاستهلاك الباذخ . الأولوية الوطنية إعادة التعريف بالقضية الفلسطينية والتأكيد على الجانب الوحدوي والإنساني معززاً بفهم العدو ومعرفته ، وكل هذا يجب أن يؤسس ليوم لا نخشى فيه من التحرر وأن يحصل لدينا ما حصل في الربيع العربي . النمط الاستهلاكي والمرهق ، قلل من حدة تأثير الكوادر الوطنية على واقع ذاتها ومحيطها ، الرواتب التي تصرفها السلطة للأسرى المحررين تخلق نوعاً من الاستقرار يقلل من فرص العودة إلى العمل النضالي ، والأصعب من هذا النمط موضوع القروض والغرق فيها . وهذا ينطبق على من يتلقون رواتب أو مخصصات مالية من التنظيمات . قضية الرواتب لم تكن مؤثرة على توجه كوادر الانتفاضة الأولى تجاه الانتفاضة الثانية ، رغم تعرضهم للأذى لدى السلطة أيضاً ، وهذا يشير إلى قوة التعبئة الفكرية وقتئذٍ ، وهذا لا ينطبق على كوادر انتفاضة الأقصى بالنسبة إلى الهبّة الحالية .

الثاني (عمره 32 عاماً ، مدة الاعتقال 6 أعوام ، بكالوريس ، عاطل عن العمل) ، يقول : في انتفاضة الأقصى كان الهدف تحريكي من قبل السلطة لتحريك ملف المفاوضات ، الهبّة هدفها تغيير خريطة القدس وبعض ملامح الضفة الغربية ، في انتفاضة الأقصى كان هناك لدى بعض المشاركين رؤية تحريرية على غرار تجربة جنوب لبنان . أما الاختلاف فهو التوجه العاطفي الشديد في الهبّة . تعامل قيادة الجهاد مع الضفة «كخزان وقود يعبئ فقط بحسب الحاجة بالتجييش العاطفي والمال» . بعد سنة 2005 حصلت أزمة فكرية لدى كوادر الحركة في السجون بشأن موضوع القاعدة والشيعة ، من دون أن يكون هناك موقف حتى الآن من هذا الموضوع . جاءت الحركة كحل للتناقض بين الإسلاميين والوطنيين ، وكإضافة إسلامية وطنية ، وتحولها إلى حزب عادي هو نهاية لمشروعها ، وهذا يؤشر إلى أزمات أكبر لدى القوى الأخرى . صاحب التجربة لا يمكن أن يشارك في هذه الهبّة أو غيرها في ظل الوضع الحالي ، لاسيما أن المفروض أن يكون النضال لهدف وليس هدفاً بحد ذاته ، المجتمع الفلسطيني الآن أولويته العيش ، وهي أولوية أفرزها المجتمع عبر أعوام . غياب مشروع وطني حقيقي ومستقل والاستمرار في البحث عن حاضنة عربية أو غيرها مؤشر خطير على تدهور القضية الفلسطينية .

حتى الآن لم يفرز الفلسطينيون فكرة أو تجمعاً شعبياً يتبنى فكرة التحرير بصورة حقيقية .

الهبّة موجهة إلى الداخل الفلسطيني ، نحو مزيد من الانقسام مناطقياً وعشائرياً ، لاسيما في ظل غياب حقيقي لقيادات وهياكل تنظيمية ، ما قد يقود الأمور إلى فوضى أكبر . غياب الثقة وغياب حرية الاجتهاد العملي لكوادر الفصائل أدى إلى التعامل مع كوادر القاعدة الحزبية بطريقة مؤسساتية وبنية هزيلة مكشوفة أمام الاحتلال لا تراعي ضرورات الواقع وأمن الكوادر . إذا كان هناك قرار سياسي من السلطة والاحتلال ستستمر الهبّة ، والهدف هو تغيير الواقع الجغرافي والديموغرافي (السكاني) للقدس ، من الصعب تحقيق نتائج إيجابية للهبّة . المصالحة ملف إعلامي مستهلك يفتقر لإرادة حله ، وهو شماعة وقضية تستخدم لمواصلة إثارة قلق الفلسطيني وإظهاره أنه قضية فلسطين الأولى . الحراكات الجديدة لا تشكل بديلاً لأن المجتمع بحاجة إلى فكرة جديدة ومنظومة قادرة على النهوض بالمجتمع ، أما العمل والمقاومة المقسّمان فلن تجديا ، بغض النظر عن المحتوى الأيديولوجي للمنظومة . الفساد أمر مقصود ومبرمج لتحقيق أهداف الاحتلال ، وحتى التعليم يجري إفساده عبر برمجة تخصصات بعض الجامعات بهدف تصدير الخريجين إلى الخارج وعدم الاستفادة من طاقاتهم في داخل الوطن . ومع كل ما سبق فالهجرة مرفوضة .

د . نشطاء مركز يافا الثقافي- مخيم بلاطة :

1. أحد كوادر الانتفاضة الأولى ، 43 عاماً : ردة فعل الشباب على الواقع الفردي والجماعي ، جاءت رغم أنهم ولدوا وعاشوا في فترة الاتفاقيات السلمية . هذه الهبّة تفتقر إلى العمل التنظيمي ، لذلك تبقى تراوح مكانها مهما كان المحفز للمشاركة فيها والعمل ضمنها . اقتصر دور التنظيمات على العمل الإعلامي والمشاركة الرمزية في الفعاليات ضمن التغطية الإعلامية . قمع الأجهزة الأمنية كان له دور كبير في انحسار الهبّة . الجيل الحالي ليس بحاجة إلى تعبئة حزبية أو فصائلية ، عكس المراحل الماضية ، من جهة فقد الجيل الثقة بالفصائل وقياداتها المزمنة والمتفردة ، ومن جهة أخرى هناك وسائل أخرى للتعبئة . هناك تفاوت في درجة الديمقراطية الداخلية بين تنظيم وآخر ، فليس كل التنظيمات على المستوى نفسه في هذا الأمر . الشباب الآن لا يملك المبادرة في التغيير الحقيقي ، عكس فترات سابقة كان فيها الشباب والطلبة هم من يؤسسون الفصائل والتنظيمات .

2. خريج جامعة ، 22 عاماً : الهبّة سياسية مخترعة ، من قبل الحكومة الإسرائيلية والسلطة لقياس ردة فعل التنظيمات ، وهذا ما لم يكن ، واقتصرت المشاركات على الشباب بصورة أساسية . عدم تنظيم الهبّة وعدم وجود جهة تقود وترعى تطورها ، وقمع الاحتلال والأمن الفلسطيني له دور كبير في تراجعها . يجب منع التوجه إلى الحواجز ، لكن ليس بهذه الطريقة القمعية ، وليس من خلال منع الشباب من القيام بالأعمال الفدائية . معظم السلاح الذي يحمله المسلحون ويطلقون النار في المناسبات لا يشكل خطراً على الاحتلال ، ويجري تمويله من دحلان . التحرر المطلوب هو حياة كريمة ، لكن هذا من الصعب في وجود الاحتلال ، لكن الأمر الواقع يدفع الشباب والناس إلى البحث عن الحياة الكريمة ولو في ظل الاحتلال .

3. فتاة أولى : هذه الهبّة غير منظمة ، وهي نتيجة مبادرات شبابية وعدم وجود جهة منظمة وراعية لها ، ليس هناك دور كبير للشباب في المستقبل داخل إطار الفصائل لاسيما مع حالة الفساد والتفاوت والتفرقة والحالة الحزبية . الشباب ينقصهم الوعي وهناك حالة إلهاء لفئة الشباب تحول دون بناء الوعي .

4. فتاة ثانية : الهبّة الشبابية نتيجة الأوضاع الضاغطة من قبل الاحتلال ، والأوضاع الصعبة للشباب مادياً ومعيشياً وغير ذلك ، وقمع السلطة له دور كبير في انحسار الهبّة . كان دور السلطة والفصائل سلبياً حتى في التعامل مع الهبّة ، واقتصر على تبني الشهداء أو مجرد خطابات الاستنكار . ثقة الناس بالسلطة غائبة ، والشباب يعانون البطالة التي تؤدي إلى الهجرة . العمل التطوعي والشبابي يعاني رقابة السلطة ، ما يقلل من فاعليته . نتائج الانتفاضتين السابقتين هي أكبر مصدر إحباط للشباب وما يمنعهم من المبادرة للتغيير .

5. سيدة من المتطوعات في المخيم في نهاية عقدها الرابع ، عايشت الانتفاضة الأولى وانتفاضة الأقصى : العمليات فردية ، مربكة للاحتلال لعدم وجود قيادة ورأس وتنظيم لها ، ومربكة للمجتمع لتراجع القدرة على العطاء والتضحية . أنا «لست مستعدة للتضحية بابني ولو كان المقابل تحرير فلسطين» ، السلطة لا تستطيع ضبط الأمن أو منع إطلاق النار في الهواء أو المفرقعات في المخيم ، أو حتى ظاهرة رمي الحجارة على كنيسة بئر يعقوب من قبل الأطفال القريب من المخيم منذ أشهر ، هذه أزمة مفتعلة لحرف الأنظار عن ظواهر الفساد ، إذ روى أطفال أن بعض الشبان قدموا إليهم مالاً للتوجه إلى الكنيسة وإفهامهم أن من فيها يهود ، مع أن الكنيسة حمت المطاردين في الانتفاضة السابقة . التوجه إلى الحواجز بهذه الطريقة غير مجدٍ ، والفصائل لا تراجع نفسها ولا تراجع طريقة عملها أو آلية نضالها ، المناصب والنضال لا يجتمعان . في انتفاضة الأقصى كان هناك قيادة تريد النضال ومواجهة الاحتلال ، عكس الهبّة الحالية . العمل التطوعي تحول إلى عمل استثماري لبعض المؤسسات ومديريها ، على حساب معاناة وجهد الشباب المتطوعين . الإحباط لدى فئة الشباب هائل ، وبحاجة إلى حلول عملية وليس فقط رسائل إيجابية ، المطلوب تحويل طاقات الشباب الكامنة إلى جهد حقيقي مفيد ، لاسيما مع غياب العدالة الاجتماعية والظلم المستشري . «إذا حدث تعبئة عامة للجميع مستعدة لذهاب أبنائي إلى المواجهة» ، أما في هذه الحالة التي يضحي فيها بعض ويحصد آخرون فليس مقبولاً . المجلس التشريعي المعطل الذي وصل أعضاؤه إلى مقاعدهم بأصوات الناس ، تحول إلى مصدر دخل لأعضائه فقط . هذه الحالة المستعصية تنطبق على مؤسسات المجتمع المدني مثلما تنطبق على السلطة والفصائل . وحتى داخل المؤسسات الأهلية والتطوعية هناك التفرقة والتفاوت الحاصل بين الشعب والسلطة . في الهبّة هناك عوامل فردية من حيث التأثر بأحداث مسّتهم أو مسّت عائلاتهم ، وربما تكون هناك عوامل وأزمات فردية أيضاً دفعت البعض إلى القيام بعمليات . انتشار المخدرات والحشيش في مخيم بلاطة ، وغيرها من الظواهر مثل اللواط وسفاح القربى وتجارة السلاح والمخدرات ، نتيجة أوضاع الحياة والاكتظاظ وعدم قدرة السلطة على التدخل في المخيم الذي يقال لأبنائه اصمدوا في المخيم في أوضاعه القاسية ليبقى شاهداً على النكبة . ليس من المعقول أن يوجه قادة الفصائل الشباب إلى الموت على الحواجز بينما يكتفون هم بالمراقبة ، وأبناؤهم لا يشاركون في هذه المواجهات .

6. شاب في مطلع العشرينيات : الهبّة أرجعتنا 20 عاماً إلى الخلف . وضع نابلس الاقتصادي تراجع بصورة كبيرة ، والحواجز أضرت بحركة الناس والتجارة بصورة كبيرة . الفصائل لا وجود فعلي لها ، ولا تلبي طموحات الشباب . العمل التطوعي تحول إلى حالة استنزاف لبعض الشباب الذين هم بحاجة إلى عمل ومصدر دخل حقيقي وثابت . حالة الفراغ والبطالة

والعوز التي يعيشها قطاع من الشباب ولدت مشاكل اجتماعية وصل بعضها إلى التوجه إلى إدمان المخدرات وما شابه . التنسيق الأمني من جانب واحد ، والميزانية العالية للأمن لا توفر الحد الأدنى من الأمن للفلسطينيين ، المطلوب تحويل هذه الميزانيات لتوفير فرص عمل للشباب . الفساد والبطالة يزيدان من إحباط الشباب . هناك ظواهر أخرى لا تستطيع السلطة ضبطها مثل ظاهرة إطلاق النار المزعجة بدون رادع في مخيم بلاطة . البديل بالنسبة إلى الشباب إما تسليح عام للشباب ومواجهة الاحتلال ، أو تعايش تام مع الاحتلال ، لكن حالة المراوحة هذه غير مجدية وقد تقود إلى انتفاضة على السلطة ، ربما يكون من مطالبها عودة الإدارة المدنية . الفصائل حالياً فقدت هيبتها وقدرتها على توجيه الجماهير . بعض الشباب نتيجة الإحباط وغياب الفرص استسهلوا الاعتقال للحصول على رواتب ، ورواتب دائمة وتأمين مستقبلهم ، وآخرون توجهوا إلى أمور أخرى كبيع المخدرات . الانتفاضة الثانية استخدمت فيها السلطة سياسة التجويع ما دفع بالشباب إلى الحرص على جني المال بأية وسيلة نتيجة غياب الخيارات . النزعة الفردية دفعت الناس حتى إلى عدم إيواء المطاردين ومساعدتهم في نهاية انتفاضة الأقصى ، وبعد 2004 تحولت الانتفاضة إلى ظاهرة استعراضية ضخت الأموال من أجل تضخيمها . الهبّة كسرت نمط الاستقرار النسبي منذ سنة 2008 ، وقادت إلى فقدان أشخاص أعزاء ، موقف الرئاسة الفلسطينية سلبي جداً ، وعلى سبيل المثال موقف الرئيس من خطف المستوطنين الثلاثة سنة 2014 ، مقارنة بموقفه من الأسرى المضربين والشهداء وعوائلهم . من جهة أخرى هناك تناقض بين من يدفع كل الثمن في النضال ولا يجني أية نتيجة ومن لا يضحي ويجني كل الثمرة . حاجز الخوف من الاحتلال انتهى ، وليس لدى الشعب ما يخسره ، لكن ليس هناك مبادرة لمقاومة الاحتلال سواء من قبل السلطة والفصائل في الضفة أو حماس والفصائل في قطاع غزة . خيار الهجرة أصبح خياراً أساسياً للشباب . استمرار الانقسام نتيجة لاستمرار تمويل طرفي الانقسام من قبل أطراف خارجية لإدامته ، وبهدف استمرار حصول الطرفين على التمويل من جهة أخرى . حتى لو كانت هناك رغبة في التعايش مع الاحتلال ، فالاحتلال لا يريد التعايش مع الفلسطينيين .

ثالثا ، استخلاصات الباحث

طبيعة اللقاءات الجماعية لمعظم المقابلات وتداخل الكلام وتداول أطراف الحديث بالعامية الدارجة ، هذا كله جعل من الصعب نقل الكلام كما قيل ، لكن الباحث كان حريصاً على نقل الأفكار التي طرحها المقابلون بالتدرج والترتيب نفسيهما وبالتقطع أحياناً ، حرصاً على نقل مستوى الخطاب المستخلص من اللقاءات ودرجته .

يلاحظ دافع ديني ثم وطني كبير لدى شهداء الهبّة (عينة البحث) ، وهناك تأثر بالخلفية الوطنية أو الأوضاع المحيطة بعائلاتهم ، ثم بالوضع الفلسطيني العام ، لاسيما الاعتداءات الإسرائيلية على المقدسات في القدس . وحاولت رواية أهالي الشهداء التركيز على قيامهم بأعمال فدائية ، يرافقها جرعة عالية من الافتخار والاعتزاز بهذه الأعمال .

مع تفاوت في مستوى خطاب طلبة الجامعات المقابَلين وتعبيرهم ، إلا إن إجاباتهم دبلوماسية إجمالاً . مع وجود طابع نقدي في الإجابات ، إلا إن النقد تكميلي وتجميلي وليس جذرياً ، وربما يشير بأصابع

النقـد إلـى الخـارج أكثـر مـن الداخـل الذاتـي . وأكبـر مسـتوى إحبـاط ظهـر في المقابـلات ، هـو مـن خـلال الجلسـة مـع متطوعـي مركـز يافـا في مخيـم بلاطـة .

بـرزت لـدى الأسـرى المحـررون الأربعـة نظـرة نقديـة جذريـة مـن الحالـة السياسـية والفصائـل ودورهـا ، تعكـس مسـتوى عاليـاً مـن الوعـي الـذي ربمـا خلقتـه التجربـة النضاليـة والاعتقاليـة ، وبالتحديـد الأسـيران المحـرران مـن حركـة الجهـاد الإسـلامي اللذيـن تجـاوزا شـعور النقـد والتسـاؤل إلـى الإحسـاس بالنقمـة والمـرارة الممـزوج بخيبـة الأمـل وألـم التجربـة .

معظـم الذيـن قابلتهـم جزمـوا بـأن الاحتمـال الأكبـر هـو اسـتمرار الهبّـة وهـو مـا لـم يحـدث ، وربمـا يعكـس هـذا غلبـة الرغبـات الذاتيـة والعاطفـة الوطنيـة علـى القـراءة الدقيقـة للواقـع والقـدرة علـى استشـراف المسـتقبل . ثـم إنهـم أكـدوا خمـود الهبّـة ، وإن حـدث فهـو مؤقـت ولـن يطـول نظـراً إلـى اسـتمرار الأوضـاع التـي قـادت إليهـا .

يتضـح وجـود يـأس مـن إمـكان وصـول المفاوضـات والعمليـة السياسـية إلـى أي حـل سياسـي مـع الاحتلال ، وهنـاك إحبـاط مـن نتائـج المقاومـة جـراء تحولهـا إلـى ردات أفعـال ومقاومـة موسـمية ، وهـذا ينطبـق علـى موضـوع المصالحـة أيضـاً .

كان واضحـاً مـن خـلال البحـث واللقـاءات وجـود فئـة اجتماعيـة مسـتعدة للتضحيـة مـن دون مقابـل ومـن دون التفـات إلـى أي وضـع سياسـي أو اقتصـادي أو حزبـي أو شـخصي أو عائلـي .

وبـرز تناقـض واضـح بـين آراء بعـض الكـوادر الطلابيـة ومواقـف أحزابهـم ، فممثلـون لفـدا وحـزب الشـعب يتبنـون فكـرة الكفـاح المسـلح عكـس أحزابهـم ، وممثـل للمبـادرة الوطنيـة يدعـو إلـى تعبئـة دينيـة في وجـه الاحتـلال .